معالم دعوة الأنبياء

عليهم الصلاة والسلام

(٢)

الطَّبْعَةُ الأُولَى

١٤٤٣ـ ٢٠٢٢

ⓒ محمد عبد العزيز العواجي، ١٤٤٢هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العواجي، محمد عبد العزيز محمد
موسوعة دليل الداعية. / محمد عبد العزيز محمد العواجي. -
المدينة المنورة، ١٤٤٢هـ
١٦ مج.
ردمك: ٦-٧٥٨٠-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ٠-٧٥٨٢-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (ج٢)
١- الدعوة الإسلامية ٢- الدعاة أ- العنوان
ديوي ٢١٣ ٧١٧٩/ ١٤٤٢

رقم الإيداع: ٧١٧٩/ ١٤٤٢ ردمك: ٦-٧٥٨٠-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ٠-٧٥٨٢-٠٣-٦٠٣-٩٧٨ (ج٢)

تم هذا المشروع برعاية

الجميح الخيرية
AL ALJOMAIH CHARITY

مكتب الدار للدراسات والاستشارات التربوية والتعليمية
ADDARR OFFICE FOR STUDIES OF EDUCATIONAL AND CONSULTING

موسوعة دليل الداعية (٢)

معالم دعوة الأنبياء
عليهم الصلاة والسلام

مشروع بحثي قام به مكتب
الدار للدراسات والاستشارات التعليمية والتربوية
تحت إشراف معهد البحوث والدراسات
في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

تأليف
أ. د. محمد بن عبد العزيز بن محمد العواجي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

١٤٤٣ - ٢٠٢٢

المجلد الثاني - الجزء الأول

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

فريق عمل الموسوعة

المشرف العام والباحث الرئيس:

أ.د. محمد بن عبد العزيز بن محمد العواجي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

ورئيس مجلس إدارة جمعية رعاية طلاب العلم بالمدينة المنورة

الباحث والمشرف العلمي:

د. عبدالرحمن السيد جويل

دكتوراة في الدعوة والثقافة الإسلامية

المستشار بجمعية رعاية طلاب العلم بالمدينة المنورة

والباحث في الدعوة والدراسات الإسلامية

الباحث:

الشيخ: عبدالصمد محمد البركة

باحث دكتوراة في الدعوة والثقافة الإسلامية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

الشيخ: أحمد يوسف الشناوي

بكالوريوس الدعوة وأصول الدين في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

التدقيق اللغوي:

أ. السيد مصطفى محمد جويل (رحمه الله)

مشرف التربية الإسلامية في التعليم الخاص

التحكيم العلمي:

أ.د. أحمد عبدالهادي شاهين حمودة

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية- جامعة طيبة

د. فهد بن محمد فرحان الوهبي

باحث في الدراسات الدعوية والثقافة الإسلامية

دكتوراة دعوة وثقافة إسلامية - معلم دراسات إسلامية تعليم المدينة المنورة

أعضاء فريق مكتب الدار للاستشارات:

١- د. علي بن خالد الدويش

الأستاذ المساعد بكلية القرآن والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية

٢- د. محمد بن عمر عقيلي

الأستاذ المساعد بكلية القرآن والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً أما بعد:

إن دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام دعوة واحدة، من لدن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كما يقول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(والأنبياء إخوة لعلاَّت أمهاتهم شتى ودينهم واحد)**[1].

وإن هذه الوحدة بين الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لم تأت عبثاً، بل هي وحدة تستدعي من الدعاة الاقتداء والتأسي بها فيما بينهم، درءاً للفرقة والخلاف، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

ولتحقيق تلك الوحدة يقول الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ مخاطباً نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ [الأنعام: ٩٠] فيأمر الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ نبيه محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقتدي بمنهج الأنبياء، وأن يقتفي أثرهم، وأن يسير على سنتهم، والخطاب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطاب لأمته من بعده إلى قيام الساعة.

ولذا فما نكاد نقرأ جزءاً من القرآن الكريم إلا ونجد فيه قصة دعوة نبي من الأنبياء

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا﴾ [مريم: ١٦] (٣٤٤٣) واللفظ له، ومسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ (٢٣٦٥).

أو نجد إشارة إليه وإلى ما جرى بينه وبين قومه.. إنها دعوة للناس عامة وللداعة إلى الله خاصة أن يسيروا وفق هذا المنهج وأن يرتسموا معالمه ويسلكوا خطاه.

ومما سبق ظهرت أهمية الحديث عن دعوة الأنبياء وقصص الدعوة في القرآن، عرضاً وتحليلاً وتأصيلاً لمنهج الدعوة إلى الله تعالى.

منهجية البحث:

وتتلخص منهجية البحث في قصص الأنبياء في الآتي:

١- ابتدأنا بذكر أولي العزم من الرسل مرتبين حسب التاريخ في فصل واحد.

٢- عرضنا باقي الأنبياء مرتبين حسب كثرة ذكرهم في القرآن ثم مرتبين تاريخياً.

٣- في كل قصة نقوم بالتعريف بالنبي وخصائص دعوته وقومه وصفاته المؤثرة في دعوته، وأسس ووسائل وأساليب دعوته ثم نتيجة دعوته وفوائد منها.

٤- بعض الأنبياء لم نجد فيهم آيات كثيرة فلم نلتزم بما التزمنا به مع من ذُكِر مفصلاً في القرآن.

٥- حاولنا الاختصار وعدم التطويل واكتفينا بإبراز الجوانب الدعوية عند كل نبي.

٦- لم نستشهد بحديث أو رواية متفق على ضعفها.

٧- عزو الأحاديث للكتب المسندة، وعرض تصحيح أصحاب الشأن للحديث مالم يكن في البخاري ومسلم أو فيهما.

خطة البحث:

ويشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد، وسبعة فصول وخاتمة وفهارس على النحو التالي:

تمهيد: مقدمات حول تاريخ دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام:

المبحث الأول: التعريف بالأنبياء والرسل عليهم السلام والفرق بينهما.

المبحث الثاني: عدد الأنبياء والرسل عليهم السلام في القرآن وتفاضلهم:

المبحث الثالث: مفهوم وأهمية ومنهجية دراسة تاريخ دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام:

المطلب الأول: مفهوم تاريخ الدعوة.

المطلب الثاني: أهمية دراسة تاريخ الدعوة.

المطلب الثالث: كلام الإمام ابن سعدي في أهمية دراسة قصص الأنبياء والرسل.

المطلب الرابع: منهجيات دراسة تاريخ دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام.

الفصل الأول: منهج الأنبياء والرسل عليهم السلام في الدعوة إلى الله إجمالا

المبحث الأول: الخصائص الدعوية للأنبياء والرسل عليهم السلام.

المبحث الثاني: الصفات الدعوية للأنبياء والرسل عليهم السلام.

المبحث الثالث: أسس دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام.

المبحث الرابع: معالم منهجية في دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام.

الفصل الثاني: دعوة أولي العزم من الرسل:

المبحث الأول: دعوة نوح عليه السلام:

المطلب الأول: التعريف بنوح عليه السلام وقومه.

المطلب الثاني: الخصائص الدعوية لنوح عليه السلام.

المطلب الثالث: الصفات الدعوية لنوح عليه السلام.

المطلب الرابع: أسس دعوة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الخامس: وسائل وأساليب من دعوة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب السادس: موقف قوم نوح من دعوته.

المطلب السابع: نتيجة دعوة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الثامن: الدروس المستفادة من دعوة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المبحث الثاني: دعوة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ:

المطلب الأول: التعريف بإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه.

المطلب الثاني: الخصائص الدعوية لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الثالث: الصفات الدعوية لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الرابع: أسس دعوة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الخامس: وسائل وأساليب دعوة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب السادس: نتيجة دعوة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب السابع: الدروس المستفادة من دعوة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المبحث الثالث: دعوة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

المطلب الأول: التعريف بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الثاني: الخصائص الدعوية لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الثالث: الصفات الدعوية لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الرابع: أسس دعوة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الخامس: وسائل وأساليب دعوة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب السادس: نتيجة دعوة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب السابع: الدروس المستفادة من دعوة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المبحث الرابع: دعوة عيسى عليه السلام:

المطلب الأول: التعريف بعيسى عليه السلام وقومه.

المطلب الثاني: الخصائص الدعوية لعيسى عليه السلام.

المطلب الثالث: الصفات الدعوية لعيسى عليه السلام.

المطلب الرابع: أسس دعوة عيسى عليه السلام.

المطلب الخامس: وسائل وأساليب دعوة عيسى عليه السلام.

المطلب السادس: نتيجة دعوة عيسى عليه السلام.

المطلب السابع: الدروس المستفادة من دعوة عيسى عليه السلام.

المبحث الخامس: دعوة نبينا محمد ﷺ:

المطلب الأول: التعريف بنبينا محمد ﷺ وقومه.

المطلب الثاني: الخصائص الدعوية لنبينا محمد ﷺ ودعوته.

المطلب الثالث: الصفات الدعوية للنبي محمد ﷺ.

المطلب الرابع: عناية الله بنبيه في الجانب الإيماني.

المطلب الخامس: بشارة الله لنبيه وتثبيته.

المطلب السادس: توجيهات دعوية من الله لنبيه مباشرة.

المطلب السابع: أسس دعوة نبينا محمد ﷺ.

المطلب الثامن: وسائل وأساليب دعوة نبينا محمد ﷺ.

المطلب التاسع: نتيجة دعوة نبينا محمد ﷺ.

المطلب العاشر: الدروس المستفادة من دعوة نبينا محمد ﷺ.

الفصل الثالث: دعوة الرسل الذين تكرر ذكرهم في القرآن:

المبحث الأول: دعوة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ:

المطلب الأول: التعريف بآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه.

المطلب الثاني: الخصائص الدعوية لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الثالث: الصفات الدعوية لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الرابع: أسس دعوة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الخامس: الدروس المستفادة من دعوة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المبحث الثاني: دعوة هود عَلَيْهِ السَّلَامُ:

المطلب الأول: التعريف بهود عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه.

المطلب الثاني: الصفات الدعوية لهود عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الثالث: أسس دعوة هود عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الرابع: وسائل وأساليب من دعوة هود عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الخامس: موقف قوم هود من دعوته.

المطلب السادس: نتيجة دعوة هود عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب السابع: الدروس المستفادة من دعوة هود عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المبحث الثالث: دعوة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الأول: التعريف بصالح عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه.

المطلب الثاني: الصفات الدعوية لصالح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الثالث: أسس دعوة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الرابع: وسائل وأساليب دعوة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الخامس: موقف قوم صالح من دعوته.

المطلب السادس: نتيجة دعوة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب السابع: الدروس المستفادة من دعوة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المبحث الرابع: دعوة لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ:

المطلب الأول: التعريف بلوط عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه.

المطلب الثاني: الصفات الدعوية للوط عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الثالث: أسس دعوة لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الرابع: وسائل وأساليب دعوة لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الخامس: موقف قوم لوط من دعوته.

المطلب السادس: نتيجة دعوة لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب السابع: الدروس المستفادة من دعوة لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المبحث الخامس: دعوة شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ:

المطلب الأول: التعريف بشعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه.

المطلب الثاني: الصفات الدعوية لشعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الثالث: أسس دعوة شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الرابع: وسائل وأساليب دعوة شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الخامس: موقف قوم شعيب من دعوته.

المطلب السادس: نتيجة دعوة شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب السابع: الدروس المستفادة من دعوة شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الفصل الرابع: دعوة الرسل من ذرية إبراهيم:

المبحث الأول: دعوة إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الأول: التعريف بإسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الثاني: الخصائص الدعوية لإسماعيل عليه السلام.

المطلب الثالث: الصفات الدعوية لإسماعيل عليه السلام.

المطلب الرابع: أسس دعوة إسماعيل عليه السلام.

المطلب الخامس: وسائل وأساليب دعوة إسماعيل عليه السلام.

المطلب السادس: نتيجة دعوة إسماعيل عليه السلام.

المطلب السابع: الدروس المستفادة من دعوة إسماعيل عليه السلام.

المبحث الثاني: دعوة إسحاق عليه السلام:

المطلب الأول: التعريف بإسحاق عليه السلام.

المطلب الثاني: الخصائص الدعوية لإسحاق عليه السلام.

المطلب الثالث: الصفات الدعوية لإسحاق عليه السلام.

المطلب الرابع: أسس دعوة إسحاق عليه السلام.

المطلب الخامس: نتيجة دعوة إسحاق عليه السلام.

المطلب السادس: الدروس المستفادة من دعوة إسحاق عليه السلام.

المبحث الثالث: دعوة أيوب عليه السلام:

المطلب الأول: التعريف بأيوب عليه السلام وقومه وابتلائه.

المطلب الثاني: الصفات الدعوية لأيوب عليه السلام.

المطلب الثالث: أسس دعوة أيوب عليه السلام.

المطلب الرابع: الدروس المستفادة من دعوة أيوب عليه السلام.

المبحث الرابع: دعوة يعقوب عليه السلام:

المطلب الأول: التعريف بيعقوب عليه السلام وقومه.

المطلب الثاني: الصفات الدعوية ليعقوب عليه السلام.

المطلب الثالث: أسس دعوة يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الرابع: وسائل وأساليب دعوة يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الخامس: الدروس المستفادة من دعوة يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المبحث الخامس: دعوة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ:

المطلب الأول: التعريف بيوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الثاني: الصفات الدعوية ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الثالث: أسس دعوة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الرابع: وسائل وأساليب من دعوة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب السادس: نتيجة دعوة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب السابع: الدروس المستفادة من دعوة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الفصل الخامس: دعوة أنبياء من بني إسرائيل:

المبحث الأول: دعوة يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ:

المطلب الأول: التعريف بيونس عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه.

المطلب الثاني: نتيجة دعوة يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الثالث: الدروس المستفادة من دعوة يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المبحث الثاني: دعوة داود عَلَيْهِ السَّلَامُ:

المطلب الأول: التعريف بداوود عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الثاني: الصفات الدعوية لداوود عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الثالث: أسس دعوة داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الرابع: وسائل وأساليب دعوة داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الخامس: نتيجة دعوة داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب السادس: الدروس المستفادة من دعوة داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المبحث الثالث: دعوة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ:

المطلب الأول: التعريف بسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الثاني: قصص متعلقة بدعوة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الثالث: عظم ملك سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الرابع: الصفات الدعوية لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الخامس: أسس دعوة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب السادس: وسائل وأساليب دعوة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب السابع: نتيجة دعوة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الثامن: الدروس المستفادة من دعوة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المبحث الرابع: دعوة هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ:

المطلب الأول: التعريف بهارون عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الثاني: الصفات الدعوية لهارون عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الثالث: أسس دعوة هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الرابع: وسائل وأساليب دعوة هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الخامس: الدروس المستفادة من دعوة هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المبحث الخامس: دعوة زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ:

المطلب الأول: التعريف بزكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه.

المطلب الثاني: الصفات الدعوية لزكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الثالث: أسس دعوة زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الرابع: وسائل وأساليب دعوة زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المطلب الخامس: الدروس المستفادة من دعوة زكريا عليه السلام.

المبحث السادس: دعوة يحيى عليه السلام:

المطلب الأول: التعريف بيحيي عليه السلام وقومه.

المطلب الثاني: الصفات الدعوية ليحيى عليه السلام

المطلب الثالث: أسس دعوة يحيى عليه السلام.

المطلب الرابع: وسائل وأساليب دعوة يحيى عليه السلام.

المطلب السادس: الدروس المستفادة من دعوة يحيى عليه السلام.

الفصل السادس: أنبياء أشار إليهم القرآن:

المبحث الأول: دعوة إدريس عليه السلام:

المطلب الأول: التعريف بإدريس عليه السلام.

المطلب الثاني: الصفات الدعوية لإدريس عليه السلام.

المبحث الثاني: دعوة يوشع بن نون عليه السلام:

المطلب الأول: التعريف بيوشع عليه السلام وذكره في القرآن.

المطلب الثاني: معالم دعوة يوشع عليه السلام الدعوية.

المبحث الثالث: دعوة ذي الكفل عليه السلام:

المطلب الأول: التعريف بذي الكفل عليه السلام.

المطلب الثاني: الصفات الدعوية لذي الكفل عليه السلام.

المبحث الرابع: دعوة إلياس عليه السلام.

المبحث الخامس: دعوة اليسع عليه السلام.

✧ الفصل السابع: قصص دعوية لأتباع الأنبياء في القرآن:

المبحث الأول: قصة أصحاب الكهف:

المطلب الأول: التعريف بأصحاب الكهف.

المطلب الثاني: الفوائد الدعوية من قصة أصحاب الكهف.

المبحث الثاني: قصة الخضر:

المطلب الأول: التعريف بالخضر.

المطلب الثاني: قصة الخضر في القرآن.

المطلب الثالث: قصة الخضر في السنة.

المطلب الرابع: الفوائد الدعوية من قصة الخضر.

المبحث الثالث: قصة ذي القرنين:

المطلب الأول: التعريف بذي القرنين:

المطلب الثاني: قصة ذي القرنين في القرآن.

المطلب الثالث: الفوائد الدعوية من قصة ذي القرنين.

المبحث الرابع: قصة لقمان الحكيم.

المطلب الأول: التعريف بلقمان الحكيم.

المطلب الثاني: معالم دعوية من خلال وصايا لقمان لابنه.

المبحث الخامس: قصة مؤمن يس:

المطلب الأول: التعريف بمؤمن يس وقومه.

المطلب الثاني: عرض قصة مؤمن يس في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: الفوائد الدعوية من قصة الرسل الثلاثة لأصحاب القرية.

المطلب الرابع: الفوائد الدعوية من قصة مؤمن يس.

المبحث السادس: قصة مؤمن آل فرعون:

المطلب الأول: التعريف بمؤمن آل فرعون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

المطلب الثاني: عرض قصة مؤمن آل فرعون:

المطلب الثالث: الفوائد الدعوية من قصة مؤمن آل فرعون.

المبحث السابع: قصة غلام أصحاب الأخدود:

المطلب الأول: عرض قصة غلام الأُخدود في الكتاب والسنة.

المطلب الثاني: الفوائد الدعوية من قصة غلام الأُخدود.

واللهَ سبحانه أسأل أن ينفع بهذا العمل وأن يجعله حجة لنا لا علينا وأن يلهمنا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يجبر تقصيري في هذا البحث، وأن يغفر ما كان فيه من خطأ وزلل، وأن يبارك فيه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين

المشرف العام على الموسوعة
أ.د. محمد بن عبدالعزيز بن محمد العواجي
الأستاذ بقسم التفسير وعلوم القرآن
كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية - الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

تأصيل علم الدعوة

الدعوة إلى الله التعريف والتأصيل

- مفهوم الدعوة ومصطلحاتُها.
- الدعوة إلى الله أهميتها وفضلها وحكمها وثمرتها.
- مقاصد الدعوة.
- مقدمات حول علم أصول الدعوة.

معالم دعوة التابعين والأئمة من بعدهم

- الدعوة في حياة أئمة التابعين.
- الدعوة في حياة أتباع التابعين.
- الدعوة في حياة الأئمة الأربعة.
- الدعوة في حياة أئمة الكتب الستة.
- الدعوة في حياة أعلام السلف.

معالم دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

- مقدمات حول تاريخ دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام.
- منهج الأنبياء والرسل عليهم السلام في الدعوة إلى الله إجمالا.
- دعوة أولي العزم من الرسل.
- دعوة الرسل الذين تكرر ذكرهم في القرآن.
- دعوة الرسل من ذرية إبراهيم.
- دعوة أنبياء من بني إسرائيل.
- أنبياء أشار إليهم القرآن.
- قصص دعوية لأتباع الأنبياء في القرآن.

معالم دعوة الصحابة رضي الله عنهم

- دعوةالخلفاءالراشدين
- معالم دعوية في حياة علماء الصحابة
- نماذج لمواقف دعوية في قصص الصحابة

تمهيد

مقدمات حول تاريخ دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالأنبياء والرسل عليهم السلام والفرق بينهما.

المبحث الثاني: عدد الأنبياء والرسل عليهم السلام في القرآن ومراتبهم.

المبحث الثالث: مفهوم وأهمية ومنهجية دراسة تاريخ دعوة الأنبياء عليهم السلام:

المطلب الأول: مفهوم تاريخ الدعوة.

المطلب الثاني: أهمية دراسة تاريخ الدعوة.

المطلب الثالث: كلام الإمام ابن سعدي في أهمية دراسة قصص الأنبياء والرسل عليهم السلام.

المطلب الرابع: منهجيات دراسة تاريخ دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام.

المبحث الأول

التعريف بالأنبياء والرسل عليهم السلام والفرق بينهما

أولا: تعريف النبي لغة(١):

النبي في لغة العرب مشتق من النبأ وهو الخبر، قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النبأ: ١ - ٢]. وإنّما سمّي النبيُّ نبيّاً لأنه مُخبِرٌ مُخبَر، فهو مُخبَر، أي: أنَّ الله أخبره، وأوحى إليه، من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [التحريم: ٣].

وهو مُخْبِرٌ عن الله تعالى أمره ووحيه من قوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩] ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحجر: ٥١].

وقيل: النبوة مشتقة من النَّبْوَة، وهي ما ارتفع من الأرض، وتطلق العرب لفظ النبيّ على علم من أعلام الأرض التي يهتدى بها.

والمناسبة بين لفظ النبي والمعنى اللغوي، أنَّ النبيَّ ذو رفعة وقدر عظيم في الدنيا والآخرة، فالأنبياء هم أشرف الخلق، وهم الأعلام التي يهتدي بها الناس فتصلح دنياهم وأخراهم.

ثانيا: تعريف الرسول لغة(٢):

الإرسال في اللغة التوجيه، فإذا بعثت شخصاً في مهمة فهو رسولك، قال تعالى

(١) ينظر: لسان العرب ٣/ ٥٦١، ٥٧٣، بصائر ذوي التمييز ٥/ ١٤، لوامع الأنوار البهية ١/ ٤٩، ٢/ ٢٦٥.
(٢) ينظر: لسان العرب: ٢/ ١١٦٦ - ١١٦٧، المصباح المنير ص٢٦٦.

حاكياً قول ملكة سبأ: ﴿وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥]، وقد يريدون بالرسول ذلك الشخص الذي يتابع أخبار الذي بعثه، أخذاً من قول العرب: «جاءت الإبلُ رَسَلاً» أي: متتابعة.

وعلى ذلك فالرُّسل إنّما سمّوا بذلك لأنّهم وُجّهوا من قبل الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَا﴾ [المؤمنون: ٤٤]، وهم مبعوثون برسالة معينة مُكلَّفون بحملها وتبليغها ومتابعتها.

ثالثا: التعريف الاصطلاحي للنبي والرسول والفرق بينهما[(١)]:

تعددة أقوال العلماء حول المعنى الاصطلاحي للرسول والنبي، فهناك من يقول بأنه لا فرق بينهما، ومن العلماء من يقول بوجود فرق بينهما.

ولا يصحُّ قول من ذهب إلى أنه لا فرق بين الرسول والنبيّ، لما ورد في عدة الأنبياء والرسل، فقد ذكر رسول الله ﷺ عدد الأنبياء وعدد الرسل، فعن أبي ذرّ قال: قلت: يا رسول الله، كم المرسلون؟ قال: **(ثلاثمائة وبضعة عشر جمّاً غفيراً وقال مرة: خمسة عشر)**[(٢)]، وفي رواية أبي أمامة: قال أبو ذر: قلت: يا رسول الله، كم وفاء عدة الأنبياء؟ قال: **(مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، الرُّسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمّاً غفيراً)**[(٣)]، فهنا فرق بين الرسل والأنبياء.

(١) ينظر: كتاب الرسل والرسالات د. عمر الأشقر ١٤ – ١٥.

(٢) مسند أحمد ٥/ ١٧٨ (٢١٥٨٦)، والمستدرك على الصحيحين ٢/ ٦٥٢، والسنن الكبرى للبيهقي ٩/ ٤ (١٨١٦٦). قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٦٤: فيه المسعودي وهو ثقة ولكنه اختلط، وصححه أحمد شاكر في عمدة التفسير ١/ ٣٠٩ كما أشار إلى ذلك في المقدمة، والألباني في تخريج مشكاة المصابيح (٥٦٦٩).

(٣) مسند أحمد ٥/ ٢٦٥ (٢٢٣٤٢)، والمعجم الكبير للطبراني ٨/ ٢١٧، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٥٧٣٧)، وانظر السلسلة الصحيحة عند حديث (٢٦٦٨).

ويدلّ على الفرق أيضاً ما ورد في كتاب الله من عطف النبيِّ على الرسول: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢]، ووصف بعض رسله بالنبوة والرسالة مما يدُل على أن الرسالة أمر زائد على النبوة، كقوله في حقِّ موسى عليه السلام: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ [مريم: ٥١].

والشائع عند العلماء أنَّ النبي أعم من الرسول، **فالرسول**: هو من أُوحي إليه بشرع وأُمر بتبليغه، **والنبيُّ**: من أوحي إليه ولم يؤمر بالبلاغ، وعلى ذلك فكلُّ رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً[(١)]، وهذا بعيد لأمور:

الأول: أن الله نصَّ على أنه أرسل الأنبياء كما أرسل الرسل في قوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج: ٥٢]، فإذا كان الفارق بينهما هو الأمر بالبلاغ فالإرسال يقتضي من النبيّ البلاغ.

الثاني: أنَّ ترك البلاغ كتمان لوحي الله تعالى، والله لا ينزل وحيه ليكتم ويدفن في صدر واحد من الناس، ثمَّ يموت هذا العلم بموته.

الثالث: قول الرسول ﷺ فيما يرويه عنه ابن عباس: **(عرضت عليَّ الأمم، فجعل يمرُّ النبي معه الرجل، والنبي معه الرجلان، والنبي معه الرهط، والنبي ليس معه أحد)**[(٢)]، فدلّ هذا على أنَّ الأنبياء مأمورون بالبلاغ، وأنَّهم يتفاوتون في الاستجابة لهم.

والأقرب للصواب أنَّ: «**الرسولَ**: مَنْ أُوحي إليه بشرع جديد، **والنبيَّ**: هو المبعوث

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص١٦٧، لوامع الأنوار البهية ١/ ٤٩، الجامع لأحكام القرآن ١٢/ ٥٤، مجموع فتاوى ابن تيمية ١٠/ ٢٩٠، تفسير البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢/ ٩٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب من لم يرق (٥٧٥٢)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (٢٢٠) واللفظ للبخاري.

لتقرير شرع من قبله»(١)، ففي الحديث: **(كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبيٌّ خلفه نبيٌّ)**(٢)، وأنبياء بني إسرائيل كلّهم مبعوثون بشريعة موسى: التوراة وكانوا مأمورين بإبلاغ قومهم وحي الله إليهم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ﴾ [البقرة: ٢٤٦] فالنبي كما يظهر من الآية يُوحَى إليه شيء يوجب على قومه أمراً، وهذا لا يكون إلا مع وجوب التبليغ.

واعتبر في هذا بحال داود وسليمان وزكريا ويحي فهؤلاء جميعاً أنبياء، وقد كانوا يقومون بسياسة بني إسرائيل، والحكم بينهم وإبلاغهم الحق، والله أعلم بالصواب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «... فقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ﴾ [الحج: ٥٢]، دليلٌ على أنّ النبيَّ مُرْسَل، ولا يُسمّى رسولاً عند الإطْلاق لأنّه لَمْ يُرْسَل إلى قَوْمٍ بما لا يعرفونه بلْ كان يأمر المؤمنين بما يعرفونه أنّه حقٌّ كَالْعَالِم»(٣).

فمنْ كان تابعاً لِمَنْ قبله فهو نبيٌّ، ومن أتى بشريعة مستقلّة فهو رسولٌ، وهذا هو رأيُ البيضاويِّ أيضاً في تفسيره حيث قال: «الرسول مَن بعثه الله بشريعة مجدّدة يدعو الناس إليها والنبيُّ يَعُمُّه، ومَن بعثه لتقرير شرْعٍ سابق، كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى»(٤).

---

(١) روح المعاني ٧/ ١٥٧.
(٢) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٣٤٥٥).
(٣) النبوّات ١٨٤، ١٨٥.
(٤) تفسير البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢/ ٩٢.

المبحث الثاني

عدد الأنبياء والرسل عليهم السلام في القرآن وتفاضلهم

أولاً: عدد الأنبياء والرسل في القرآن:

القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة من أهم مصادر التاريخ التي يجزم بها المسلمون، ويمكننا الوقوف في شأن عدد الرسل والأنبياء على آيات واضحة في القرآن الكريم تذكر أسماء الرسل والأنبياء الذين بعثهم الله إلى الناس في زمانهم.

يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٣ – ٨٦].

وهنا يذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أسماء ثمانية عشر رسولا، ولكن ذلك ليس على سبيل الحصر والتعداد، فقد ذكرت أسماء رسل آخرين في آيات أخرى لم تذكر في هذا السياق.

وقد جمع الحافظ ابن كثير أسماء من نص القرآن على أسمائهم، فبلغت «٢٥» خمسة وعشرين اسماً، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذه تسمية الأنبياء الذين نُصَّ على أسمائهم في القرآن، وهم: آدم، وإدريس، ونوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وإسماعيل،

وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وأيوب، وشعيب، وموسى، وهارون، ويونس، وداود، وسليمان، وإلياس، والْيَسَع، وزكريا، ويحيى، وعيسى عليهم الصلاة والسلام، وكذا ذو الكفل عند كثير من المفسرين، وسيدهم محمد ﷺ»[١].

وقد أحسن من قال:

في (تلك حجتنا) منهم ثمانية — من بعد عشر ويبقى سبعة وهمو
إدريس هود شعيب صالح وكذا — ذو الكفل آدم بالمختار قد خُتموا[٢]

وأما معرفة جميع الرسل والأنبياء ممن لم يسمهم القرآن الكريم، فلا يبدو أن ذلك ممكناً لقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤] ففي هذه الآية تصريح بيِّنٌ أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى طوى قصص كثير من الرسل عن النبي ﷺ، ولم يعلمه بهم.

➢ ثانياً: أولو العزم من الرسل:

أمر الله رسوله ﷺ بالصبر، كما صبر إخوانه الأنبياء والرسل السابقين وخص منهم أولي العزم من الرسل، فقال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

والراجح من أقوال العلماء أن أولي العزم من الرسل خمسة، وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧].

يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اختلف العلماء في المراد بأولي العزم

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٤٦٩.
(٢) ينظر: شرح البيجوري على جوهرة التوحيد ٥٤.

من الرسل في هذه الآية الكريمة اختلافاً كثيراً، وأشهر الأقوال في ذلك أنهم خمسة، وهم الذين قدمنا ذكرهم في الأحزاب، والشورى؛ وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد عليهم الصلاة والسلام. وعلى هذا القول فالرسل الذين أمر رسول الله ﷺ أن يصبر كما صبروا أربعة، فصار هو ﷺ خامسهم»[1].

وما قرره الشيخ الأمين رحمه الله هو المشهور عند العلماء، قال السفاريني رحمه الله: «أهل العزم: أي أهل الثبات والجد من الرسل، وهم على المشهور: إبراهيم الخليل، وموسى الكليم، وعيسى الروح، ونوح النجي، فيكونون خمسة بنبينا محمد ﷺ، وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧]، فإنهم أصحاب الشرائع، وقدم نبينا ﷺ تعظيماً له، وتكريماً لشأنه. وهؤلاء الذين اجتهدوا في تأسيس الشرائع وتقريرها، وصبروا على تحمل المشاق من قومهم، ومعاداة الطاغين فيها»[2].

ثالثاً: تفاضل الأنبياء:

بين الله تعالى أن الأنبياء والرسول متفاضلون في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥].

وأفضل الأنبياء والرسل أولو العزم، الذين ذكرهم الله في قوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾ [الشورى: ١٣]، وجاء ذكرهم أيضا في قوله جل جلاله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧].

(١) أضواء البيان ٧/ ٤٠٨. وانظر المصدر نفسه ٤/ ٥٢٣، ٦/ ٥٧٢.

(٢) لوامع الأنوار البهية ٢/ ٢٩٩.

وقد ميز الله كل نبي عن الآخر بمميزات بينها رسول الله ﷺ في حديث الشفاعة في قوله: (... **فيأتون آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ فيقولون له: أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك،... فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح، إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبداً شكورا، اشفع لنا إلى ربك... فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه... فيأتون، موسى فيقولون: يا موسى أنت رسول الله، فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك... فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلمت الناس في المهد صبيا، اشفع لنا إلى ربك... فيأتون محمداً فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه..**)(١).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾ [الإسراء: ٣] (٤٧١٢)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (٤٨٠).

المبحث الثالث

مفهوم وأهمية ومنهجية

دراسة تاريخ دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام

المطلب الأول مفهوم تاريخ الدعوة.

المطلب الثاني أهمية دراسة تاريخ الدعوة.

المطلب الثالث كلام الإمام ابن سعدي في أهمية دراسة قصص الأنبياء والرسل عليهم السلام.

المطلب الرابع منهجيات دراسة تاريخ دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام.

المطلب الأول
مفهوم تاريخ الدعوة

"إن التاريخ هو عبارة عن مواقف الأمم إزاء الرسل الذين دعوهم إلى التوحيد، وكيف أهلك الله الأمم التي نفرت من التوحيد، وكيف أعز الأمم التي قبلت التوحيد، كيف أن هذه الآثار تدل على أن الله أهلك الذين حادوا عن التوحيد، وهكذا محور التفسير الحقيقي للتاريخ هو أنه تاريخ دين الإسلام الذي بعث الله به جميع الأنبياء، هي رسالة دين واحد ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، من بداية آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهي عبارة عن تاريخ الدعوة الإسلامية، والهوية الإسلامية ما بين من قبلوه وانضموا إلى حزب الله وبين من رفضوه وكانوا من أحزاب الشيطان»[(١)].

والخلاصة أن تاريخ الدعوة هو: «الوقوف على قصة الإيمان على ظهر الأرض، وتاريخ الصراع بين الحق والباطل»[(٢)].

أما المفهوم القرآني لتاريخ الدعوة، فقد جاء في القرآن الكريم ما يدل على التاريخ وعلى ضرورة الاهتمام به، يتضح ذلك من الآيات التي تحمل لفظة القصص والذي معناه: الأخبار المتتابعة، إذ إن القص يعني: إتباع الأثر.

يقول الله عز وجل: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

وقوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]، هذا إلى جانب آيات كثيرة تدل على أهمية القصص التاريخي.

(١) المسلم بين الهوية الإسلامية والهوية الجاهلية، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود ٣/ ٢٤٠.
(٢) تاريخ الدعوة، د. جمعة الخولي ١/ ١١.

كما يظهر معنى تاريخ الدعوة جليًا في وجود مصطلح ﴿بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ﴾ وهو تعبير قرآني عن التاريخ وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥].

فقد ورد في تفسير ﴿بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نعم الله، والثاني: أنها وقائع الله في الأمم قبلهمّ، والثالث: أنها أيام نعم الله وأيام نقمه[١].

المطلب الثاني

أهمية دراسة تاريخ الدعوة

التاريخ فرع من فروع العلم، وقد صنفه العلماء الذين كتبوا في مراتب العلوم ضمن العلوم التي تخدم الشريعة الإسلامية[٢].

فيقول ابن عبد البر: «ويلزم صاحب الحديث أن يعرف الصحابة المؤدين للدين عن نبيهم ﷺ. ويعني بسيرهم وفضائلهم، ويعرف أحوال الناقلين عنهم وأيامهم وأخبارهم، حتى يقف على العدول منهم من غير العدول»[٣].

وإن لدراسة تاريخ دعوة الأنبياء أهمية نبرزها في النقاط التالية:

✧ أولاً: دراسة التاريخ الدعوي مجال واسع لتحقيق عبودية الله تعالى:

وذلك بما فيه من العبر والعظات والأسوة الحسنة فيمن يقتدي بهم مثل الأنبياء

(١) زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن الجوزي ٤/ ٣٤٦.

(٢) مفاتيح العلوم، الخوارزمي، ص٤ – ٥، حيث جعل علم الأخبار من العلوم الملحقة بعلوم الشريعة.

(٣) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر ص ٤٦٦.

عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم، فإن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وقال للمؤمنين: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٢١].

فدراسة التاريخ الإسلامي وبالأخص سيرة الأنبياء ومن سار على نهجهم - إذا أحسن عرضها -، فإنه يبعث فيهم روح البذل في سبيل الله، والزهد في هذه الحياة الفانية مع العمل المثمر البناء، والتمسك بالإسلام، والاعتزاز بتعاليمه ورجاله وتاريخه.

✧ ثانياً: التعرف على السنن الربانية في الكون:

فإن لله سنناً في خلقه، قال تعالى: ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧]، وقال تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣].

فالمطلوب من المسلم هو التعرف على هذه السنن الربانية، قال تعالى: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ﴾ [الأنعام: ٦].

ومن تلك السنن الربانية:

- **سنة سوء عاقبة المكذبين:** قال تعالى: ﴿وَقَوۡمَ نُوحٖ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغۡرَقۡنَٰهُمۡ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ لِلنَّاسِ ءَايَةٗۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا ٣٧ وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَأَصۡحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونَۢا بَيۡنَ ذَٰلِكَ كَثِيرٗا﴾ [الفرقان: ٣٧ - ٣٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ﴾ [إبراهيم: ٧].

- **سنة الله في التغيير،** قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١]، فالتغيير يبدأ من النفس سواء بالارتقاء والارتفاع إلى أعلى أو بالانتكاس والهبوط إلى أسفل، وهذه السنة الربانية في تغيير النفس والمجتمع.

- **سنة مداولة الأيام بين الناس،** قال تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٞ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٞ مِّثْلُهُۥۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [عمران: ١٤٠].

- **سنة زوال الأمم يكون بالترف والفساد والظلم،** قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر: ٦ - ١٤]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرٗا﴾ [الإسراء: ١٦]. وقال تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٖ كَانَتْ ظَالِمَةٗ وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ [الأنبياء: ١١].

✧ ثالثاً: التعرف على منهج الأنبياء ومن بعدهم ممن سار على هديهم في الدعوة:

فالتاريخ الدعوي يقرر لنا أن الإيمان والتوحيد أولاً ودائماً، ويوضح كيفية البدء به مع اختلاف وتنوع المخاطبين به، وأن الأخلاق جزء أصيل في تكوين الدعوة، ومن أولى اهتماماته بعد التوحيد، وأن التدرج في التشريع والتيسير فيه سنة الله تعالى في التغيير، وأن الارتباط بالوحي هو سلاح الدعاة أما درعهم فهو الصبر.. وغيرها من الأمور.

فدراسة التاريخ الدعوي خطوة من خطوات إحياء آثار دعوة السلف وتمجيد مآثرهم وفتوحاتهم في الدعوة إلى الله، و ضرب المثل وإسداء النصح، وفهم الحاضر من جميع وجوهه يأتي عن طريق درس الماضي من جميع وجوهه[1].

✧ رابعاً: ومن الأهمية ما يتميز به منهج الأنبياء من العصمة:

فقد عصمهم من الانحراف والخطأ والخلل وعصمهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من الأهواء، ومن ثم فاتباع سبيلهم ضمان بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ في الاستقامة على الطريق والسلوك على الجادة، والأمن من الخلل وبنيات الطريق.

والبديل عن منهج الأنبياء هو أن يتبع الناس لآراء البشر أمثالهم، والبشر أياً كانوا لا يمكن أبداً أن يكونوا محجةً بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، إنها طريق واحدة وسبيل واحدة هي سبيل المعصوم ﷺ وما عداه فهو عرضة للخطأ والخلل والزيغ والانحراف إلا من عصم الله عَزَّ وَجَلَّ.

✧ خامساً: الأنبياء هم أمة النجاح والإنجاز البشري:

فقمة النجاح وغاية الإبداع والإنجاز هو ما حققه أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم، إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد اختار الأنبياء للقيام بهذه الدعوة قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨]، وقال: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥].

أوليس الدعاة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ أحوج إلى دارسة سير الأنبياء وكيف حققوا مقاصدهم ونجحوا فيما يسعون إليه؟! بلى والله، فإنهم أولى بذلك؛ لأن الأنبياء في قمة النجاح والإبداع والإنجاز، فكيف وهم مع ذلك معصومون.. وكيف ونحن مأمورون بالاقتداء بهم والسير على طريقهم.

(١) انظر: محاضرات في تاريخ العرب و الإسلام، د. عبد اللطيف الطيباوي، ص ١٩٧ بتصرف يسير.

المطلب الثالث
كلام الإمام ابن سعدي في أهمية دراسة قصص الأنبياء والرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

قال الإمام ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قد قص الله علينا في كتابه قصصاً طيبة من أخبار أنبيائه، ووصفها بأنها أحسن القصص، وهذا الوصف من الله العظيم يدل على أنها أصدقها وأبلغها وأنفعها للعباد؛ فمن أهم منافع هذه القصص:

أن بها يتم ويكمل الإيمان بالأنبياء، صلى الله عليهم وسلم، فإننا وإن كنا مؤمنين بجميع الأنبياء على وجه العموم والإجمال، فالإيمان التفصيلي المستفاد من قصصهم، وما وصفهم الله به من الصدق الكامل والأوصف الكاملة التي هي أعلى الأوصاف، وما لهم من الفضل والفواضل والإحسان على جميع نوع الإنسان، بل وصل إحسانهم إلى جميع الحيوانات بما أبدوه للمكلفين في الاعتناء بها والقيام بحقها، فهذا الإيمان التفصيلي بالأنبياء يصل به العبد إلى الإيمان الكامل، وهو من مواد زيادة الإيمان.

فمن ذلك أن في قصصهم تقرير الإيمان بالله، وتوحيده، وإخلاص العمل له، والإيمان باليوم الآخر، وبيان حسن التوحيد ووجوبه، وقبح الشرك، وأنه سبب الهلاك في الدنيا والآخرة.

وفي قصصهم أيضاً عبرة للمؤمنين يقتدون بهم في جميع مقامات الدين: في مقام التوحيد والقيام بالعبودية، وفي مقامات الدعوة والصبر والثبات عند جميع النوائب المقلقة، ومقابلة ذلك بالطمأنينة والسكون والثبات التام، وفي مقام الصدق والإخلاص لله في جميع الحركات والسكنات واحتساب الأجر والثواب من الله تعالى، لا يطلبون من الخلق أجراً ولا جزاء ولا شكوراً إلا الأمور النافعة للخلق.

وفيها أيضاً عبرة لاتفاقهم على دين واحد وأصول واحدة، ودعوة إلى كل خلق جميل وعمل صالح وإصلاح، وزجرهم عن كل ما يضاد ذلك.

وفيها أيضاً من الفوائد الفقهية والأحكام الشرعية والأسرار الحكمية شيء عظيم لا غنى لكل طالب علم عنها.

وفيها أيضاً من الوعظ والتذكير والترغيب والترهيب، والفرج بعد الشدة، وتيسير الأمور بعد تعسرها، وحسن العواقب المشاهدة في هذه الدار، وحسن الثناء والمحبة في قلوب الخلق - ما فيه زاد للمتقين، وسرور للعابدين، وسلوة للمحزونين، ومواعظ للمؤمنين - فليس المقصود من قصصهم أن تكون فقط سمرا، وإنما الغرض الأعظم منها أن تكون تذكيراً وعبرا.

واعلم قبل الشروع فيها أن كثيراً من قصصهم صلوات الله وسلامه عليهم أعادها الله في كتابه مرات عديدة بأساليب مناسبة لمقاماتها، وربما يكون في موضع منها ما ليس في المواضع الأخر من الزيادات والفوائد، أو يأتي بها بألفاظ غير ألفاظ القصة الأخرى، والمعاني متفقة أو متقاربة»[(١)].

(١) تيسير اللطيف المنان ص ١٧٠ - ١٧١.

المطلب الرابع

منهجيات دراسة تاريخ دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام

☜ أولاً: أخذ تاريخ دعوة الأنبياء كاملا:

عند دراسة منهج الأنبياء فإننا ينبغي أن نأخذه جملة.. بكل تفاصيله وكل معالمه.. ولا يسوغ أن نقتطع أجزاء من هدي الأنبياء فنحتج بها ونتحدث عنها ونخاصم من أجلها وندع ما سواها.

فلا بد من داسة المواقف الفردية للأنبياء وفقه تاريخ وصفات دعوة كل نبي على حدة، وكذلك دراستها مجتمعة، وبغير هذه المنهجية يقع بعض الدعاة في تنزيل الموقف على الواقع تنزيلاً غير صحيح.. فيأخذ جانب الشدة في أحد المواقف ويترك جانب اللين، أو العكس.. فإن الأنبياء استخدموا اللين في موقف والشدة في موقف آخر.. واستخدموا المبادرة في موقف والتأني في موقف آخر، وهكذا حسب الملابسات والمراحل والأقوام.

☜ ثانياً: التجرد من الأهواء عند الاستدلال بدعوة الأنبياء:

لا يسوغ أن نرسم منهجاً ونقرر ثوابت ثم نبحث لما قررناه عما يعززه ويعضده من منهج الأنبياء، فينبغي أن نتجرد من الأهواء والتبعية والتقليد إلا لكتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.. وحينها نستطيع أن نترسم معالم هذا المنهج واضحاً جلياً مشرقاً بعيداً عن الزلل والانحراف؛ ولهذا فليس كل من تحدث عن منهج الأنبياء وعن دعوة الأنبياء

قد تحدث حديثاً شاملاً كافياً.. وليس مبرأً عن الهوى وعن الخلفية السابقة التي يأتي إليها فيبحث لها عما يؤيدها، فتطبيق منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله وتنزيله لأرض الواقع يحتاج إلى تجرد للحق بعيداً عن الأهواء وبعيداً عن الاجتزاء وكذلك بعيداً عن الافراط أو التفريط.

☜ ثالثاً: اعتماد القرآن والسنة مصدراً لتاريخ دعوة الأنبياء:

لا ينبغي علميّاً ولا منهجيّاً عند دراسة منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله والقصص الدعوة أن ندخل في تفاصيل لم يذكرها لنا الله في كتابه ولم يذكرها لنا رسوله ﷺ في سنته الصحيحة، فقصص القرآن قد أسهب بعض المفسرين في ذكر الإسرائيليات فيها مما لا يحتاج إلى بيان وليس فيه فائدة علمية أو منهجية.. ولذا فاقتصرنا في كتابة هذه الموسوعة على ما في القرآن وترك ما سكت عنه القرآن ورسول الله الموحي له بهذا القرآن.

☜ رابعاً: أهمية دراسة صفات وأخلاق الرسل:

شخصيات الرسل ووظيفتهم البلاغية تمثل معلماً رئيسياً في تاريخ الدعوة؛ لأن الرسول -أيَّ رسولٍ- صناعةٌ ربانيةٌ، وصفاتهُ بشريةٌ، مثاليةٌ، واقعيةٌ؛ ولذلك فهم قدوة للدعاة، وأسوة لهم، خلال الأزمنة كلها.

وحينما يقدم تاريخ الدعوة صفات الرسل، ومزاياهم الخلقية التي تعاملوا بها مع الناس، ومنهجهم في الدعوة، ووعيهم بحقائق الحياة والأحياء، وصدقهم المخلص مع الله، ومع الرسالة، ومع الناس، حينما يفعل ذلك يقدم خدمات جليلة للدعوة في العصر الحديث، وفي كل العصور.

خامساً: الإيمان بصدق خبر الله وخبر رسوله عن الأنبياء السابقين:

فالإيمان بصدق خبر الله وخبر رسوله عن الأنبياء السابقين يؤدي إلى الإيمان بأن منهج الأنبياء هو الحق والصواب، قال تعالى: ﴿ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [القصص: ٣]، فما لم يتوافق مع واقعنا وأفهامنا القاصرة نؤمن به لأنه غيبٌ، ونأخذ منه ما نستفيد منه في الدعوة، ولا نرده.

سادساً: عدم زيادة أو تخيل أحداث لم تقع في القصة:

فلا بد من ارتباط تاريخ دعوة الرسل بالوحي المنزل على رسول الله ﷺ؛ ولا يتدخل العقل البشري في تصوير أحداثه، أو الإخبار بوقائعه من عند نفسه؛ لأنه غيب أمام البشر، ولولا القرآن الكريم لغاب تاريخ هذا القسم مع أهميته، قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣]، وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٤٤]. وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٢].

إن قصص القرآن الكريم إخبار عن الغيب الماضي، الذي لا يعلمه إلا الله تعالى، أوحى الله به إلى رسوله محمد ﷺ ليكون منهجاً يتبع، وطريقاً يسلكه الدعاة إلى الله.

وذلك أن التدخل في تفاصيل غير مذكورة قد يؤدي إلى رسم صورة ذهنية غير صحيحة عن النبي والرسل، أو رسم صورة غير حقيقية عن مشاهد وتفاصيل القصة، والتي قد تقلل من شأن الموقف، سواء كان ذلك التصوير كتابياً أو عن طريق

صورةٍ مرسومةٍ أو مشهدٍ تمثيلي، أو فيلمٍ وثائقي، كمن يحاول رسم ملك سليمان، أو عرش بلقيس، أو العصا التي انقلبت حيةً لموسى عليه السلام أو إحياء الموتى وشفاء الأكمه والأبرص لعيسى عليه السلام..، أو حادثة امراة العزيز مع يوسف عليه السلام.. وغيرها من المواقف والمشاهد.

وقد سجلت رسالة دكتوراه في قسم التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية عن التفسير للقرآن بالصورة، يسر الله إتمامها وخروجها ونفع بها.

الفصل الأول

منهج الأنبياء والرسل عليهم السلام في الدعوة إلى الله إجمالا

في هذا الفصل سنبين المعالم الأساسية التي اجتمع عليها الأنبياء عليهم السلام في الدعوة إلى الله تعالى إجمالاً وسنترك التفصل عند الحديث عن كل نبي على حدة.

ويتضمن خمسة مباحث:

المبحث الأول: الخصائص الدعوية للأنبياء والرسل عليهم السلام.

المبحث الثاني: الصفات الدعوية للأنبياء والرسل عليهم السلام.

المبحث الثالث: أسس دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام.

المبحث الرابع: معالم منهجية في دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام.

المبحث الأول

الخصائص الدعوية للأنبياء والرسل عليهم السلام

للأنبياء والرسل خصائص ميزتهم عن غيرهم من البشر، يمكن إجمالها في النقاط التالية:

أولاً: الاصطفاء والاختيار من الله تعالى:

«لقد جرت سنة الله في خلقه أن يصطفي بعض عباده لمهمة النبوة والرسالة، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤]، وهذا الاصطفاء والاختيار منة إلهية، امتن الله بها على الأنبياء والمرسلين، فلم يصلوا إليها بكسب ولا جهد، ولا كانت ثمرة لعمل أو رياضة للنفس قاموا بها، كما يزعم الضلال من الفلاسفة»(١).

قال الغزالي: «اعلم أن الرسالة أثرة علوية، وحظوة ربانية، وعطية إلهية، لا تكتسب بجهد، ولا تنال بكسب، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]»(٢).

---

(١) العقيدة الإسلامية والقضايا الخلافية عند علماء الكلام ص٢٩١.

(٢) معارج القدس في مدارج معرفة النفس ص١٣١.

وقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾ [ص: ٤٥ - ٤٧].

وليس معنى ذلك أن الأنبياء لم يكن فيهم مزية عن غيرهم، أو أنهم لم يكونوا أهلاً للنبوة، فإنهم أفضل الخلق! وإنما معناه أنهم لم ينالوا هذه المرتبة بمحض اجتهادهم وإنما بفضل الله تعالى عليهم، قال سبحانه: ﴿قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأۡتِيَكُم بِسُلۡطَٰنٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: ١١].

«فالأنبياء هم أفضل البشر على الإطلاق، لأمرين:

الأول: أن الأنبياء كانوا خيار أقوامهم قبل نبواتهم، فقد عصمهم الله عما يصغر أقدراهم.

ثانياً: أن النبوة اختيار من الله، واصطفاء، لا تبلغ بكسب، ولا بغيره، فجمع الله للأنبياء الفضل من أطرافه، ميزهم على خلقه قبل النبوة، ثم زادهم فضلاً عليهم بالنبوة، فلا يبلغ أحد منزلتهم»(١).

والدعاة هم ورثة الأنبياء اصطفاهم الله تعالى وأكرمهم بهذه المهمة العظيمة، التي هي مهمة الأنبياء، فعليهم أن يقوموا بواجب هذا الاصطفاء وأن يكونوا أهلاً لهذا الاصطفاء، قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

(١) مباحث المفاضلة في العقيدة د. محمد الشظيفي رسالة علمية ص ١٨٤.

ثانياً: الوحي:

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾ [النساء: ١٦٣]. وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ﴾ [الشورى: ٥١]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشورى: ٥٢].

الوحي له معنيان: معنى خاص، وهو: إرسال جبريل إلى النبي للإيحاء إليه؛ فهذا وحي تشريع يخص الأنبياء والرسل دون غيرهم. **ومعنى عام** وهو: بمعنى الإلهام، كالرؤى، والتحديث، ونحو ذلك؛ وهذا يكون للأنبياء وأتباع الأنبياء.

قال د. صالح الفوزان: «الوحي هو: الإعلام بسرعة وخفاء، وهو على نوعين: وحي إلهام، ووحي إرسال. وحي الإلهام: يكون بإلهام الله بعض المخلوقات ببعض الأمور؛ مثل قوله تعالى: ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ﴾ [النحل: ٦٨]، أي: ألهمها، ومثل قوله تعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧]، أي: ألهم الله أم موسى أن تعمل هذا العمل بولدها لما ولدته، وكان فرعون يقتِّل الذكور، فالله ألهمها أن تعمل هذا العمل من أجل نجاة موسى من هذا الجبار.

وأما وحي الإرسال: فهو الذي ينزل به جبريل عليه السلام إلى الرسل»[1].

ونزول الوحي من عند الله تعالى على رسله وأنبيائه خاص بجبريل عليه السلام؛ فهو

---

(١) إعانة المستفيد لشرح كتابة التوحيد ص٣١٧.

صاحب الوحي إلى أنبياء الله جميعا، وأما غيره من الملائكة؛ فإنما ينزل لغرض آخر، قال الله تعالى عن نبينا محمد ﷺ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٣] والروح الأمين هو جبريل عليه السلام وهو أشرف الملائكة وأقربهم إلى الرب عز وجل وهو صاحب الوحي إلى أنبيائه[١].

وقال تعالى عن جميع الأنبياء: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

فلا يجوز لأحد بعد الأنبياء سواء من الدعاة وغيرهم أن يَدَّعي أنه يوحى إليه، ومن قال ذلك فقد كذب على الله وكذب على نفسه.. وكذب على الخلق.

ولكن ذكر النبي ﷺ أن من المبشرات الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: **(لم يبق من النبوة إلا المبشرات)** قالوا: وما المبشرات؟ قال: **(الرؤيا الصالحة)**[٢].

وذكر أن في كل أمة نبيٍّ «ملهمون» وأن عمر ملهمٌ من أمته، فعن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ، أنه كان يقول: **(قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي منهم أحد، فإن عمر بن الخطاب منهم)** قال ابن وهب: تفسير محدثون: ملهمون[٣].

ثالثاً: الكتب المنزلة:

أنزل الله تعالى مع كل رسول كتاباً، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

(١) ينظر: جامع البيان ١٩/ ٣٩٦.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التعبير، باب المبشرات (٦٩٩٠).

(٣) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحبة، باب من فضائل عمر رضي الله تعالى عنه (٢٣٩٨).

ومن تلك الكتب التي سمى الله لنا:

١- صحف إبراهيم وموسى: عليهما الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨ – ١٩].

٢- التوراة التي أنزلها الله تعالى على موسى عليه السلام، ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ﴾ [المائدة: ٤٤].

٣- الزبور، الذي أنزله الله تعالى على داود عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾ [النساء: ١٦٣].

٤- الإنجيل أنزله الله على عيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ﴾ [المائدة: ٤٦].

٥- وآخر تلك الكتب: القرآن العظيم؛ الذي أنزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ﴾ [المائدة٤٨]، فنسخ الله به جميع الكتب السابقة، وتكفل بحفظه عن عبث العابثين وزيغ المحرفين ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر٩]؛ لأنه سيبقى حجة على الخلق أجمعين إلى يوم القيامة.

فالداعي الذي يعتمد كتاب الله تعالى أصلاً هو الصادق، ومن زاغ عن كتاب الله المنزل فلا عبرة به ولا بدعوته، وما لم تكن دعوته قائمة على تعظيم الله وتعظيم ما عظمه الله في كتابه وعلى لسان رسوله فلا عبرة به.

رابعاً: المعجزات:

المعجزة أمرٌ خارقٌ للعادة، مقرون بالتحدِّي، سالم عن المعارضة، يظهر على

يد مدعي النبوة موافقاً لدعواه[١]، وهي خاصةٌ بمن أَوحى اللهُ إليهم وجعلهم أنبياء مصطفَينَ أخياراً.

وقال شيخ الإسلام في معرض رده على إحدى الفرق: «آيات الأنبياء هي الخوارق التي تخرق عادة جميع الثقلين، فلا تكون لغير الأنبياء، ولغير من شهد لهم بالنبوة»[٢].

فالأنبياءُ عليهم الصلاة والسلام أيَّدهمُ اللهُ بالمعجزاتِ والبراهينِ الصادقةِ الدّالةِ على صحةِ نبوتِهم وصدقِ دعواهم، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي ﷺ: **(ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة)**[٣].

فالمعجزة دليل مهم من الأدلة على صدق النبي وليست هي الدليل الوحيد.

قال النووي: «ومعناه أن معجزات الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ انقرضت بانقراض أعصارهم، ولم يشاهدها إلا من حضرها بحضرتهم، ومعجزة نبينا ﷺ القرآن المستمر إلى يوم القيامة، مع خرق العادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات، وعجز الجن والإنس عن أن يأتوا بسورة من مثله، مجتمعين أو متفرقين، في جميع الأعصار مع اعتنائهم بمعارضته فلم يقدروا وهم أفصح القرون، مع غير ذلك من وجوه إعجازه المعروفة»[٤].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وليس المراد حصر معجزاته فيهن ولا أنه لم يؤت

(١) الإتقان في علوم القرآن ٢/ ١١٦، معجم لغة الفقهاء ص٤٣٩.

(٢) النبوات ٢/ ٨٦٣.

(٣) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي، وأول ما نزل (٤٩٨١)، ومسلم، كتاب الإيمان باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ (١٥٢).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ٢/ ٣٦٤.

من المعجزات ما أوتي من تقدمه، بل المراد أنه المعجزة العظمى التي اختص بها دون غيره»[١].

فقد قال تعالى عن نوح عليه والسلام: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١٥].

ومن معجزات إبراهيم عليه السلام الكثيرة نجاته عندما ألقي في النار، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨ - ٧٠].

ولما اشتهر قوم موسى عليه السلام بالسحر أيده الله تعالى بمعجزات كثيرة منها تحول العصا إلى حية، وآية اليد، قال تعالى: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [القصص: ٣١ - ٣٢].

وانفلاق البحر له، كما قال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣].

وآتاه تسع آيات: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [الإسراء: ١٠١].

وكذلك عيسى ابنُ مريمَ عليه الصلاة والسلام اشتهرَ قومُه بالطبِّ ومع ذلك عجَزُوا عن أن يعارضوا عيسى ابنَ مريمَ عليه الصلاة والسلام إذ أيَّدَهُ اللهُ بمعجزةِ إحياءِ الموتى وإبراءِ الأكمه والأبرصِ بإذنِ الله، قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ

(١) فتح الباري ٩/ ٦.

طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٩].

ولما طلبَ قومُ صالحٍ من نبيِّ اللهِ صالح معجزةً أيدَهُ اللهُ بالمعجزةِ وهي الناقة: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [الأعراف: ٧٣].

ونبينا محمدٌ ﷺ أيدهُ اللهُ تبارك وتعالى بمعجزاتٍ كثيرةٍ. وقد اشتهرَ قومُه باللغةِ العربيةِ بالفصاحةِ والبلاغةِ، وأعظمُ معجزاتِ النبيِّ القرءانُ الذي عجَزَ فصحاءُ العربِ وبلغاؤُهم عن أن يأتُوا ولو بمِثلِ ءايةٍ أو سورة أو شيء منه، قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

قال شيخ الإسلام: «وجميع عقلاء الأمم عاجزون عن الإتيان بمثل معانيه أعظم من عجز العرب عن الإتيان بمثل لفظه»[(١)].

ومِنَ الرسل مَنْ أرسله الله تعالى إلى قومه خاصة، ومنهم من أرسله إلى العالمين عامة، ولهذا تنوّعت المعجزات؛ وهي خوارق العادات التي أيّد الله تعالى بها رسله، وكلها معجزات حسية مادية لا تؤثر إلا فيمن حضرها، إلا معجزة خاتمهم ﷺ؛ فقد كانت عقلية وجدانية تخاطب العقل والوجدان إلى آخر الزمان.

ولذا فإن الاستفادة من معجزة النبي ﷺ في الدعوة تحتاج لجهد ومعرفة من الدعاة لا سيما مع المخالفين في الدين كاليهود، أو العقلانيين والحداثيين الذين يشككون الناس في الغيبات.

(١) الجواب الصحيح ٥/ ٤٣٤.

خامساً: جمع الله لهم بين النبوة والبشرية:

ومما يدل على بشريتهم أن الله تعالى جعل لهم ما فطر عليه البشر، فقد وهب الله عامة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أزواجاً وذرية ما عدا يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠].

وعندما طلب الكفار من رسول الله ﷺ كثيراً من المعجزات قال لهم: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٣ - ٩٥].

فالأنبياء يصيبهم ما يصيب البشر من أعراض، فهم ينامون ويقومون، ويصحون ويمرضون، ويأتي عليهم ما يأتي على البشر وهو الموت، فقد جاء في ذكر إبراهيم خليل الرحمن لربه: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [الشعراء: ٧٩ - ٨١]، وقال الله لعبده ورسوله محمد ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، وقال مبيناً أنّ هذه سنته في الرسل كلهم: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

فمن المهم جداً الربط بين بشرية الأنبياء ورسالتهم، حتى لا يقع الغلو فيهم أو التفريط في حقهم، أو ادعاء أحد شيئاً من خصائصهم.

فمن أخطر ما تعرضت له كتابات العصريين عن النبي ﷺ إبرازهم لبعض الصفات بعيداً عن كونه رسولاً كمن وصفه بالعبقرية كما في كتاب العقاد، أو بطل الحرية في كتابات عبد الرحمن الشرقاوي.

وكل هذه مسميات تحجب عن الصفة البارزة والمهمة الأساسية وهي «النبوة» المؤيدة بالوحي، بل إن أحدهم ألف كتاباً سماه «عظماء في التاريخ» وجعل أولهم نبينا محمد ﷺ[١]. وضم الكتاب أسماء أرسطو، وبوذا، وكونفوشيوس، وهتلر، وأفلاطون، وزرادشت.

نعم. لقد كان رسول الله ﷺ عظيماً والأنبياء كلهم كذلك، ولكن لا بد من التركيز على خاصية النبوة أولاً، وإبرازها في كل تعريف على أنها أول وصفٍ للرسل عليهم السلام، لأن دراسة حياة الأنبياء عليهم السلام تحت أي اسم آخر من شأنها أنْ تقصر عن استيفاء جوانب شخصيتهم العظيمة.

ومن جانب آخر.. فإن الجمع بين البشرية والنبوية يؤدي إلى عدم الغلو فيهم، كما قال رسول الله ﷺ: **(لا تطروني، كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله، ورسوله)**[٢].

فالداعية المصلح هو من يعطي للأنبياء حقوقهم الشرعية بلا غلو ولا جفاء.

---

(١) ألف هذا الكتاب عالم الفلك والرياضيات والمؤرخ (مايكل هارت)، لقد قام بالبحث في التاريخ عن الرجال الذين كان لهم أعظم تأثير على البشر، وقد ذكر في هذا الكتاب أكثر من مائة رجل.

(٢) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ﴾ [مريم: ١٦] (٣٤٤٥).

ومن حرص النبي ﷺ على أمته أنه عندما نزل به الموت قال: (لَعْنَةُ الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد). قالت عائشة: يحذر ما صنعوا[(١)]، وقال: **(اللَّهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)**[(٢)].

سادساً: العصمة[(٣)]:

الأنبياء وظيفتهم التبليغ عن الله تعالى مع كونهم بشرا، ولذا **فهم عليهم الصلاة والسلام معصومون في التبليغ عن الله تبارك وتعالى**، فلا يكتمون شيئاً مما أوحاه الله إليهم، ولا يزيدون عليه من عند أنفسهم، قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤ - ٤٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإن الآيات الدالة على نبوة الأنبياء دلت على أنهم معصومون فيما يخبرون به عن الله عز وجل فلا يكون خبرهم إلا حقاً، وهذا معنى النبوة،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب حدثنا أبو اليمان (٤٣٥، ٤٣٦)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها (٥٣١).

(٢) موطأ مالك ١/ ١٧٢، وهو عنده مرسل، ولفظ أحمد، ٢/ ٢٤٦: (اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد، ولعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)، وأبو نعيم في الحلية، ٧/ ٣١٧، وانظر: فتح المجيد، ص١٥٠.

(٣) تراجع هذه المسألة في رسالة علمية بعنوان: عصمة الأنبياء بين المسلمين وأهل الكتاب، إعلام المسلمين بعصمة النبيين، د إسحاق بن عقيل عزوز المكي.

وهو يتضمن أن الله ينبئه بالغيب وأنه ينبئ الناس بالغيب، والرسول مأمور بدعوة الخلق وتبليغهم رسالات ربه»(١).

قال الشيخ عبد العزيز بن باز: «قد أجمع المسلمون قاطبة على أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولاسيما محمد ﷺ معصومون من الخطأ فيما يبلغونه عن الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ١ - ٤]، فنبينا محمد ﷺ معصوم في كل ما يبلغ عن الله قولاً وعملاً وتقريراً، هذا لا نزاع فيه بين أهل العلم»(٢).

وبالنسبة للأنبياء كأناس يصدر منهم الخطأ، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام، وجميع الطوائف... وهو أيضاً قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء، بل لم يُنقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول»(٣).

وأما صغائر الذنوب فربما تقع من بعضهم، ولهذا ذهب أكثر أهل العلم إلى أنهم غير معصومين منها، وإذا وقعت منهم فإنهم لا يُقرون عليها بل ينبههم الله تبارك وتعالى عليها فيبادرون بالتوبة منها، كقوله تعالى عن آدم عليه السلام: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ۝١٢١ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢١ - ١٢٢]، وهذا دليل على وقوع المعصية من آدم عليه الصلاة والسلام، وعدم إقراره عليها، مع توبته إلى الله منها.

---

(١) مجموع الفتاوى ١٨/ ٧.
(٢) مجموع فتاوى ابن باز ٦/ ٣٧١.
(٣) مجموع الفتاوى ٤/ ٣١٩.

وكقوله تعالى عن موسى عليه السلام عندما قتل نفساً عن غير قصد: ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ۝١٥ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٥ - ١٦] فموسى عليه السلام اعترف بذنبه وطلب المغفرة من الله بعد قتله القبطي، وقد غفر الله له ذنبه.

وقال تعالى عن داود عليه السلام، قوله تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ۝٢٤ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٢٤ - ٢٥]، وكانت معصية داود هي التسرع في الحكم قبل أن يسمع من الخصم الثاني.

وقال تعالى عن يونس عليه السلام: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧ - ٨٨].

وهذا نبينا محمد ﷺ يعاتبه ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في أمور ذكرت في القرآن، منها: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التحريم: ١]. وذلك في القصة المشهورة مع بعض أزواجه ﷺ.

وعاتبه في شأن المنافقين الذين تخلفوا: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [التوبة: ٤٣].

وعاتبه في شأن أسرى بدر بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [الأنفال: ٦٧].

وكذا عتاب الله تعالى للنبي ﷺ في أمر عبد الله بن أم مكتوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما قال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤

﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩
فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ [عبس: ١ - ١٠].

قال شيخ الإسلام: «وعامة ما يُنقل عن جمهور العلماء أنهم - أي الأنبياء - غير معصومين عن الإقرار على الصغائر، ولا يقرون عليها، ولا يقولون إنها لا تقع بحال، وأول من نُقل عنهم من طوائف الأمة القول بالعصمة مطلقاً، وأعظمهم قولاً لذلك: الرافضة، فإنهم يقولون بالعصمة حتى ما يقع على سبيل النسيان والسهو والتأويل»[١].

وأما الخطأ في الأمور الدنيوية، فيجوز عليهم الخطأ فيها مع تمام عقلهم، وسداد رأيهم، وقوة بصيرتهم، وقد وقع ذلك من بعض الأنبياء ومنهم نبينا محمد ﷺ ويكون ذلك في مناحي الحياة المختلفة من طب وزراعة وغير ذلك.

فعن رافع بن خديج رضي الله عنه قال: قدم نبي الله ﷺ المدينة، وهم يؤبرون النخل، يقولون يلقحون النخل، فقال: **(ما تصنعون؟)** قالوا: كنا نصنعه، قال: **(لعلكم لو لم تفعلوا كان خيراً)** فتركوه، فنفضت أو فنقصت، قال فذكروا ذلك له فقال: **(إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي، فإنما أنا بشر)**[٢]، وبهذا يكون قد علم أن أنبياء الله تعالى معصومون عن الخطأ في الوحي، ولنحذر ممن يطعنون في تبليغ الرسول ﷺ، ويشككون في تشريعاته ويقولون هي اجتهادات شخصية من عنده حاشاه ﷺ.

(١) مجموع الفتاوى ٤/ ٣٢٠.

(٢) صحيح مسلم كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا، دون ما ذكره ﷺ من معايش الدنيا، على سبيل الرأي (٢٣٦٢).

سابعاً: القدوة:

ذكر الله تعالى مجموعة من الأنبياء في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ كُلًّا هَدَيْنَاۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٨٣ – ٨٧].

ثم قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مخاطباً نبيه محمداً ﷺ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

فيأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نبيه محمداً ﷺ أن يقتدي بمنهج الأنبياء وأن يقتفي أثرهم وأن يسير على سنتهم، والخطاب للنبي ﷺ خطاب لأمته من بعده إلى قيام الساعة.

فلا يكاد يخلو جزء من القرآن الكريم من قصة دعوة نبي من الأنبياء، أو إشارة إليه وإلى ما جرى بينه وبين قومه، وفي هذا دعوة إلى أولئك الذين يقرؤون ذلك الكتاب ويتعبدون الله بتلاوته إلى أن يسيروا وفق هذا المنهج وأن يرتسموا معالمه ويسلكوا خطاه.

فالأنبياء هم قمة النجاح والإنجاز البشري، وقد اعتاد الناس أيّاً كانت اتجاهاتهم ومذاهبهم وطرقهم أن يُثنوا على أولئك الذين ينجحون وينجزون ويبدعون، أفليس

الدعاة إلى الله أحوج إلى دراسة سير الأنبياء عليهم السلام، ويستلهموا طريقة دعوتهم، وكيف حققوا مقاصدهم ونجحوا فيما يسعون إليه.

إنهم أولى بأن يعتني المسلمون بسيرهم؛ لأنهم في قمة البشرية والنجاح والإبداع والإنجاز، فكيف وهم مع ذلك معصومون!!

المبحث الثاني

الصفات الدعوية للأنبياء والرسل عليهم السلام

تميز الأنبياء والرسل عليهم السلام بصفات عظيمة جعلت منهم القدوة وأنهم خير البشر، وقد اتفقوا جميعاً في مجموعة من الصفات، وتميز كل منهم أو بعضهم بصفات خاصة كما حكى القرآن ذلك، وهنا سنعرض مجموعة من الصفات التي نص عليها القرآن، وتوافق عليها الأنبياء والرسل، ونجملها في النقاط التالية:

أولاً: الأمانة:

الأمانة صفة أساسية لكل الأنبياء عليهم السلام حيث إن الدعوة تحتاج لتلك الصفة في دقة التبليغ وشموليته، وفي أخلاقيات الداعية في التعامل مع المجتمع، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء ١٠٦-١٠٧]، وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٢٤ - ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٤٢ - ١٤٣]، وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٦١ - ١٦٢]، وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٧٧ - ١٧٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الدخان: ١٧ - ١٨]، وقالت الجاريتان عن موسى عليه السلام: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

والأمانة: أول الأخلاق التي عُرف بها النبي ﷺ حتى اشتهر بها قبل البعثة وبعدها، ولُقِّبَ بالصادق الأمين، وهذا هو ما يميز صاحب الرسالة عن غيره، والفرق بين صاحب الدعوة ومدعيها، هي هذه الشهادة من الناس.

ثانياً: العفة عما في أيدي الناس:

إن الناظر إلى قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في القرآن يجد أنهم في دعوتهم دائماً ما يقرنون ذلك بقولهم: ﴿لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾ [الأنعام: ٩٠] وقولهم: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ [هود: ٢٩] وقولهم: ﴿يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ﴾ [هود: ٥١] وقولهم: ﴿مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ﴾ [الفرقان: ٥٧] وقولهم: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٩] وهذه العبارة تكررت منهم في سورة الشعراء على لسان خمسة أنبياء، وهم: نوح وهود وصالح ولوط وشعيب على الترتيب والتوالي.

وقال تعالى عن نبينا محمد ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾ [الشورى: ٢٣].

فالتأكيد على عدم طلب الأجر أمر ضروري للدعوة الناجحة الصحيحة، فقد كان الكهنة ورجال الدين المنحرفون دائماً مصدر ابتزاز للأموال بشتى الأساليب حتى قال الله تعالى عنهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ [التوبة: ٣٤]، فأما دعوة الله الحقة فكان دعاتها دائماً متجردين، لا يطلبون أجراً على الهدى. فأجرهم على رب العالمين.

ثالثاً: الكسب من عمل اليد:

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ

﴿وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١] **وقال:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]...»[١]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان٢٠]. قال القرطبي: «أي: يتجرون ويحترفون»[٢].

وقال ابن كثير: «للتكسب والتجارة، وليس ذلك بمنافٍ لحالهم ومنصبهم؛ فإن الله جعل لهم من السمات الحسنة، والصفات الجميلة، والأقوال الفاضلة، والأعمال الكاملة، والخوارق الباهرة، والأدلة القاهرة، ما يستدل به كل ذي لب سليم، وبصيرة مستقيمة، على صدق ما جاءوا به من الله عز وجل»[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(ما من نبي إلا رعى الغنم)** فقال: أصحابه: وأنت؟ قال: **(نعم. كنت أرعاها على قراريط[٤] لأهل مكة)**[٥].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان آدم عليه السلام حراثاً، وكان إدريس خياطاً، وكان نوح نجاراً، وكان هود تاجراً، وكان إبراهيم راعياً، وكان داود زراداً[٦] وكان شعيب راعياً، وكان لوط زراعاً، وكان صالح تاجراً، وكان سليمان خواصاً[٧]،

(١) صحيح مسلم، كتاب الكسوف، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها (١٠١٥).
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي١٣/ ١٤.
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/ ١٠٠.
(٤) قراريط: جمع قيراط، والمراد به هنا جزء من الدينار والدرهم. انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ٢/ ٢٣٣.
(٥) صحيح البخاري، كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط (٢٢٦٢).
(٦) الزَّرَد: حِلَقُ المِغْفَر والدرع والسَّرْدُ ثقْبها. والزَّرَّادُ صانعها. انظر: لسان العرب ٣/ ١٩٤.
(٧) الخَوّاصُ: مُعالجُ الخُوص وبيّاعُه، والخُوصُ ورَقُ المُقْلِ والنَّخْلِ والنَّارَجيلِ، انظر: لسان العرب ٧/ ٣١.

وكان موسى أجيراً، وكان محمد ﷺ شجاعاً جعل رزقه تحت رمحه[(١)]»[(٢)].

وكذلك اشتغل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بالبناء قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

«ويؤخذ من هذا درس لطيف؛ وهو أنه على الدعاة أن تكون لديهم خبرات في تلبية احتياجات الدعوة، فعندما أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام ببناء الكعبة، كانت تحتاج إلى معرفة وخبرة بالبناء»[(٣)].

وكذلك اشتغل إسماعيل عليه السلام في الصيد، فقد ثبت في قصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: **(... فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يطالع تركته فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا)**[(٤)]، وفي رواية: **(وكان عيش إسماعيل الصيد يخرج فيتصيد)**، وفي رواية: **(وكان إسماعيل يرعى ماشيته ويخرج متنكباً قوسه فيرمي الصيد)**[(٥)]. فقوله: **(يبتغي لنا)** قال ابن حجر: «أي يطلب لنا الرزق»[(٦)].

وكان ليوسف عليه الصلاة والسلام القدرة على الحُكْم، والعلم بالصنعة والإدارة وخصوصاً في المجال الاقتصادي، فكان ذلك مؤهلاً لأن يحتاجه عزيز مصر ليدير له

(١) هذا اقتباس من حديث صحيح مرفوع إلى النبي ﷺ ونصه: (جعل رزقي تحت ظل رمحي) أخرجه البخاري في الصحيح تعليقاً في كتاب الجهاد والسير باب ما قيل في الرماح، وحسنه الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ٥/ ١٠٩ـ.

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٢/ ٦٥٢ (٤١٦٥)، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١/ ١٣٩.

(٣) رعاية الله لأنبيائه في القرآن، د. محمد بن عبد العزيز العواجي، ص٢٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب ﴿يَزِفُّونَ ۝٩٤﴾ (٣١٨٤).

(٥) الروايتان ذكرهما ابن حجر عن ابن جريج في فتح الباري ٦/ ٤٠٤ وسكت عنهما، ولم أقف عليهما في مرجع آخر.

(٦) فتح الباري ٦/ ٤٠٤.

خزائن مصر وحل المشكلات الاقتصادية التي تنزل بأهل مصر في السنين العجاف: قال تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥].

وموسى عليه السلام يعمل عشر سنوات صداقاً لزواجه ولم يتكل على أحد، قال تعالى عن والد المرأتين: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص: ٢٦ - ٢٨].

وهذا داود عليه الصلاة والسلام يعمل في صناعة الدروع، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ [الأنبياء٨٠]، قال القرطبي مستشهداً بهذه الآية على: «أكل الرجل من عمل يده، قال رسول الله ﷺ: **(إن أطيب ما أكل الرجل من عمل يده وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده)**[1]، وفي ذلك فضل هذه الصنعة إذ أسند تعليمها إياه إلى الله تعالى»[2].

ومن هنا تبين أن الأنبياء والرسل كان كسبهم من عمل أيديهم، وهذا مصدر قوة لهم في دعوتهم، إذا رأى ذلك منهم المدعوين -سواء المستجيبين لهم أو المعاندين-، وأنهم لا يطلبون المال، بل ينفقون على الدعوة من كسبهم الخاص، ولا يريدون من دعوة الناس أي منفعة دنيوية، فقد ذكر الله تعالى عنهم قولهم للمدعوين: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٩].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل من عمل يده (٢٠٧٠).
(٢) البحر المحيط، لأبي حيان ٨/ ١٧٩.

رابعاً: الصبر:

جعل من الصبر سبباً للنجاح والإمام كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ [السجدة: ٢٤]. وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧]. وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وقد صرح الله تعالى عن مجموعة من الأنبياء وبَيَّن صبرهم، فقال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٤]، وقال عن أيوب عليه السلام: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤]، وقال: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥]، وقال عن إسماعيل عليه السلام عندما أراد إبراهيم ذبحه بأمر من الله: ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢].

فقد «أمر تعالى رسوله أن يصبر على أذية المكذبين المعادين له، وأن لا يزال داعياً لهم إلى الله، وأن يقتدي بصبر أولي العزم من المرسلين سادات الخلق أولي العزائم والهمم العالية، الذين عظم صبرهم، وتمَّ يقينهم، فهم أحقُّ الخلق بالأسوة بهم، والقفو لآثارهم، والاهتداء بمنارهم»[(١)].

فإن القيام على بالدعوة، والقيام بالحق والعدل، من أعسر ما يواجه الداعية، فلا بد من الصبر على النفس والغير، والصبر على الأذى والمشقة، والصبر على الباطل والشر، والصبر على طول طريق الدعوة، والصبر جهل المدعوين، والصبر على العمل والأخذ بالأسباب وعدم استعجال النتائج.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٧٨٣.

فالصبر: يحمل المسلم على الاحتمال وكظم الغيظ، وكف الأذى، والحلم، والأناة، والرفق، وعدم الطيش والعجلة.

خامساً: العبودية الحقيقية لله:

العبودية هي الغاية من الخلق كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، قال تعالى مادحاً الأنبياء عليهم السلام جميعا: ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقال تعالى مادحاً رسوله نوحاً عليه السلام: ﴿سَلَـٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات: ٧٩ - ٨١].

وقال تعالى مادحاً رسوله إبراهيم عليه السلام: ﴿سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات: ١٠٩ - ١١١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ [النحل: ١٢٠] وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥]

وقال تعالى مادحاً موسى وهارون عليهما السلام: ﴿سَلَـٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات: ١٢٠ - ١٢٢].

وقال تعالى: ﴿سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات: ١٣٠ - ١٣٢].

وهذا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، بنطق بعبوديته لله وهو في المهد، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠].

وقال تعالى عن يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣ - ١٤٤].

وقال تعالى عن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

وقال تعالى عن زكريا: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ [مريم: ٢].

أما رسولنا ﷺ فقد ذكره الله تعالى بالعبودية في مواطن كثيرة منها، قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١].

وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ [الكهف: ١].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩].

سادساً: دعاء الله والاستعانة به واللجوء له:

من أعظم مظاهر العبودية وتحقيق التوحيد الدعاء والاستعانة بالله تعالى، وقد ظهر ذلك جلياً عند الأنبياء، فهذا آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ يدعو ربه ويقول: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وهذا نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ يبث شكواه لربه من عناد وتكذيب قومه، قال تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الأنبياء: ٧٦]، وفي النداء، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا﴾ [نوح: ٥ - ٦]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ

﴿وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا﴾ [نوح: ٢١]. وقوله: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، وكان يدعو لنفسه ولمن آمن به، قال تعالى: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح: ٢٨].

وهذا إبراهيم عليه السلام يدعو ربه فيقول: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة: ١٢٦] ، ويقول: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧ - ١٢٩]. وقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٣٧ - ٣٨]، وقال إبراهيم عندما اشتاق للولد: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠]، وقال بعدما رزق الولد: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤٠ - ٤١].

وهذا موسى عليه السلام يقول عند قتل نفساً خطأ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٦]، ثم قال الله عنه: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢١ - ٢٢]، وعندما سقى للجاريتين قال: ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

ولما بعثه ربه إلى فرعون قال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي﴾ [طه: ٢٥ - ٢٩].

ولما كثر طغيان فرعون قال موسى عليه السلام: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨].

ولما عبد بنو إسرائيل العجل وحصل بين موسى وبين هارون عليه السلام شيء، قال موسى داعياً ربه: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١]، ولما رفض بنو إسرائل دخول الأرض المقدسة دعا ربه بقوله: ﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٥].

وهذا أيوب عليه السلام يقول الله عنه: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

ويقول الله عن يونس عليه السلام: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣ - ١٤٤].

وهذا زكريا يقول الله تعالى عنه: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩]، وكان دعائه مناجاة لله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ٢ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ٤ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي

﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٢ - ٦]، وقال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عمران: ٣٨].

وهذا يعقوب عليه السلام يقول: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨٦ يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٦ - ٨٧].

وهذا يوسف يلجأ لربه عندما في حال الابتلاء فيقول: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣]، وعند النعمة كذلك يقول: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

أمر الله تعالى نبيه ﷺ بدعائه وورد ذلك في القرآن على صور مختلفة ومنها، قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠]. وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]. وقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ۝٩٣ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٩٣ - ٩٤]. وقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٧ - ٩٨].

وقوله: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٨].

ونفذ النبي ﷺ أمر الله تعالى بدعائه في مواطن كثيرة منها، فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: كان أكثَرَ دعاءِ النبيِّ ﷺ: **(اللهم ربَّنا آتِنا في الدنيا حسنةً، وفي الآخِرةِ حسنةً، وقِنا عذابَ النارِ)**[١].

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يُكثِرُ أن يقولَ: **(يا مقلِّبَ القلوبِ ثبِّت قلبي على دينِكَ)**[٢].

ومن المواقف الدعوية دعائه في بدر، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال، قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاث مائة وتسعة عشر رجلا، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة، ثم مد يديه، فجعل يهتف بربه: **(اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض)**، فما زال يهتف بربه، مادا يديه مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه[٣].

لقد كان الأنبياء والرسل عليهم سلام الله يلجؤون إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في السراء والضراء، يلجؤون إليه عبادة وخضوعاً وتذللاً له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويلجؤون إليه استعانة واستنصاراً به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

سابعاً: الأخلاق الحسنة:

بيَّن الله في كتابه أن الأنبياء والرسل عليهم السلام تميزوا بكثير من الأخلاق الفاضلة الحسنة

(١) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب قول النبي ﷺ: (ربنا آتنا في الدنيا حسنة) (٦٣٨٩)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل الدعاء باللهم آتنا في الدنيا (٢٦٩٠).

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الدعاء، باب دعاء رسول الله ﷺ (٣٨٣٤)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٠٩١).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم (١٧٦٣).

التي أهلتهم لكي يكونوا مبليغين عن الله تعالى، ومن ذلك **خلق الحلم** فقد وصف الله تعالى به إبراهيم عليه الصلاة والسلام في قوله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾ [هود: ٧٥] «أي: ذو خلق حسن وسعة صدر، وعدم غضب، عند جهل الجاهلين»[١].

وقال تعالى عن إسماعيل عليه السلام: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات١٠١] «ووصف الله إسماعيل، عليه الصلاة والسلام بالحلم، وهو يتضمن الصبر، وحسن الخلق، وسعة الصدر والعفو عمن جنى»[٢].

وشهد قوم شعيب عليه الصلاة والسلام له بالحلم، بقولهم: ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧].

وكذلك **خلق الصدق**، كما قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٤١]، وقال عن إسماعيل: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥٤]، وقال عن إدريس: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥٦]، وقيل عن يوسف عليه الصلاة والسلام ذلك أيضاً بشهادة الكفار كما حكي الله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾ [يوسف: ٤٦].

وقد وصف الله تعالى نبيه ﷺ بحسن الخلق عموماً بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وأُمر ﷺ بحسن الخلق قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٣٨٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٧٠٥.

لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

وكانت صفة الرحمة من أعظم صفات النبي ﷺ التي مدحه الله بها، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وهذا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه يصف رسول الله ﷺ للنجاشي ويقول: «حتى بعث الله إلينا رسولاً نعرف نسبه **وصدقه، وأمانته وعفافه**»[١].

(١) مسند أحمد١/ ٢٠١ (١٧٤٠)، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن. وقد أوردته مختصراً.

المبحث الثالث

أسس دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام

اتفقت دعوة الأنبياء جميعاً على مجموعة من الأسس التي دعو إليها، وأكدوا عليها في دعوتهم للناس، نجملها في النقاط التالية:

المطلب الأول الإسلام هو دين كل الأنبياء والرسل عليهم السلام.

المطلب الثاني تقرير التوحيد.

المطلب الثالث تقرير النبوة والرسالة.

المطلب الرابع تقرير البعث والجزاء.

المطلب الخامس علاج المنكرات المتفشية في المجتمع.

المطلب السادس الوحدة وجمع الكلمة.

المطلب السابع إقامة العدل.

المطلب الأول

الإسلام هو دين كل الأنبياء والرسل عليهم السلام

الإسلام دين جميع أنبياء الله ورسله وأتباعهم من أولهم إلى آخرهم، والأدلة في ذلك كثيرة منها قول الله تعالى عن إبراهيم ويعقوب عليهما الصلاة والسلام: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢ - ١٣٣]، وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧].

وقال تعالى عن عيسى ﷺ: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١].

وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يقول لأهل الكتاب: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]، وقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وعند مجادلة أهل الكتاب أمر الله تعالى نبيه بإعلان الإسلام والدعوة إليه، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وكذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٨].

وهذا رسول الله ﷺ، يعلن أن دين الأنبياء واحد بقوله: **(أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد)**[١].

وقال رسول الله ﷺ: (مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين)[٢].

فالإسلام بناء كبير، وقد ختم الله بالنبي ﷺ هذا البناء وأكمله، كما قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فالعالم يحتاج إلى من يظهر علم الأنبياء، لقول النبي ﷺ: **(إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)**[٣].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ﴾ [مريم: ١٦] (٣٤٤٣).

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ﷺ (٣٥٣٤).

(٣) سنن أبي داوود، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة (٤٢٩١)، وصححه الألباني في الصحيحة (٥٩٩).

المطلب الثاني

تقرير التوحيد

الإسلام دين كل الأنبياء والتوحيد هو أصل وأساس دعوة كل الأنبياء والأدلة على ذلك كثيرة منها قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]. وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ورُوي عن قتادة رحمه الله تعالى أنه قال: «أُرْسِلت الرسل بالإخلاص والتوحيد، لا يقبل منهم عمل حتى يقولوه ويقروا به»(١).

ومن الآيات الدالة على بدء الأنبياء والرسل بالتوحيد والنهي عن الشرك قوله تعالى عن دعوة **نوح** عليه السلام: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وقال تعالى عن دعوة هود عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٦٥].

وقال سبحانه عن دعوة صالح عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٧٣].

---

(١) جامع البيان ١٦/ ٢٥٠.

وقال سبحانه عن دعوة شعيب عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٨٥].

وقال سبحانه عن دعوة إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٦].

وقال سبحانه عن دعوة يعقوب عليه السلام: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

وقال سبحانه عن دعوة يوسف عليه السلام: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠].

وقال سبحانه عن دعوة موسى عليه السلام: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦]، إلى أن قال: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣ - ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٨ - ١٤٠].

وقال سبحانه عن دعوة عيسى عليه السلام: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وقال عن دعوة محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٥١].

المطلب الثالث
تقرير النبوة والرسالة

من أسس دعوة الأنبياء عليهم السلام؛ دعوتهم قومهم إلى الإيمان بنبوتهم وأنهم مرسلون من عند الله، فالله تعالى عندما خلق الخلق لم يتركهم هملاً بل أرسل إليهم رسلاً يعلمونهم ويرشدونهم وينذرونهم ويبشرونهم، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وقال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣]، وقال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥].

وقال تعالى عن دعوة نوح عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء ١٠٦- ١٠٧]، وقال عن هود عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٢٤ - ١٢٥]، وقال عن صالح عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٤٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٤٢ - ١٤٣]، وقال عن لوط عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ

﴿أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٦١ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٦١ - ١٦٢]، وقال عن شعيب عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٧٧ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٧٧ - ١٧٨].

وقال تعالى عن دعوة إبراهيم عليه السلام: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ٤٣]

وقال تعالى عن دعوة موسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الصف: ٥]، وقال تعالى: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦].

وقال تعالى عن دعوة عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

وقال تعالى عن نبينا محمد ﷺ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]. وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢].

ومقتضى الإيمان بالرسل في دعوة الأنبياء الإيمان بجميع الأنبياء، فلا فرق بين رسول ورسول، قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فمن كذب رسولاً من رسل الله فهو مكذب بالرسل أجمعين، ألا ترى إلى قول الله

تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥]، مع أنهم لم يواجهوا بهذا التكذيب إلا رسولاً واحداً، هو نبي الله نوح عليه السلام، ومثل هذا قيل لقوم هود: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٣]، وقوم صالح: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٤١]، وقوم لوط: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٠]، وأصحاب الأيكة: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٧٦].

فهذا يدل على وحدة الدعوة، وترابطها ترابطاً وثيقاً، يجعل المصدق بواحد من الأنبياء مصدق بالجميع، والمكذب لواحد منهم مكذباً بالجميع.

المطلب الرابع
تقرير البعث والجزاء

من أسس دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام دعوتهم للإيمان باليوم الآخر وما فيه من بعث وجزاء، قال تعالى مبيناً ذلك عن نوح عليه السلام: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [نوح: ١].

وهذا ظاهر وجليٌّ في خطاب نوح عليه السلام لقومه، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٧ - ١٨].

وقال تعالى عن شعيب عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٦].

وقال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨١ - ٨٢] إلى أن قال: ﴿وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾

﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ [الشعراء: ٨٧ - ٨٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [البقرة: ١٢٦].

وقال تعالى عن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٣٧].

وقال تعالى لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ١٥ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ﴾ [طه: ١٥ - ١٦].

ولذا قال موسى في دعائه: ﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وقال تعالى عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة: ٧٢].

وقال تعالى عن نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن ذلك التحذير من الغفلة عن المعاد وما فيه من جزاء بقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

والرد على من أنكر المعاد وتفنيد شبههم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ٣ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ٤ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ٥ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ

لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ [ق: ٣ - ١١].

وقد أخبَر الله تعالى أن الكفار إذا أُدخِلوا النار يُقرُّون أن رسلهم أنذرتْهم هذا اليوم؛ كما في قوله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٠].

فجميع الرُّسل أنذَروا بما أنذر به خاتَمُهم، عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه.

المطلب الخامس
علاج المنكرات المتفشية في المجتمع

فنجد أن لكل نبي قضية خاصة يركز عليها، فكل نبي يُعنى عناية خاصة بالأمراض التي توجد في مجتمعه وبين قومه.

ومن أمثلة ذلك ما كان في **دعوة أبينا إبراهيم** عليه السلام، فقد قام بدعوة ثلاث فئات:

الأولى: قوم انتشرت فيهم الأصنام وتقديسها واتخاذها صناعة، فكان يدعوهم للتوحيد الخالص ويركز في دعوة قومه على علاج هذه المخالفة العقدية قال تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ﴾ [العنكبوت: ١٦ - ١٨]. حتى وصل به الأمر إلى أن كسر تلك الأصنام وجادلهم فيها جدالاً قوياً، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن

شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ مُدۡبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقۡبَلُوٓاْ إِلَيۡهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ﴾ [الصافات: ٨٣ – ٩٨].

الثانية: قوم عبدوا الكواكب من دون الله، فقد دعاهم إلى التوحيد الخالص، وركز على إبطال عبادة الكواكب، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٧٤ – ٧٨].

الثالثة: دعوة من يدعي الربوبية، فقد دعاه إلى التوحيد وركز على إبطال قضية ادعاء الربوبية، قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

ويبرز كذلك في **دعوة شعيب** عليه السلام، حيث انتشر في قومه تطفيف الميزان وأكل أموال الناس بالباطل، فدعاهم للتوحيد، وركز على علاج هذه المشكلة الاقتصادية،

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ (٨٤) وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٨٥) بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ (٨٦) قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٤ - ٨٧].

وهذا الأمر غاية في الأهمية، حيث إن التطفيف في الميزان ظلم يقع على الناس وخصوصاً الفقراء منهم.

ويبرز كذلك في **دعوة لوط** عليه السلام، حيث انتشر في قومه مع الشرك جريمتان؛ الأولى: الفاحشة، والثانية: انتكاسة الفطرة حيث كانت تلك الفاحشة هي إتيان الرجل الرجل، فقام ﷺ بدعوتهم للتوحيد مع علاج تلك الجريمة الأخلاقية، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٦٣) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٤) أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٠ - ١٦٦]. وقال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٤ - ٥٦]، وقال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٨].

فمن الآيات السابقة تبين أن من فظاعة هذه الجريمة أن لوطاً عَلَيْهِ السَّلَامُ بدأ بعلاجها.

ويبرز كذلك في **دعوة موسى** عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث أرسل إلى قوم نزل عليهم الظلم، من قبل طاغية يدعي الربوبية فبدأ مع دعوتهم للتوحيد محاولة إزالة ذلك الظلم عنهم، والتركيز على علاج مشكلة ادعاء الربوبية، قال تعالى: ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدٗا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُواْ وَٱرْعَوْاْ أَنْعَٰمَكُمْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴾ [طه: ٤٧ – ٥٤].

ومن تتبع قصص الأنبياء ودعواتهم في القرآن والسنة يلحظ ذلك، فينبغي للداعية أن لا يهمل ذلك من مشروعه الدعوي.

فكل نبي كانت عنده أولوية خاصة مع قومه في علاج مشكلة منتشرة أولاها إهتماماً بعد التوحيد، ولم يؤثر هذا الاختلاف في وحدة الأنبياء، ولم يكن مصدر نزاع أو مشاقة، بل هو مما يؤكد اتجاه غايتهم جميعاً نحو أسلم طريق للإصلاح وتحقيق الهدف المشترك، وأهم أمر يُصْلَح هو إصلاح علاقة العبد بربه، ثم بعد ذلك يصلح ما فسد من أمر المجتمع كل بحسبه.

المطلب السادس
الوحدة وجمع الكلمة

إن دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام دعوة واحدة، من لدن آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ؛ كما يقول الرسول ﷺ: (والأنبياء إخوة لعلاَّت أمهاتهم شتى ودينهم واحد)[1].

وإن هذه الوحدة بين الأنبياء عليهم السلام لم تأت عبثاً، بل هي وحدة تستدعي من الدعاة الاقتداء والتأسي بها فيما بينهم، درءاً للفرقة والخلاف، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

الأمة الواحدة قضية واضحة المعالم، في كتاب الله عز وجل، عند التدبر في أي سياق ورد في قصص الأنبياء، بل قد نص الله جل وعلا على ذلك تعقيباً على قصص الأنبياء قائلاً: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥١ – ٥٢].

وبين تعالى أن من أسباب إرسال الرسل الوحدة ونبذ الافتراق، قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [مريم: ١٦] (٣٤٤٣) (واللفظ له)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام (٢٣٦٥).

ورسل الله عليهم السلام عابهم أولئك الذين كرهوا الاجتماع، فعابوا نوحاً فقالوا: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَـٰذِبِينَ﴾ [هود: ٢٧].

ومن تأمل قصص الأنبياء عليهم السلام يرى أنهم كانوا يريدون أن يجمعوا الناس تحت مظلة واحدة، وهي مظلة لا إله إلا الله عقيدة وعلماً وعملاً.

وأمر الله تعالى نبيه ﷺ أمته بالوحدة وعدم التفرق، قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١ - ٣٢]. وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس: ١٩].

ومن عظم هذا الأساس قبل موسى اعتذار أخيه هارون عندما عبد بنو اسرائيل العجل، قال تعالى: ﴿قَالَ يَـٰهَـٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾ [طه: ٩٢ - ٩٤].

المطلب السابع

إقامة العدل

أرسل الله الرسل عليهم السلام جميعاً بأمور مشتركة وكان من بينها العدل، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥] «أي ليقوم الناس في الدين والدنيا بالقسط بالعدل في حق الله، وفي حق العباد فلو مشى الناس على شريعة الله لقاموا بالقسط، لكن كل من لم يكن على شريعة الله فهو جائر»(١).

يقول ابن القيم: «... إن الله سبحانه أرسل رسله وأنزل كتبه؛ ليقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذي قامت به الأرض والسموات، فإذا ظهرت أمارات العدل، وأسفر وجهه بأي طريق كان؛ فثم شرع الله ودينه، والله سبحانه أعلم وأحكم وأعدل أن يخصَّ طرق العدل وأماراته وأعلامه بشيء، ثم ينفي ما هو أظهر منها وأقوى دلالة وأبين أمارة فلا يجعله منها، ولا يحكم عند وجودها وقيامها بموجبها، بل قد بيَّن سبحانه بما شرعه من الطرق أن مقصوده إقامة العدل بين عباده، وقيام الناس بالقسط، فأي طريق استخرج بها العدل والقسط فهي من الدين وليست مخالفة له»(٢).

ففي هذه الآية إشارة إلى أحد الأغراض الرئيسية من بعثة الأنبياء عليهم السلام ألا وهو إقامة العدالة، وأنّ نزول الكتاب والميزان بمثابة المقدّمة لذلك.

(١) تفسير جزء الذاريات لابن عثيمين ص٢٥ بتصرف يسير.

(٢) الطرق الحكمية ص١٩.

لقد أُشير في هذه الآية إلى ثلاثة أمور باعتبارها مقدّمة لإقامة العدل، وهي:

١- **البينات:** وهي الأدلة سواء كانت معجزات، أو أدلة عقلية.

٢- **الكتاب:** أي الكتب السماوية المشتملة على العقائد والأحكام والأخلاق.

٣- **الميزان:** أي: القوانين المميّزة للخير من الشرّ والفضائل من الرذائل والحقّ من الباطل.

وقد تمتّع كل أنبياء الله عليهم السلام بهذه الثلاث التي تمكّنهم من دفع البشريّة نحو إقامة العدل، فالأنبياء عليهم أن يربوا الناس على العدل حتى يقوم الناس بالعدل فيما بينهم. حيث لم ينسب إقامة العدل إلى الأنبياء، بل للناس.

ولا بد من «الميزان» الإلهي لإنهاء حالة الخلاف والنزاع القائمة والوقاية منها، لأن القوانين البشرية الوضعية صادرة من علم الإنسان الناقص فلا يمكن الإعتماد عليها ولا تحقيق العدالة بها، بل تتحقق العدالة عندما نحقق القوانين الربانية النابعة من علم الله تعالى الذي لا يخالطه الخطأ، المنسجم مع النفس المؤمنة والفطر السوية.

وإلى أهمية أساس العدل في الدعوة يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأمور الناس تستقيم في الدنيا مع العدل الذي فيه الاشتراك في أنواع الإثم، أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق وإن لم تشترك في إثم، ولهذا قيل: إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الدولة الظالمة ولو كانت مسلمة، ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام.

فالعدل نظام كل شيء، فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت؛ وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق، ومتى لم تقم بعدل - لم تقم - وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة»[(١)].

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٨/ ١٤٦.

المبحث الرابع

معالم منهجية في دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام(١)

جعل الله لدعوة الأنبياء عليهم السلام معالم منهجية واضحة ومشتركة فيجدر بأن نستلهمها في الدعوة إلى الله ونراعي وجودها وقوتها لننجح بإذن الله تعالى.

وقد أجملناها في سبعة معالم:

◆ **المعلم الأول: بلسان قومه:**

قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤] فقد كان الأنبياء من أقوامهم ويتكلمون بألسنتهم وهذا يحقق مقاصد شتى:

أولاً: حتى يفقهوا ما يقول، ويدركوا ما يدعوهم إليه، ومن ثم فالخطاب الدعوي الموجه للناس ينبغي أن يكون واضحاً لا لبس فيه ولا غموض، ولا يسوغ أن تتجاوز الرغبة في جمال العبارة وحسن الأسلوب لتحول الحديث إلى ألغاز يُحتاج في إدراكه إلى خبراء في حل رموزه والبحث عن كوامنه.

ثانياً: كون النبي يتكلم بلسان قومه يعني أنه منهم يعرفهم ويعرفونه، ويعرف طباعهم وما هم عليه، ومن ثم فالداعية إلى الله ﷻ أحوج ما يكون إلى أن يعرف واقعه،

(١) تم تلخيص مادة هذا المبحث من كتاب: منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله د. محمد الدويش، منشور على موقع إسلام ويب، وأصله مادة صوتية.

ويعي حال الناس وحال المخاطبين؛ ولهذا اختار الله ﷻ الأنبياء من أقوامهم.

ثالثاً: يفيد هذا أنهم يعرفونه؛ فليس غريباً عليهم، وليس نكرة فيهم.

◆ المعلم الثاني: الوضوح وعدم تمييع الدين:

اتسم منهج الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، بأنهم واجهوا قومهم بانحرافاتهم مواجهة صريحة لا لبس فيها ولا غموض، **فلوط** عليه السلام يقول لقومه: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٠].

وشعيب عليه السلام **يقول الله** ﷻ **عنه**: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ [هود: ٨٤].

وإبراهيم عليه السلام الذي كان رحيماً رقيقاً مع أبيه يعمد إلى أصنام قومه فيكسرها ويحطمها؛ فيعقدون له مجلس المناظرة والمحاكمة، فيقول لهم: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٦ - ٦٧].

وموسى عليه السلام الذي أرسله الله إلى فرعون وأمره أن يقول قولاً ليناً يقول لفرعون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢].

والله تعالى يقول لنبينا محمد ﷺ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (٤) وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١ - ٦].

◆ **المعلم الثالث: الولاء على أساس الحق:**

لقد ضرب الله عز وجل لنا في القرآن مثلاً، فقال: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠].

ونوح عليه السلام حين وعده الله عز وجل أن ينجيه، وابنه من أهله وكان يراه في معزل فناداه نوحٌ كما قال تعالى في قصته: ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [هود: ٤٣]، وحينما دعا نوح ربه في مسألة ابنه قال الله عز وجل: ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦].

وإبراهيم عليه السلام **حين شاقه أبوه وعانده قال له ولقومه:** ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

وقال الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

والنبي صلى الله عليه وسلم **يحزن لموت عمه على الكفر فيقول الله له:** ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

◆ **المعلم الرابع: سنة العداء للدعوة والدعاة والمدعوين:**

إن من نتاج وحدة الأمة أن اتحدت مواقف أعدائهم منهم، واقرؤوا كتاب الله عز وجل لتروها صورة واحدة، إذ كل نبي يعيش صراعاً مع طغاة قومه، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ

شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢]، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١].

ومن العجيب أن تتحد الأساليب والطرق ولهذا يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذريات: ٥٢ - ٥٣]

ولهذا يقولها ورقة بن نوفل للنبي ﷺ حين أتاه وهو يرجف فؤاده: «ليتني حيّاً إذ يخرجك قومك»، قال ﷺ: **(أو مخرجيَّ هم؟)** قال: «نعم ما جاء رجل بمثل ما أتيت به إلا عُودِيَ»[(١)].

إنه منهج واحد وطريق واحد إنه العذاب والإيذاء، ومن ثم فإن أي دعوة تهادن أهل الشرك والطغيان والفجور والنفاق، وتتحاشى اللقاء مع الأعداء؛ فهي دعوة خاطئة غير ناجحة، لأنه تبحث عن منهج خارج منهج الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

◆ المعلم الخامس: حقيقة التمكين في دعوة الأنبياء:

وعد الله عَزَّ وَجَلَّ - ووعده صادق - بالتمكين للمؤمنين فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١ - ١٧٣].

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [إبراهيم: ٤٧].

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟ (٣).

فقد نصر الله طائفة من أنبيائه وأهلك أقوامهم وجعلهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عبرة وعظة للمكذبين من بعدهم، وهناك من أنبياء الله من يأتي يوم القيامة وليس معه إلا الرجل والرجلان، ومن يأتي يوم القيامة وليس معه أحد، ومنهم أولئك الذين تجرأ عليهم إخوان القردة والخنازير المغضوب عليهم فقتلوهم.

أترى أولئك الأنبياء الذين كتب الله لهم أن يقتلوا لم يتحقق فيهم وعد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟ بلى والله لقد تحقق فيهم هذا الوعد، لكن مفهوم النصر مفهوم أشمل، إنه ليس بالضرورة التمكين في دار الدنيا، فقد يقتل أنبياء الله وقد يمضون ولما يتبعهم أحد، لكن الله لن يخلف وعده رسله قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾ [غافر: ٥١]. هذا النصر إما: «بإعلائنا لهم على من كذبنا وإظفارنا بهم، حتى يقهروهم غلبة، ويذلوهم بالظفر ذلة. وإما بانتقامنا ممن حادهم وشاقهم بإهلاكهم وإنجاء الرسل ممن كذبهم وعاداهم. أو بانتقامنا ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ من مكذبيهم بعد وفاة رسولنا بإهلاكهم، ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾ من الملائكة والأنبياء والمؤمنين على الأمم المكذبة رسلها بالشهادة بأن الرسل قد بلغتهم رسالات ربهم، وأن الأمم كذبتهم»[(١)].

◆ **المعلم السادس: تنوع إهلاك الأقوام كل بحسب ذنبه:**

ولقد تنوّعت العقوبات الإلهية للمكذبين للرسل؛ فكان الغرق والخسف والريح والحجارة المسومة وغير ذلك؛ قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

(١) جامع البيان ٢١/ ٤٠٠ - ٤٠٢ باختصار.

وإلى ما قبل نزول التوراة كانت هذه العقوبات استئصالية عامة؛ فينتقم الله تعالى من الكافرين ويتولى ذلك بعذاب من عنده، وينجي الله المؤمنين وينصرهم ولم يكلفهم بمواجهة المشركين ولا بمدافعتهم؛ وفي هذا يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٤٣]، وبعد إنزال التوراة لم يعذب أمة بعامة، وفُرضت سنة المدافعة؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

وإذا تركت الأمة سنة المدافعة تبدّدت طاقاتها في صراعات داخلية، وسلط الله عليها الذل والضعف والانكسار، وساد الشرك وعمّ الفساد في البلاد، وعلا أهل العناد وتسلطوا على العباد؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١].

◆ **المعلم السابع: الاستمرار في الدعوة وتنويع طرق مباشرتها حسب الحال:**

إذا نظرنا في أساليب الأنبياء عليهم السلام ووسائلهم في دعوتهم لأقوامهم؛ فسنجد أن التنوع سمة عامة في كل الدعوات؛ فكل نبي أو رسول يبدأ دعوته باللين والحجج والبراهين وعرض الدليل تلو الدليل، ومع ذلك يصبر على أذى المعارضين وتكذيب المكذبين، ثم مع تصاعد المواجهة وردود الأفعال تتغيّر المواقف، وبيان ذلك فيما يلي:

فعلى سبيل المثال في **دعوة نوح** عليه السلام، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا

﴿٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا﴾ إلى أن قال: ﴿ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ٨ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [نوح: ٥ - ٩].

ومرة يلفت أنظارهم إلى السموات وما فيها من مظاهر قدرة الله جل جلاله، فيقول نوح لقومه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا ١٥ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾

ومرة يلفت أنظارهم إلى الأرضين وفجاجها وسبلها فيقول لهم: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ١٨ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ١٩ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح: ١٥ - ٢٠].

ومرة يرغبهم ويرهبهم، قال تعالى: ﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ٢ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [نوح: ١ - ٤]،

فمن الناس من يكون وعيه وإدراكه في النهار أكثر من الليل بحسب طبيعة نشاطه وسعيه في الحياة، ومنهم من يكون أصفى ذهناً لسماع الدعوة وحججها وأكثر تقبلاً للموعظة بالليل حيث يغلب السكون والتأمل، وهو ما لا يكون بالنهار. كما أنه علم أن من الناس من يستنكف عن قبول دعوته إذا وجهت إليه جهراً أمام الملأ وفي العلن؛ فأسر إليه بدعوته ليحرره من قيود وتأثيرات العقل الجمعي العام، وفي ذات الوقت لم يترك الدعوة العلنية لجماهير الناس لتنشيط الحوار المجتمعي لتثبيت المواقف وتمييز الاتجاهات.

غير أن الأمور لم تستمر على هذه الوتيرة، خصوصاً أمام الخصوم الذين اتهموه

بالضلال، وانطلقت أبواق الدعاية المضادة لتسخر منه وممن آمن معه، وسعوا للصد عن دعوته وصرف الناس عنه، وأمام هذا العداء والعناد والإصرار على الكفر، وبعد إعلام الله تعالى له أنه لن يؤمن إلا من قد آمن؛ لم يكن هناك من وسيلة إلا الدعاء عليهم: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٦ - ٢٧]، فاستجاب الله تعالى وعاقبهم بالماء المنهمر من السماء والمتفجر من عيون الأرض، فأغرقوا وصاروا إلى يوم الدين عبرة وأحاديث.

وكذلك في دعوة إبراهيم عليه السلام: فقد دعا أباه بكل أدب ورفق راجياً هدايته، كما ناظر قومه من عابدي الكواكب والشمس وجادلهم بالأدلة العقلية في مناظرة استدراجية؛ موافقاً لهم حتى يكونوا هم الحاكمين على أنفسهم بضلال ما هم عليه من اعتقادات لا سند لها ولا برهان.. لكنه لما جادل عباد الأوثان، وبيّن لهم أنها لا تنفع ولا تضر، ولا تسمع دعاء ولا تستجيب لداع؛ توجه إليها - موطناً نفسه على ما قد يلقاه من أذى - فكسرها بيمينه وأهانها وهي لا تحس ألماً ولا تعي ما يفعل بها؛ فسلك بذلك وسيلة القوة، وتغيير هذا المنكر المتمثل في عبادة الأوثان باليد آخذاً بعزائم الأمور، غير عابئ بما قد يناله من عابديها أو صانعيها، وهذ شأن أصحاب الدعوات الذين يضحون بكل ما يملكون من أجل دعوتهم وعقيدتهم، ولا يخافون في الله لومة لائم.

وكذلك في دعوة موسى عليه السلام: فقد سلك في بداية دعوته لفرعون وملئه أسلوب اللين والحوار العقلي الهادئ، لكن مع رعونة فرعون والملأ، وتصاعد حدة التهديدات، وردود الأفعال العدائية والرافضة للدعوة رغم الحجج الواضحة والآيات الدامغة؛ ما كان من موسى إلا أن سلك مسلكاً آخر، وفاجأ فرعون بهذا الرد الذي يليق بأمثاله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢].. قال ابن كثير: «أي هالكاً، وقيل

ملعوناً، وقيل مغلوباً» ولما رأى موسى عليه السلام أنه ومن معه في خطر، وأن الدعوة تمر بمنعطف صعب، وأن العقبات تعوق تقدمها، وأنها مهددة بألا تسير في طريقها؛ دعا على فرعون وملئه، وتوجه إلى الله تعالى بهذا الدعاء: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨]، فأغرق الله فرعون وجنده وجعلهم عبرة لمن خلفهم.

وكذلك في دعوة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ: فمن المعلوم أن الدعوة الخاتمة مرت بمراحل متغيرة؛ فقد بدأت بالتكوين، وقد اتسمت هذه المرحلة بالسرية، ثم التبليغ والإنذار، وهي مرحلة المواجهة الأولى، ثم ردود أفعال الملأ المكذبين، وما صاحب ذلك من إيذاء واضطهاد وحصار، ومع قلة المستجيبين القابلين للدعوة كان لا بد من الصبر وسيلةً للمحافظة على القلة المؤمنة.. ثم لما قوي المسلمون وصارت لهم منعة، أُمروا بالدفاع عن أنفسهم وكيانهم؛ وسيلة جديدة لردع المتطاولين على الدعوة وأصحابها، وفي هذا يقول الله عز وجل: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

الفصل الثاني
دعوة أولي العزم من الرسل

ويتضمن المباحث التالية:

المبحث الأول: دعوة نوح عليه الصلاة والسلام.

المبحث الثاني: دعوة إبراهيم عليه السلام.

المبحث الثالث: دعوة موسى عليه السلام.

المبحث الرابع: دعوة عيسى عليه السلام.

المبحث الخامس: دعوة محمد صلى الله عليه وسلم.

المبحث الأول

نوح عليه السلام ودعوته

ذكر الله جل جلاله قصة نوح عليه السلام ودعوته لقومه في غير ما موضع من كتابه العزيز؛ فقد جاء ذكرها في سورة الأعراف، ويونس، وهود، والأنبياء، والمؤمنون، والشعراء، والعنكبوت، والصّافّات، واقتربت، بل وأنزلت فيها سورة كاملة هي سورة نوح.

وسنتناول دعوة نوح عليه السلام من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول التعريف بنوح عليه السلام وقومه.

المطلب الثاني خصائص نوح عليه السلام.

المطلب الثالث الصفات الدعوية لنوح عليه السلام.

المطلب الرابع أسس دعوة نوح عليه السلام.

المطلب الخامس وسائل وأساليب من دعوة نوح عليه السلام.

المطلب السادس موقف قوم نوح من دعوته.

المطلب السابع نتيجة دعوة نوح عليه السلام.

المطلب الثامن الدروس المستفادة من دعوة نوح عليه السلام.

المطلب الأول
التعريف بنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه

فنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ هو: نُوحُ بْنُ لَامَكَ بْنِ مَتُّوشَلَخَ بْنِ خنوخ وهو إدريس عَلَيْهِ السَّلَامُ[(١)].

ولد نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد وفاة آدم بثمانمائة وست وعشرين سنة[(٢)]، بعثه الله تعالى بعد أن تكامل له خمسون سنة[(٣)].

وقومه: بينهم حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين»[(٤)]. والمراد بالقرن: الجيل أو المدة، فإن الناس كانوا على ملة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، حتى عبدوا الأصنام.

فحين انتشر الفساد في الأرض وعم البلاء بعبادة الأصنام؛ بعث الله إليهم نوحاً عَلَيْهِ السَّلَامُ، يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له وينهى عن عبادة ما سواه فلبث فيهم يدعوهم إلى الله تسعمائة وخمسين سنة كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٤].

وكان سبب ذلك ما ذكره ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣]، قال: «... أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١/ ١٠٠.

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي ١/ ٢٣٩.

(٣) تاريخ الرسل والملوك للطبري ١/ ١٧٩، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي ١/ ٢٣٩.

(٤) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٢/ ٤٨٠ (٣٦٥٤)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، وصححه ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٢/ ١٣٥، وانظر: جامع البيان ٤/ ٢٧٥.

أوحى الشيطان إلى قومهم؛ أن انصِبُوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا[(١)] وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتَنَسَّخَ العلم[(٢)] عبدت»[(٣)].

المطلب الثاني

خصائص نوح عليه السلام

تميز نوح عليه السلام بمجموعة من الخصائص الدعوية الربانية وهي:

❑ أولاً: أنه أول الرسل:

فقد كان آدم عليه السلام أول الأنبياء، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٣]، فقوله جل جلاله ﴿وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ دليل على أنه كان قبلهم.

وفي حديث الشفاعة: (... فيأتون نوحاً فيقولون يا نوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبداً شكوراً اشفع لنا إلى ربك...)[(٤)].

قال القرطبي رحمه الله: «وهذا صحيح لا إشكال فيه، كما أن آدم أول نبي بغير إشكال، لأن آدم لم يكن معه إلا نبوة، واستقر المدى إلى نوح فبعثه الله بتحريم الأمهات والبنات والأخوات، ووظف عليه الواجبات وأوضح له الآداب في الديانات...»[(٥)].

(١) الأنصاب: جمع نصْب بضم الصاد وإسكانها، كانت الجاهلية تنصبه وتذبح عنده فيحمر بالدم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣]. انظر: شرح صحيح مسلم للنووي ١٦/ ٢٨.

(٢) أي: تغير العلم بها وزالت المعرفة بحالها، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني ٧/ ٤٠١.

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير،، باب ﴿وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ﴾ [نوح ٢٣] (٤٩٢٠).

(٤) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ٣﴾ [الإسراء: ٣] (٤٧١٢)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (٤٨٠).

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦/ ١١.

❑ ثانياً: من أولي العزم من الرسل:

والذين ذكرهم الله في قوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾ [الشورى: ١٣]، وجاء ذكرهم أيضاً في قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧].

❑ ثالثاً: أنه أبو البشر الثاني بعد آدم عليه السلام:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ [الصافات: ٧٥ - ٧٧] فإن نوحاً عليه السلام لما لم يلق من قومه إلا الصدود والإعراض؛ دعا عليهم فاستجاب اللّه له، وأغرق جميع الكافرين، ونجاه وأهله من الكرب العظيم، فأبقى نسله وذريته متسلسلين، فجميع الناس من ذرية نوح عليه السلام[(١)].

المطلب الثالث
الصفات الدعوية لنوح عليه السلام

لقد جعل الله الأنبياء عليهم السلام قدوة حسنة للدعاة إلى الله، لذا فإننا حين نطالع أخبارهم سنقف على النموذج المحتذى في كل ما يتعلق بالدعوة والدعاة، فهذا نوح عليه السلام وهو أول الرسل؛ قص الله علينا من أخباره وذكر من صفاته؛ ما هو حري بكل داعية أن يقف عندها ويتمثلها، وإن من أبرز تلكم الصفات ما يلي:

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٧٠٥، وانظر: المختصر في أخبار البشر ١/ ١١.

أولاً: الأمانة:

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء ١٠٦-١٠٧]. هي صفة أساسية لكل الأنبياء حيث إن الدعوة تحتاج لتلك الصفة في دقة التبليغ وشموليته وكذلك في أخلاقيات الداعية في التعامل مع المجتمع..

ثانياً: العفة عما في أيدي الناس:

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء ١٠٦-١٠٩].

فالتأكيد على عدم طلب الأجر أمر ضروري للدعوة الناجحة الصحيحة، فقد كان الكهنة ورجال الدين المنحرفون دائماً مصدر ابتزاز للأموال بشتى الأساليب. فأما دعوة الله الحقة فكان دعاتها دائما متجردين، لا يطلبون أجراً على الهدى. فأجرهم على رب العالمين.

ثالثاً: الصبر:

لقد ضرب نوح عليه السلام المثل الأعلى في الصبر على المدعوين في دعوته وفي تحمل أذيتهم وتكذيبهم، فلقد لبث في قومه يدعوهم إلى الله تسعمائة وخمسين عاما، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٤] ومع ذلك ما آمن معه إلا قلة من الناس، قال تعالى: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠].

رابعاً: الحلم:

فقد كان حليماً على قومه رغم أذيتهم له وسخريتهم به، فحينما رموه بالضلالة،

كما قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ فما رد عليهم ولا سفههم بل اكتفى بقوله: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الاعراف: ٦٠ - ٦١].

خامساً: النصح للمدعوين:

قال تعالى: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [هود: ٣٤]، وقال: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأعراف: ٦٢].

«أي: وظيفتي تبليغكم ببيان توحيده وأوامره ونواهيه، على وجه النصيحة لكم والشفقة عليكم»[1].

قال البقاعي: «والنصيحة: الإرشاد إلى المصلحة مع خلوص النية من الشوائب المكروهة»[2].

سادساً: الشفقة على المدعوين:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩].

فهنا يعلن نوح عليه السلم لقومه شفقته عليهم ورحمته بهم وأن منطلقه في ذلك خوفه عليهم من عذاب الدنيا والآخرة إن لم يستجيبوا لأمر الله تعالى.

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٢٩٣.
(٢) نظم الدرر ٣/ ٤٩.

سابعاً: الترفق بالمدعوين:

وهذا ظاهر في تكرار مناداته لهم بـ ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ﴾، وأيضاً في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ [هود: ٢٨].

«وهذا تلطف في الخطاب معهم وترفق بهم في الدعوة إلى الحق، فهو يقول لهم: ﴿أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ﴾؛ أي النبوة والرسالة، ﴿فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ﴾؛ فلم تفهموها ولم تهتدوا إليها، ﴿أَنُلۡزِمُكُمُوهَا﴾ أي: أنغضبكم بها ونجبركم عليها ﴿وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾»[١].

ثامناً: التعلق بالله وصدق اللجوء إليه في كل حين:

وهذا ظاهر في التجائه عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بشكواه لربه فيما يلاقيه من صدود وإعراض وأذى، قال تعالى: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ١١٦ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ١١٧ فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦ - ١١٨].

«وربه يعلم أن قومه كذبوه. ولكنه البث والشكوى إلى الناصر المعين، وطلب النصفة، ورد الأمر إلى صاحب الأمر»[٢].

وقد كان عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ يبث شكواه لربه من عناد وتكذيب قومه، كما في قوله تعلى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا﴾ [نوح: ٥ - ٦].

وقوله: ﴿قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا﴾ [نوح: ٢١].

وقوله: ﴿وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦].

---

(١) البداية والنهاية ١/ ١٠٨.

(٢) البداية والنهاية ١/ ١٠٨.

إن هذا الدعاء انبعث من قلب جاهد طويلا، وعانى كثيرا، وانتهى بعد بذل كل الوسائل إلى أنه لا خير في القلوب الظالمة، وعلم أنها لا تستحق الهدى ولا النجاة، فأحياناً لا يصلح أي علاج آخر غير تطهير وجه الأرض من الظالمين، لأن وجودهم يجمد الدعوة، ويحول بينها وبين الوصول إلى قلوب الآخرين.

وكان ﷺ يدعو لنفسه ولمن آمن به، قال تعالى: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾ [نوح: ٢٨].

تاسعاً: العبودية الحقيقية لله:

قال تعالى مادحاً الأنبياء عليهم السلام جميعا: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

قال تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقال تعالى مادحاً رسوله نوحاً عليه السلام: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣] فأثنى عليه سبحانه بالعبودية.

عاشراً: شكر الله تعالى:

أثنى الله تعالى علي نوح بأنه شكور، قال تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣] وأتى بها على صيغة المبالغة، زيادة في بيان مكانة هذا النبي الكريم الذي كان - برغم ما عانى من قومه وقاسى في سبيل تبليغ دعوته مئات السنين - عبداً شاكراً لله على كل حال، ولذلك فإن أهل المحشر حين أرادو استعطاف

سيدنا نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ ليشفع لهم عند ربه عَزَّ وَجَلَّ نادوه بأحب ما وصفه الله به فقالوا: (... **يا نوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبداً شكورا، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه...**)(١).

الحادي عشر: الثقة بالله وعدم اليأس:

ولئن كان قد دعا على قومه كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٦ - ٢٧] وقال تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾ [القمر: ١٠].

فإن ذلك لم يكن يأسا منه وقنوطاً وإنما فعل ذلك بناء على ما أخبره الله جَلَّ جَلَالُهُ أنه لن يؤمن منهم أحد بعد ذلك، قال تعالى: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [هود:] فدعا عليهم لما أخبر بهذا(٢).

الثاني عشر: نصرة الضعفاء:

ونوح عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يدعو لأجل المستضعفين الذين معه ويدافع عنهم حتى إنه لما احتقروا أتباعه من الضعفاء رد عليهم بقوله: ﴿وَيَـٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَـٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَـٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: ٢٩ - ٣٠].

فقد «طلبوا منه أن يطرد من كان معه من المؤمنين استكباراً منهم، واستنكافاً على الحق وعلى الخلق، فبين لهم أنه ليس به ضلال، وإنما به تزول الضلالة عن الخلق، وأنه رسول أمين على بينة من ربه وبراهين واضحة، وأن المؤمنين لا يحل طردهم، بل حقهم الإكرام والاحترام، وأنه لا يدعي لهم طوراً يزاحم فيه الرب فقال: ﴿وَلَآ أَقُولُ

(١) تقدم تخريجه.

(٢) النكت والعيون للماوردي ٢/ ٤٦٩.

لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود: ٣١]»[1].

وقد خاف نوح عليه السلام على الضعفاء الذين معه حتى كان من أسباب دعائه على قومه خشيته على الضعفاء من إضلال الكبراء لهم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٦ - ٢٧]. ولفظة ﴿عِبَادَكَ﴾ تدل على المؤمنين بفتنتهم عن عقيدتهم بالقوة، وفتنة قلوبهم بما ترى من سلطان الظالمين وتركهم من الله في عافية!.

الثالث عشر: العلم:

قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ [هود ٢٨].

المطلب الرابع

أسس دعوة نوح عليه السلام

قامت دعوة نوح عليه السلام على أسس ثلاثة:

أولا: الدعوة إلى توحيد الله تعالى:

«مكث البشر بعد آدم قروناً طويلة وهم أمة واحدة على الهدى، ثم اختلفوا وأدخلت عليهم الشياطين الشرور المتنوعة بطرق كثيرة، فكان قوم نوح قد مات منهم أناس صالحون فحزنوا عليهم، فجاءهم الشيطان فأمرهم أن يصوروا

(١) تيسير اللطيف المنان ص١٨٢.

تماثيلهم؛ ليتسلوا بها وليتذكروا بها أحوالهم، فكان هذا مبتدأ الشر؛ فلما هلك الذين صوروهم لهذا المعنى جاء من بعدهم وقد اضمحل العلم، فقال لهم الشيطان: إن هؤلاء وَدّاً وسُواعاً ويَغُوث ويَعُوق ونَسرا؛ قد كان أوَّلوكم يدعونهم ويستشفعون بهم، وبهم يسقون الغيث وتزول الأمراض، فلم يزل بهم حتى انهمكوا في عبادتهم على رغم نصح الناصحين، ثم بعث الله فيهم نوحاً ﷺ يعرفونه ويعرفون صدقه وأمانته وكمال أخلاقه»[١].

ولذا فإن أول ما نادي به نوح عليه السلام قومه؛ ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾، قال تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وهذا دأب جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

ولتقرير ذلك؛ بين نوح عليه السلام لقومه أن ما يشاهدونه في الكون؛ كله دال على وحدانيته سبحانه، وأنه الحقيق أن يعبد دون سواه، قال تعالى: ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ١٣ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ١٤ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ١٥ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ١٦ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ١٨ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ١٩ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا﴾ [نوح: ١٣ - ٢٠].

قال ابن كثير: «وكل هذا مما ينبههم به نوح عليه السلام، على قدرة الله وعظمته في خلق السموات والأرض، ونعمه عليهم فيما جعل لهم من المنافع السماوية والأرضية، فهو الخالق الرزاق، جعل السماء بناء، والأرض مهادا، وأوسع على خلقه من رزقه، فهو

(١) تيسير اللطيف المنان ص١٨٢.

الذي يجب أن يعبد ويوحد ولا يشرك به أحد؛ لأنه لا نظير له ولا عديل له، ولا ند ولا كفء، ولا صاحبة ولا ولد، ولا وزير ولا مشير، بل هو العلي الكبير»[(١)].

✧ ثانيا: تقرير النبوة:

من أسس دعوة نوح عليه السلام؛ أنه دعا قومه إلى الإيمان بنبوته وأنه مرسل من عند الله، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [هود: ٢٥] ومقتضى الإيمان به أن يؤمنوا بجميع الأنبياء، ولذلك فإن الله جل جلاله حين ذكر كفرهم وتكذيبهم لنبوته عليه السلام، قال: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفرقان: ٣٧].

✧ ثالثا: إثبات المعاد:

من أسس دعوة نوح عليه السلام أيضاً دعوته للإيمان باليوم الآخر وما فيه من بعث وجزاء، قال تعالى مبيناً ذلك: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [نوح: ١].

وهذا ظاهر أيضاً وجلي في خطاب نوح عليه السلام لقومه، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٧ - ١٨]، فنَباتاً؛ استعارة من حيث إن آدم عليه السلام أخذ من الأرض، ثم صار الجميع نَباتاً منه، والإعادة فيها: هي بالدفن فيها الذي هو عرف البشر، والإخراج: هو البعث يوم القيامة لموقف العرض والجزاء[(٢)].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨/ ٢٣٤.

(٢) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ٥/ ٣٧٥.

المطلب الخامس
وسائل وأساليب من دعوة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ

من الأساليب المستفادة من دعوة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ ما يلي:

أولا: الاستمرار في الدعوة وتنويع طرق مباشرتها:

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا﴾ إلى أن قال: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [نوح: ٥ - ٩]

قوله: لَيْلاً وَنَهاراً عبارة عن استمرار دعوته وأنه لم يتوان فيها قط، ثم كرر عَلَيْهِ السَّلَامُ صفة دعوته لهم؛ بياناً وتأكيدا، وجهارا؛ أي: علانية في المحافل، والإسرار؛ ما كان من دعاء الأفراد بينه وبينهم على انفراد، وهذا غاية الجد[1].

ففي هذا تعليم للدعاة أن يكونوا حريصين على المدعوين، وأن يختاروا لهم المناسب من الأوقات والأساليب.

ثانيا: لفت الأنظار إلى مظاهر الكون الفسيح:

فمرة يلفت أنظارهم إلى السموات وما فيها من مظاهر قدرة الله جَلَّ جَلَالُهُ، فيقول لهم: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ - ومرة يلفت أنظاره إلى الأرضين وفجاجها وسبلها فيقول لهم -: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح: ١٥ - ٢٠].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ٥/ ٣٧٣.

ثالثا: أسلوب اللين والاستعطاف:

وقد تجلى هذا الأسلوب في تكرار مناداة نوح عليه السلام لقومه ب «يا قوم»؛ ليشعرهم بأنه منهم، يهمه ما يهمهم ويعنيه ما يعنيهم، ويتجلى هذا أيضاً في دعوته عليه السلام لابنه الذى أبى أن يؤمن، قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [هود: ٤٢]، فقوله: «يا بني»؛ فيه إشعار له بقربه منه وحنوه وشفقته عليه، أملا في استجابته للحق والإذعان لرب العالمين[1].

رابعا: الترغيب والترهيب:

قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [نوح: ١ - ٤]، فرغبهم في أنهم لو عبدوا الله وأطاعوا رسوله؛ يغفر لهم ذنوبهم ويمتعهم في هذه الدار، ويدفع عنهم الهلاك إلى أجل مسمى؛ أي: مقدرٍ للبقاء في الدنيا بقضاء الله وقدره، وليس المتاع أبدا، فإن الموت لا بد منه[2] وفي هذا ترهيبهم من بقائهم على كفرهم وعنادهم حتى يأتيهم الأجل.

وقال أيضاً مرغباً لهم: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ۝١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ۝١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا﴾ [نوح: ١٠ - ١٢]، فرغبهم فيما تشتهيه نفوسهم من الأموال والبنين والجنات والأنهار، وبين لهم أن ذلك ثمرة للإيمان والاستغفار.

---

(١) انظر هذه الأساليب: المستفاد من قصص الأنبياء للدعوة والدعاة، عبد الكريم زيدان ١/ ١٣٠ - ١٤٤.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص ٨٨٨.

خامسا: الجدال والمقابلة بالحجة والبرهان:

ومن الأمثلة الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [هود: ٢٧ - ٣٢]

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٥٩ - ٦٣].

وانظر إلى قمة الرقي بالحوار؛ حين وسموه بالضلالة لم يرد عليهم ويصفهم بالضلالة - ولئن فعل فهو محق - لكنه اكتفى بنفي الضلالة عن نفسه؛ فقال مستلطفاً في مناداتهم: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

«لما حكى عن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه دعا قومه إلى عبادة الله تعالى حكى عنهم أنهم طعنوا في نبوته بثلاثة أنوع من الشبهات:

فالشبهة الأولى: أنه بشر مثلهم، والتفاوت الحاصل بين آحاد البشر يمتنع انتهاؤه إلى حيث يصير الواحد منهم واجب الطاعة لجميع العالمين.

والشبهة الثانية: كونه ما اتبعه إلا أراذل من القوم كالحياكة وأهل الصنائع الخسيسة، قالوا ولو كنت صادقا لاتبعك الأكياس من الناس.

والشبهة الثالثة: قوله تعالى: وما نرى لكم علينا من فضل والمعنى: لا نرى لكم علينا من فضل لا في العقل ولا في رعاية المصالح العاجلة ولا في قوة الجدل الظاهرة فكيف نعترف بفضلك علينا في أشرف الدرجات وأعلى المقامات.

والرد على هذه الشبه سهل وبسيط كما ذكر ذلك الفخر الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ بعد إيراده لهذه الشبهات الثلاث، فرد على الأولى بقوله: «لأن من حق الرسول أن يباشر الأمة بالدليل والبرهان والتثبت والحجة، لا بالصورة والخلقة، بل نقول: إن الله تعالى لو بعث إلى البشر ملكاً لكانت الشبهة أقوى في الطعن عليه في رسالته لأنه يخطر بالبال أن هذه المعجزات التي ظهرت لعل هذا الملك هو الذي أتى بها من عند نفسه بسبب أن قوته أكمل وقدرته أقوى، فلهذه الحكمة ما بعث الله إلى البشر رسولاً إلا من البشر.

وأما الشبهة الثانية فالرد عليه أن الرفعة في الدين لا تكون بالحسب والمال والمناصب العالية، بل الفقر أهون على الدين من الغنى، بل نقول: الأنبياء ما بعثوا إلا لترك الدنيا والإقبال على الآخرة فكيف تجعل قلة المال في الدنيا طعناً في النبوة والرسالة.

وأما الشبهة الثالثة أن الفضيلة المعتبرة عند الله ليست إلا بالعلم والعمل، فكيف اطلعوا على بواطن الخلق حتى عرفوا نفي هذه الفضيلة»[١].

سادسا: أسلوب الخطاب والنداء:

حيث خاطب قومه وخاطب ابنه وخاطبهم حتى لحظة غرقهم، قال تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ﴾ [هود: ٤٢]، وقال تعالى ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٠٦ – ١٠٧].

قال ابن عاشور: «وافتتاح دعوته قومَه بالنداء لطلب إقبال أذهانهم، ونداؤهم بعنوان أنهم قومه، تمهيد لقبول نصحه إذ لا يريد الرجل لقومه إلاّ ما يريد لنفسه. وتصدير دعوته بحرف التوكيد لأن المخاطبين يترددون في الخبر»[٢].

سابعا: أسلوب الترحم مع المدعوين ومعاملتهم بالمساواة:

فقد عاملهم دون تفريق بين صاحب وجاهة وغيره من ميسوري الحال والتجرد عن جميع الأطماع الدنيوية، قال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [هود: ٢٩].

ثامنا: أسلوب التأنيب والتوبيخ:

وذلك بعد طول الحوار والجدل، وذلك في قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٣ – ١٤].

فقد استحقوا التأنيب والتوبيخ بأسلوب حكيم حيث إن «الأطوار دالة على حكمة

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب للرازي ١٧/ ٣٣٧.
(٢) التحرير والتنوير ٢٩/ ١٨٨.

الخالق وعلمه وقدرته، فإن تطور الخلق من طور إلى طور، كل ذلك والذات واحدة، فهو دليل على تمكن الخالق من كيفيات الخلق والتبديل في الأطوار، وهم يدركون ذلك بأدنى التفات الذهن، فكانوا محقوقين بأن يتوصلوا به إلى معرفة عظمة الله وتوقع عقابه

فالأطوار التي يعلمونها دالّة على رفقه بهم في ذلك التطور، فهذا تعريض بكفرهم النعمة، ولأن الأطوار دالة على حكمة الخالق وعلمه وقدرته، فإن تطور الخلق من طور النطفة إلى طور الجنين إلى طور خروجه طفلاً إلى طور الصبا إلى طور بلوغ الأشد إلى طور الشيخوخة وطُروّ الموت على الحياة وطروّ البِلى على الأجساد بعد الموت، كل ذلك والذاتُ واحدة، فهو دليل على تمكن الخالق من كيفيات الخلق والتبديل في الأطوار، وهم يدركون ذلك بأدنى التفات الذهن، فكانوا محقوقين بأن يتوصلوا به إلى معرفة عظمة الله وتوقع عقابه لأن الدلالة على ذلك قائمة بأنفسهم وهل التصرف فيهم بالعقاب والإثابة إلاّ دون التصرف فيهم بالكَون والفساد»[١].

المطلب السادس

موقف قوم نوح من دعوته

قام نوح عليه السلام «فدعاهم إلى الله بأنواع الدعوة؛ في الليل والنهار، والسر والإجهار، بالترغيب تارة والترهيب أخرى، وكل هذا؛ فلم ينجح فيهم، بل استمر أكثرهم على الضلالة والطغيان، وعبادة الأصنام والأوثان، ونصبوا له العداوة في كل وقت وأوان، وتنقصوه وتنقصوا من آمن به، وتوعدوهم بالرجم والإخراج، ونالوا منهم وبالغوا في أمرهم»[٢].

(١) التحرير والتنوير ٢٩/ ٢٠١.

(٢) البداية والنهاية ١/ ١٠٧.

فكان من قومه فريقان؛ فريق آمنوا به واتبعوه وهم القلة القليلة، والفريق الآخر وهم الأكثر؛ كفروا به وحاربوه وآذوه، وتذرعوا في ذلك بالشبهات الواهية، شانهم شأن جميع الكفار، ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٣]

فكانت شبهتهم في الألوهية: زعمهم أن الأصنام التي يعبدونها تقربهم إلى الله زلفى، وأنهم يقلدون في ذلك آباءهم.

قال تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣].

«وكان كل ما انقرض جيل؛ وصَّوا من بعدهم بعدم الإيمان به، ومحاربته، ومخالفته، وكان الوالد إذا بلغ ولده وعقل عنه كلامه؛ وصَّاه فيما بينه وبينه أن لا يؤمن بنوح أبدا ما عاش، ودائماً ما بقي، وكانت سجاياهم تأبى الإيمان واتباع الحق ولهذا قال: ﴿وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧]»[١].

وسيدنا نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ يبين لهم بالدلائل الحسية والمعنوية أنه لا معبود بحق إلا الله، فكان يقول كما حكى الله تعالى عنه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩]

- **وأما شبهتهم في النبوة:** فهي البشرية والمثلية، قال تعالى عنهم: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ [هود: ٢٧]

يعنون بذلك أنه آدمي مثلهم في الخلق والصورة والجنس[٢] وهذا مانع بزعمهم

(١) البداية والنهاية ١/ ١٠٩.

(٢) انظر: جامع البيان ١٥/ ٢٩٥.

عن اتباعه، مع أنه في نفس الأمر هو الصواب، الذي لا ينبغي غيره، لأنه وهو بشر؛ يتمكن البشر أن يتلقوا عنه، ويراجعوه في كل أمر[(١)].

- **وأما عن شبهتهم فيمن اتبعه:** فهي أنهم من الضعفاء - وهم أتباع الأنبياء - قال تعالى عنهم: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١] وقال أيضاً يحكي مقولتهم: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ﴾ [هود: ٢٧]

أي: ما نرى اتبعك منا إلا الأراذل والسفلة - بزعمهم - وإنما اتبعوك من غير تفكر وروية، بل بمجرد ما دعوتهم اتبعوك، يعنون بذلك؛ أنهم ليسوا على بصيرة من أمرهم، وهذا معنى قولهم «بادي الرأي».

والحق أن هؤلاء الذين زعموهم أراذل؛ هم الأشراف، وأهل العقول، الذين انقادوا للحق المبين الذي تدعو إليه بداهة العقول، وبمجرد ما يصل إلى أولي الألباب، يعرفونه ويتحققونه، لا كالأمور الخفية، التي تحتاج إلى تأمل وفكر طويل، ولم يكونوا كالأراذل، الذين يقال لهم الملأ، الذين اتبعوا كل شيطان مريد، واتخذوا آلهة من الحجر والشجر، يتقربون إليها ويسجدون لها، فهل ترى أرذل من هؤلاء وأخس؟[(٢)].

وهكذا استمر تكذيبهم وعنادهم، بل وأذيتهم له، قال تعالى: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦]، وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ﴾ [القمر: ٩].

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص ٣٨٠.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص ٣٨٠.

وهذا دأب المكذبين الضالين على مر العصور، كأنهم قد تواصوا بذلك، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝٥٢ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٢ - ٥٣].

ومما جاء في وصفهم قوله تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [الذاريات: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ [النجم: ٥٢]

روي عن الإمام قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: «لم يكن قبيل من الناس هم أظلم وأطغى من قوم نوح، دعاهم نبيّ الله نوح ﷺ ألف سنة إلا خمسين عاما، كلما هلك قرن ونشأ قرن دعاهم نبيّ الله، حتى ذكر لنا أن الرجل كان يأخذ بيد ابنه فيمشي به، فيقول: يا بنيّ إن أبي قد مشى بي إلى هذا، وأنا مثلك يومئذ، تتابعا في الضلالة، وتكذيباً بأمر الله»[1].

ويستمر جحودهم وعنادهم حتى في عرصات يوم القيامة، فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: يجاء بنوح يوم القيامة، فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم يا رب، فتُسأل أمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما جاءنا من نذير، فيقول: من شهودك؟ فيقول: محمد وأمته، فيجاء بكم فتشهدون، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ قال عدلاً ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ﴾ [البقرة: ١٤٣][2].

(١) جامع البيان ٢٢/ ٥٥٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] وما أمر النبي ﷺ بلزوم الجماعة هم أهل العلم (٧٣٤٩).

المطلب السابع

نتيجة دعوة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما بلغ من كفر قوم نوح مبلغه؛ وأوحى الله جَلَّ جَلَالُهُ إلى نبينا نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦]، سلفا؛ توجه إلى ربه: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾ [القمر: ١٠] و ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ [المؤمنون٢٦]، وكان قد أمره ربه عَزَّ وَجَلَّ بصنع سفينة يحمل فيها من آمن معه إذا جاء أمر الله، ويحمل معه أيضاً من كل زوجين اثنين من الحيوانات وسائر ما فيه روح من المأكولات وغيرها لبقاء نسلها، وأن يحمل معه أهله إلا من سبق عليه القول منهم، أي: إلا من كان منهم كافرا، وجعل له علامة بداية هذا الأمر أن يفور الماء من التنور الذي يخبز فيه[(١)].

قال تعالى مبيناً ذلك: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٧].

«فأجاب الله دعوته، وأمره أن يصنع الفلك برعاية منه وحسن نظر وتعليم من الله له هذه الصنعة التي امتن الله بها على العباد، وصار نوح له الفضل والابتداء بهذه الصناعة التي حصل بها من المنافع الدينية والدنيوية في جميع الأوقات ما لا يعد ولا يحصى، وأخبره الله بتحتم إغراقهم، وأنه لا يخاطب ربه فيهم فإنهم ظالمون، وجعل يصنع الفلك، وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه، فقال لهم: إن تسخروا منا اليوم فإنا نسخر منكم إذا وقع الهلاك بكم، وأوحى الله إليه أنه إذا جاء ذلك الوقت وفار

(١) هو أحد أقوال ستة في تفسير معنى ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ انظر جميع ذلك في: النكت والعيون للماوردي ٢/ ٤٧٢، زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٢/ ٣٧٣.

التنور، أي: جعلت الأرض كلها تتفجر عيوناً من كل جانب حتى المواضع البعيدة عن النار عادة، وأمره أن يحمل من البهائم من كل زوجين اثنين ذكر وأنثى ليبقى نسلها؛ لأنه يتعذر حملها كلها، والحكمة تقتضي إبقاء هذه الحيوانات التي خلقها الله مسخرة لمصالح البشر، ويحمل معه جميع من آمن من رجال ونساء، والحال أنه ما آمن معه إلا قليل، وأمره أن يحمل أهله إلا من سبق عليه القول بالهلاك، فلما أركب جميع من أمر بهم قال لهم: سموا الله كلما جرت وكلما رست؛ لأن الأسباب مهما عظمت فهي من لطف الله، ولا تمام لها إلا بالله»[(١)].

فجاء أمر الله، ونزل العذاب بالكافرين، قال تعالى: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١١ - ١٥].

وأنجى الله نوحاً والمؤمنين، قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦٤].

لقد «أغرق الله جميع الكافرين، ونَجَّى نوحاً ومن معه أجمعين، وكان في ذلك آية على أن ما جاء به نوح من التوحيد والرسالة والبعث والدين حق، وأن من خالفه فإنه مبطل، ودليل على الجزاء في الدنيا لأهل الإيمان بالنجاة والكرامة، ولأهل الكفر بالهلاك والإهانة..

ثم قال الله تعالى: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [هود٤٨] «فهبط وبارك الله في ذريته، وجعل ذريته هم الباقين؛ فكان أولاده يافث ملأ المشرق من الذرية، وحام ملأ المغرب من النسل، وسام ملأ ما بين ذلك»[(٢)].

(١) تيسير اللطيف المنان ص١٨٣.

(٢) تيسير اللطيف المنان ص١٨٤.

ولم يخبرنا الله ﷻ عن عدد من آمن معه سوى أن وصفهم بالقليل، فقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠]، وقد نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم كانوا ثمانين، وقيل غير ذلك[١].

وحين نرى هذا العدد القليل؛ نتذكر قول النبي ﷺ فيما رواه ابن عباس رضي الله عنهما: (**عرضت علي الأمم، فأخذ النبي يمر معه الأمة، والنبي يمر معه النفر، والنبي يمر معه العشرة، والنبي يمر معه الخمسة، والنبي يمر وحده...**)[٢].

ثم عاش نوح عليه السلام بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة، وقيل غير ذلك،[٣] وجعل الله كل من جاء بعده من البشرية من ذريته كما مر في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ [الصافات: ٧٥ – ٧٧].

المطلب الثامن

الدروس المستفادة من دعوة نوح عليه السلام[٤]

١ – أن توحيد الله وإفراده بالعبادة هو المقصد الأسنى من الدعوة إلى الله، والذي كان أول ما دعا له جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ومنهم نوح عليه السلام، وفي هذا رسم لمنهج الدعوة ليقتدي به الدعاة جميعا، قال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى

(١) انظر: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٢/ ٣٧٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب (٦٥٤١) واللفظ له؛ ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (١٢٧).

(٣) انظر: تاريخ الرسل والملوك للطبري ١/ ١٩١.

(٤) انظر: المستفاد من قصص الأنبياء للدعوة والدعاة، عبد الكريم زيدان ١/ ١٥٢ – ١٦٩.

﴿ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠] «وإذا كان هذا أمراً للرسول ﷺ، فأمته تبع له فيما يشرعه لهم ويأمرهم به»[١].

٢- «آداب الدعوة وتمامها، فإن نوحاً دعا قومه ليلاً ونهارا، وسراً وجهارا.. بكل وقت وبكل حالة يظن فيها نجاح الدعوة، وأنه رغبهم بالثواب العاجل بالسلامة من العقاب، وبالتمتيع بالأموال والبنين، وإدرار الأرزاق إذا آمنوا وبالثواب الآجل؛ وحذرهم من ضد ذلك، وصبر على هذا صبراً عظيماً كغيره من الرسل، وخاطبهم بالكلام الرقيق والشفقة، وبكل لفظ جاذب للقلوب محصل للمطلوب، وأقام الآيات، وبيَّن البراهين»[٢].

٣- أن الهداية بيد الله، وما على الرسول إلا البلاغ، فهذا نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ لبث في قومه ما لبث وما آمن معه إلا قليل ومع ذلك ما نقص من قدره ومكانته عَلَيْهِ السَّلَامُ، لذلك فإن أمة محمد ﷺ تشهد له يوم القيامة أنه بلغ أتم البلاغ وأدى الأمانة بأتم الأداء.

٤- أن طريق الدعوة ليس مفروشاً بالورود، بل هو طريق محاط بالصعاب والمنغصات، فلابد من تهيئة النفس على تحمل أذى الناس وإعراضهم وصدودهم، وللدعاة المثل الأعلى في الأنبياء والمرسلين؛ ومنهم سيدنا نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٥- أن الصبر من أهم ما ينبغي أن يتحلى به الداعية، فإنه بحاجة إلى الصبر في تحمل أعباء هذه الدعوة التي يدعو إليها، ثم الصبر على أدائها وتحري أفضل الوسائل والأساليب لذلك، ثم الصبر على أذى وصدود من يدعوه إليها.

٦- أن الحلم سلاح الداعية الذي يقابل به سفه المعرضين وأذاهم، فلا يستفزه

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٢٩٩.
(٢) تيسير اللطيف المنان ص ١٨٦.

ذلك، بل ينفي ما يوجه إليه بالحجة والبرهان، ويحصر جداله مع من يخالفه في موضوع الدعوة، فالداعية لا ينتصر لنفسه ولا يغضب لها، بل يحلم ويصبر، وهذا واضح وجلي من مواقف نوح عليه السلام مع قومه.

٧- أن البلاغ المبين مما ينبغي على الداعية الحرص عليه؛ فيوصل دعوته بوضوح تام لا إبهام فيه ولا غموض، ولذا قال نوح لقومه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [هود: ٢٥]، «أي: بينت لكم ما أنذرتكم به، بياناً زال به الإشكال»[١].

٨- «من فضائل الأنبياء وأدلة رسالتهم إخلاصهم التام لله تعالى في عبوديتهم لله القاصرة، وفي عبوديتهم المتعدية لنفع الخلق كالدعوة والتعليم وتوابع ذلك، ولذلك يبدون ذلك ويعيدونه على أسماع قومهم كل منهم يقول: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ ولهذا كان من أجَلِّ الفضائل لأتباع الرسل أن يكونوا مقتدين بالرسل في هذه الفضيلة، والله تعالى يجعل لهم من فضله من رفعة الدنيا والآخرة أعظم مما يتنافس فيه طلاب الدنيا.

٩- أن القدح في نيات المؤمنين وفيما منَّ الله عليهم به من الفضائل والتألي على الله أنه لا يؤتيهم من فضله من مواريث أعداء الرسل، فلهذا قال نوح لقومه حين تألوا على الله، وتوسلوا في ذم المؤمنين به بذلك، فقال: ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [هود: ٣١]»[٢].

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٣٨٠.

(٢) تيسير اللطيف المنان ص١٨٩.

١٠- أنه لا يستجيب لدعوة الحق في الغالب إلا الضعفاء والمساكين، فهم أتباع الرسل ومادة الإسلام في كل زمان ومكان، فعلى الداعية أن يضع ذلك نصب عينيه فلا يقلل من شأنهم، قال قوم نوح واصفين أتباعه: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ [هود: ٢٧].

١١- المستجيبون للحق لهم عند الله منزلة علية، وعناية ربانية خاصة، فقد أنجى الله من آمن من قوم نوح عليه السلام من الغرق في الدنيا، وسيجزيهم جنته يوم القيامة، وهو وعد من الله لكل من آمن واتبع الهدى والرشاد.

١٢- أن المعرضين عن الحق يفترون الكذب على الدعاة ويختلقون الشبهات لرد الحق وصد من اتبعه، وهذا دأبهم في كل زمان ومكان، فعلى الداعية أن يواجه الشبهة بالحجة، ويبين الحق ويوضحه، وقدوته في ذلك الأنبياء، ومنهم نوح عليه السلام.

١٣- تنوع الوسائل والأساليب في دعوة الناس والاستمرار عليها مهما طال الزمن.

١٤- في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [نوح: ١] «تعليم للقائمين على شئون الدعوة أن يختاروا لإرشاد الناس أفراداً منهم؛ لأنهم أعلم بطبائع قومهم، وأخبر بسبل هدايتهم»[1].

١٥- قال ابن عاشور: «وعُدل عن أن يقال له أنذر الناس إلى قوله: ﴿أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ﴾ [نوح: ١] إلهاباً لنفس نوح ليكون شديد الحرص على ما فيه نجاتهم من العذاب، فإن فيهم أبناءه وقرابته وأحبته»[2].

(١) التفسير الموضوعي ٨/ ٣٦٨.
(٢) التحرير والتنوير ٢٩/ ١٨٧.

١٦- في قوله: ﴿أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ﴾ فيه دلالة على رحمة الله؛ بإرساله الرسل، وعدله؛ بأنه لا يعذّب أحداً إلا بعد إقامة الحجة عليه.

١٧- في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧]، يقول ابن عاشور: «في كلام نوح دلالة على أن المصلحين يهتمون بإصلاح جيلهم الحاضر ولا يهملون تأسيس أسس إصلاح الأجيال الآتية، إذ الأجيال كلها سواء في نظرهم الإصلاحي»[(١)].

١٨- في دعاء نوح ﷺ: ﴿رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح: ٢٨] تعليم للداعية بأن يدّخر لإخوانه جزءاً من دعائه، فهذه صلة بين المؤمنين لا ينبغي أن تنقطع، كما أنها تشيع الودّ بينهم، وتخلّص القلوب من كثيرٍ من أدرانها.

١٩- «الشُّبَه التي قدح فيها أعداء الرسل برسالتهم من الأدلة على إبطال قول المكذبين، فإن الأقوال التي قالوها، ولم يكن عندهم غيرها، ليس لها حظ من العلم والحقيقة عند كل عاقل، فقول قوم نوح: ﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ [هود: ٢٧] تأمل جملها تجدها تمويهات دالة على أنهم مبطلون مكابرون للحقيقة، فقولهم: ﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ فهل في كون الحق جاء على يد بشر شيء من الشبهة تدل على أنه ليس بحق؟ ومضمون هذا الكلام أن كل قول قاله البشر من أي مصدر يكون باطلا، وهذا قدح منهم في جميع العلوم البشرية المستفادة من البشر، ومعلوم أن هذا يبطل العلوم كلها، فهل عند البشر علوم إلا مستفيدها بعضهم من بعض

(١) التحرير والتنوير ٢٩/ ٢١٤.

وهي متفاوتة؟ فأعظمها وأصدقها وأنفعها ما تلقاه الناس عن الرسل الذين علومهم عن وحي إلهي.

وكذلك قولهم: ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ أي: نحن وأنتم بشر، وقد أجابت الرسل كلهم عن هذه المقالة فقالوا: ﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [إبراهيم: ١١] فمنَّ الله على الرسل، وخصَّهم بالوحي والرسالة، مع أن إنكارهم عليهم من هذه الجهة من أكبر الجهل وأعظم القدح في نعمة الله، فإن رحمة الله وحكمته اقتضت أن يكون الرسل من البشر؛ ليتمكن العباد من الأخذ عنهم، وتتيسر عليهم هذه النعمة، ويسهِّل الله لهم طرقها، فهؤلاء المكذِّبون كفروا بأصل النعمة، وبالطريق المستقيم النافع الذي جاءتهم به.

وكذلك قولهم: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْيِ﴾ من المعلوم لكل أحد عاقل أن الحق يعرف أنه حق بنفسه لا بمن تبعه، وأن هذا القول الذي قالوه صدر عن كبر وتيه، والكبر أكبر مانع للعبد من معرفة الحق ومن اتباعه.

فقولهم: ﴿أَرَاذِلُنَا﴾ إن أرادوا الفقر فالفقر ليس من العيوب.

وقولهم: ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْيِ﴾ أي: مبادرة منهم إلى الإيمان بك يا نوح، لم يشاوروا ولم يتأنوا ويترووا لو فرض أن هذا حقيقة فهذا من أدلة الحق، فإن الحق عليه من البراهين والنور والجلالة والبهاء والصدق والطمأنينة ما لا يحتاج إلى مشاورة أحد باتباعه، وإنما التي تحتاج إلى مشاورة هي الأمور الخفية، التي لا تعلم حقيقتها ولا منفعتها.

٢٠- أنه ينبغي الاستعانة بالله، وأن يذكر اسمه عند الركوب والنزول، وفي جميع التقلبات والحركات، وحمد الله والإكثار من ذكره عند النعم لا سيما النجاة من الكربات والمشقات، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا

وَمُرۡسَىٰهَآۚ﴾ [هود: ٤١]، وقال: ﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٨].

٢١- أنه ينبغي أيضاً الدعاء بالبركة في نزول المنازل العارضة كالمنازل في إقامات السفر وغيره، والمنازل المستقرة كالمساكن والدور؛ لقوله: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٩] وفي ذلك كله من استصحاب ذكر الله، ومن القوة على الحركات والسكنات، ومن قوة الثقة بالله، ومن نزول بركة الله التي خير ما صحبت العبد في أحواله كلها ما لا غنى للعبد عنه طرفة عين.

٢٢- تقوى الله والقيام بواجبات الإيمان من جملة الأسباب التي تُنال بها الدنيا وكثرة الأولاد والرزق وقوة الأبدان - وإن كان لذلك أيضاً أسباب أُخر -، وهي السبب الوحيد الذي ليس هناك سبب سواه في نيل خير الآخرة، والسلامة من عقابها.

٢٣- النجاة من العقوبات العامة الدنيوية هي للمؤمنين، وهم الرسل وأتباعهم، وأما العقوبات الدنيوية العامة فإنها تختص بالمجرمين، ويتبعهم توابعهم من ذرية وحيوان، وإن لم يكن لها ذنوب؛ لأن الوقائع التي أوقع الله بأصناف المكذِّبين شملت الأطفال والبهائم، وأما ما يذكر في بعض الإسرائيليات أن قوم نوح أو غيرهم لما أراد الله إهلاكهم أعقم الأرحام حتى لا يتبعهم في العقوبة أطفالهم فهذا ليس له أصل، وهو مناف للأمر المعلوم، وذلك مصداق لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٢٥]»[1].

---

(١) تيسير اللطيف المنان ص ١٨٦ - ١٩٠ بتصرف يسير.

المبحث الثاني

دعوة إبراهيم عليه السلام

المطلب الأول التعريف بإبراهيم عليه السلام وقومه.

المطلب الثاني الخصائص الدعوية لإبراهيم عليه السلام.

المطلب الثالث الصفات الدعوية لإبراهيم عليه الصلاة والسلام.

المطلب الرابع أسس دعوة إبراهيم عليه الصلاة السلام.

المطلب الخامس وسائل وأساليب دعوة إبراهيم عليه السلام.

المطلب السادس نتيجة دعوة إبراهيم عليه السلام.

المطلب السابع الدروس المستفادة من دعوة إبراهيم عليه السلام.

المطلب الأول
التعريف بإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه

☜ اسمه ونسبه:

هو إبراهيم بن تارخ وهو آزر بن ناخور بن ساروغ بن أغور بن فالغ بن غابر بن شالخ بن قينان بن بن سام بن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

واختلف في مولده، فقيل ولد بالسوس من أرض أهواز، وقيل ولد ببابل من أرض السودان وقيل غير ذلك[(١)].

وقيل: بلغ عمره مائة وخمساً وسبعين سنة، وقيل: مائتي سنة، ودفن في الأرض المقدسة، وقبره معروف بالبلدة المعروفة بالخليل[(٢)].

☜ قومه:

وكان عَلَيْهِ السَّلَامُ يتكلم بالسريانية والعبرانية، وقد أرسل أولاً إلى أهل بابل الذين كان يتملك عليهم النمرود، وكان يسكنها الكلدانيون ثم ذهب إلى الشام والحجاز وانتشرت ملته فيهما.

☜ الكتاب الذي أنزل عليه:

أنزل عليه الصحف، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨ - ١٩]، وعن واثلة بن الأسقع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: **(نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان)**[(٣)].

(١) تاريخ الرسل والملوك ١/ ٢٣٣.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات للنووي ١/ ٩٩.

(٣) مسند أحمد ٤/ ١٠٧ (١٧٠٥١)، وصححه الشيخ الألباني في الجامع الصغير ١/ ٢٣٨ (١٤٩٨).

وعن أبي الجلد قال: «أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام في أول ليلة في رمضان..»[١].

فإبراهيم عليه السلام أنزل عليه هذه الصحف وإن كان بين أهل العلم رحمهم الله خلاف في ذلك، ويقول الشيخ محمد العثيمين: «صحف إبراهيم صحف أنزلها الله تعالى على إبراهيم فيها المواعظ والأحكام»[٢].

قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [سورة النجم: ٣٦-٤١][٣].

المطلب الثاني

الخصائص الدعوية لإبراهيم عليه السلام

وإبراهيم عليه السلام له خصائص عظيمة ومنها:

➤ أولاً: أنه أبو الأنبياء عليهم السلام:

كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨]، وكان ﷺ إذا أصبح وإذا أمسى قال: **(أصبحنا على فطرة الإسلام، وعلى كلمة الإخلاص، وعلى دين نبينا محمد ﷺ، وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفاً مسلما، وما كان من المشركين)**[٤].

(١) فضائل القرآن لابن الضريس ١/ ٧٤ (١٢٧)، الدر المنثور للسيوطي ٢/ ٢٣٢.

(٢) لقاءات الباب المفتوح لقاء رقم/ ١٧٦ .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/ ٤٦٥، والدر المنثور ٦/ ٥٧٠-٥٧١.

(٤) مسند أحمد ٢٤/ ٧٩ (١٥٣٦٣)، وقال شعيب أرناؤوط: حديث صحيح، وهذا إسناد حسن

وعن سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: مر النبي ﷺ بنفر يرمون فقال: **(يا بني إسماعيل ارموا فإن أباكم كان رامياً)**(١).

➢ ثانياً: أنه خير الناس:

ففي حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا خير البرية، فقال رسول الله ﷺ: **(ذاك إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ)**(٢).

➢ ثالثاً: أنه خليل الله:

كما قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا من باب الترغيب في اتباعه، لأنه إمام يقتدى به، حيث وصل إلى غاية ما يتقرب به العباد له، فإنه انتهى إلى درجة الخلة التي هي أرفع مقامات المحبة، و ما ذا ك إلا لكثرة طاعته لربه»(٣).

والخلة أعلى أنواع المحبة، وهذه المرتبة حصلت للخليلين وهما محمد وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام، فعن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع النبي ﷺ يقول قبل أن يتوفى: **(إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلا)**(٤).

وهذه الصفة مما تفرد بها إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد نبينا ﷺ وهي الخُلَّة لله تعالى وهى كمال المحبة ومنتهاها ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأن الخلة هي

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب التحريض على الرمي (٢٨٩٩).
(٢) صحيح البخاري، كتاب الفضائل، باب من فضل إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ (٦١٣٨).
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٤٢٢.
(٤) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٢/ ٥٩٩ (٤٠١٨) ، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

كمال المحبة المستغرقة للحب كما قيل قد تخلَّلت مسلك الروح مني وبذا سمى الخليل خليلا»[١].

ولذلك كان عَلَيْهِ السَّلَامُ موفق في دعوته مسدد في تبليغه آيات ربه، فكلما كان الداعية قريب الصلة بربه ، قائماً بما يستلزم محبة الله له من واجبات ومستحبات وأنواع القربات المتنوعة، كان ذلك أحرى أن يعينه ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في قبول الناس لدعوته وامتثالهم لِما يرشدهم ويوجههم إليه من أوامر الله تعالى.

➢ رابعاً: وصفه الله تعالى بأنه أمة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [النحل: ١٢٠]. فالرجل الأمة هو الرجل الجامع لخصال الخير حتى يقوم مقام أمة من الناس[٢]، وهذا هو المقصود في حق إبراهيم، وهذه تدلنا على عظيم ما كان يتصف به إبراهيم من عبادة ودعوة وخلق حري بأن يحتذي به الدعاة في حياتهم وتزكية أنفسهم، واجتهاد أحدهم في تقويم أخلاقه والنشاط في دعوته ليقوم مقام أمة في ذلك. وقيل أن المقصود بالأمة هنا: أي الإمام، أي قدوة يقتدى به في الخير، وممن قال به ابن جرير الطبري وابن كثير[٣].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يخبر تعالى عما فضل به خليله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وخصه به من الفضائل العالية والمناقب الكاملة، فكان إماماً جامعاً لخصال الخير، هادياً مهتدياً، مديماً لطاعة ربه، مخلصاً له الدين، مقبلاً على الله بالمحبة والإنابة

(١) أمراض القلب وشفاؤها لابن تيمية ١/ ٦٨.
(٢) انظر فتحُ البيان في مقاصد القرآن، لمحمد صديق خان ٧/ ٣٣٤.
(٣) انظر جامع البيان ١٧/ ٣١٧، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٦١١.

والعبودية، معرضاً عما سواه من عبادة غير الله في قوله وعمله وجميع أحواله، لأنه إمام الموحدين الحنفاء»(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الأمة هو معلم الخير الذي يؤتم به، كما أن القدوة الذي يُقتدى به، والله جعل من ذريته النبوة والكتاب، وإنما بعث الأنبياء بعده بملته»(٢).

فقد كان خليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قدوة للعالمين، لأنه إمام المتقين، وإمام الحنفاء الذي أمر الله نبيه ﷺ وأمته اتباع ملته، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣]. وقال تعالى: ﴿قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٩٥]. وقال أيضاً: ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١﴾ [الأنعام: ١٦١].

وجعل الله ذكره إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إماماً لمن بعده، فما دام صحيحاً أن الطواف والسعي بين الصفا والمروة من شعائر الله ومن مناسك الحج، فمعلوم أن إبراهيم قد عمل بذلك وسنه لمن بعده، وقد أمر نبينا محمد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأمته باتباعه، فعليهم العمل بذلك، وهذا فيه بيان أن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إماماً للعالمين وقدوة للأمة(٣).

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ **(اختتن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم)**(٤).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٥١.

(٢) مجموع الفتاوى ١٠/ ٢٠٢.

(٣) انظر: جامع البيان ٣/ ٢٢٧.

(٤) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥﴾ [النساء ١٢٥] (٣٣٥٦)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب من فضل إبراهيم الخليل (٦٢٩٠).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ: يعوذ الحسن والحسين فيقول: **(أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطانٍ وهامةٍ ومن كل عينٍ لامة ثم يقول هكذا كان أبي إبراهيم عليه السلام يُعوذ إسماعيل وإسحاق عليهما الصلاة والسلام)**(١).

هذه النصوص كلها تدل على أنه عليه السلام إماماً وقدوة للنبي عليه السلام وأمته، فهو إمام الحنفاء الذي وفى جميع ما أمر الله به من امتثال أوامره واجتناب نواهيه.

➢ خامساً: أنه هو الذي بنى البيت العتيق:

وإبراهيم عليه السلام هو الذي بني البيت العتيق، وهذا من فضائله عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ [الحج: ٢٧].

فالخليل عليه السلام هو باني الكعبة المشرفة، وقد أمرنا الله عز وجل أن نصلي ركعتي الطواف عند مقام إبراهيم إن تيسر، كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، وقال أيضاً: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

قال الشيخ السعدي: «وذلك أنه أتى «بـهاجر» أم إسماعيل وبابنها إسماعيل عليه السلام

---

(١) مسند أحمد ١/ ٢٧٠ (٢٤٣٤)، وقال شعيب الأرنائوط: إسناده صحيح على شرط البخاري.

وهو في الرضاع من الشام حتى وضعهما في مكة وهي -إذ ذاك- ليس فيها سكن ولا داع ولا مجيب، فلما وضعهما دعا ربه بهذا الدعاء»[(١)].

قال شيخ الإسلام: «وكان لإبراهيم ولآل إبراهيم من محبة الله وعبادته والإيمان به وطاعته ما لم يكن لغيرهم، فخصصهم الله بأن جعل لبيته الذي بنوه له خصائص لا يوجد لغيره، وجعل ما جعله من أفعالهم قدوة للناس وعبادة يتبعونهم فيها، ولا ريب أن الله شرع لإبراهيم السعي ورمي الجمار والوقوف بعرفة - إلى أن قال - ولهذا خص باسم النسك»[(٢)].

➢ سادساً: كان قوي الحجة:

ويظهر ذلك في عدة مواقف منها: موقفه في محاجة قومه، وموقفه في هدم الأصنام، وموقفه في مناظرة النمرود، فإن الله رفعه بالعلم واليقين وقوة الحجج قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥]. وقال تعالى: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾ [الأنعام: ٨٣]. وقال تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الأنعام ٨٠ - ٨١].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ١/ ٤٢٧.

(٢) مجموع الفتاوى ١٧/ ٤٨٣.

المطلب الثالث
الصفات الدعوية لإبراهيم عليه الصلاة والسلام

◆ **أولاً: القنوت:**

قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ [النحل: ١٢٠]، والقنوت: لزوم الطاعة والمداومة على العبادة مع الخضوع[١]، وكذا يجب أن يكون الداعية ملازماً لطاعة الله على كل حال، فلا يكون كالمنبت يجتهد حتى تكلّ راحلته، ثم ينقطع، بل يلازم ويستقيم.

◆ **ثانياً: الحنيفية:**

قال تعالى: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥]، والحَنَف: الميل عن الضلال إلى الاستقامة ومنه: **(بعثت بالحنيفية السمحة)**[٢].

قال ابن كثير: «الحنيف: المنحرف قصداً عن الشرك إلى التوحيد»[٣]، وقد كان ذلك من إبراهيم حتى عُدَّ إمام الحنفاء الموحدين، وهكذا فليكن أولياء الله.

◆ **ثالثاً: الشكر:**

قال تعالى: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ١٢١] أي قائماً بشكر نعم الله عليه، وكذلك حقيقته في العبودية: وهذا ظهور أثر نعمة الله على

---

(١) انظر: النكت والعيون للماوردي ٣/ ٢١٩.

(٢) مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، لمحمد طاهر الهندي،، باب (حنق) ١/ ٥٩٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٥٢٤.

لسان عبده: ثناء واعترافاً، وعلى قلبه: شهوداً ومحبة، وعلى جوارحه: انقياداً وطاعة.

والشكر مبني على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، وثناؤه عليه، وأن لا يستعملها فيما يكره [(١)]، وقد كان ذلك من إبراهيم عليه السلام.

◆ رابعاً: الحلم:

قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥] والحلم: ضبط النفس والطبع عن الهيجان عند الغضب [(٢)]، والحليم: الكثير الحلم.

والذي يدل على تلك الصفة موقف إبراهيم من مقالة أبيه ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٦]، حيث قابلها بكل حلم فقال في خطابه له ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧].

وكذلك موقفه من العتاة قوم لوط حينما مرت به الملائكة وأخبرته بما أمرت به قال: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود: ٧٤ - ٧٥]، ولم يكن حلم إبراهيم ذريعة يتذرع للسكوت عن المنكر بل كان يعلن الحق وينكر الباطل.

◆ خامساً: التأوه:

وهو الذي يكثر التأوّه، ورجل أوّاه: شديد الحزن وقيل هو الدعاء إلى الخير [(٣)] وهو أن يقول: أوّه، وكل كلام يدل على حزن يقال له التأوّه، ويعبر بالأوّاه، عمن يظهر خشية الله تعالى، والذي يتحقق من معنى الأوّاه أنه الخاشع كثير الدعاء المتضرع،

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز ابادى ٢/ ٣٣٧.

(٢) التعاريف للمناوي ص١٤٦.

(٣) المخصص، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ٤/ ٨٨.

وكثرة تأوّه إبراهيم وتضرعه بين يدي ربه قد ذكرت في آيات كثيرة تدل على تحقيق إبراهيم لقوله تعالى ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤] وجدير بمن سلك طريق الدعوة أن يجعل تعجيل الإنابة من أبرز سماته ليكسب عون ربه وتسديده ومحبته.

◆ سادساً: الربانية والدعاء والتوكل على الله:

وهي صفة يغفل عنها كثير من الدعاة إلى الله ، فإن لها تأثير كبير على نجاح الداعية في دعوته والفوز بتأييد الله تعالى له وتوفيقه وإرشاده، ولقد استعمل إبراهيم عليه السلام الدعاء كثيراً في دعوته لقومه قال تعالى ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ [البقرة: ١٢٤] إلى أن قال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة: ١٢٦] ، وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧ - ١٢٩].

وقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٣٧ - ٣٨].

وقال إبراهيم عندما اشتاق للولد: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠]، وقال

بعدما رزق الولد: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤٠ - ٤١].

◆ **سابعاً: السخاء:**

قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٤-٢٧] فذكر أن الضيف مكرمون لإكرام إبراهيم لهم، ولم يذكر استئذانهم ليدل على أنه قد عرف بإكرام الضيفان، مع أنهم قوم منكرون لا يعرفهم فقد ذبح لهم عجلاً واستسمنه، ولم يعلمهم بذلك بل راح: أي ذهب خفية حتى لا يُشعر به، تجاوباً لضيافة، فدل على أن ذلك كان معداً عندهم مهيئاً للضيفان، وخدمهم بنفسه، فجاء به وقربه إليهم ولم يقربهم إليه، وتلطف معهم مبالغة في الإكرام فقال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾.

قال ابن القيم: «فقد جمعت هذه الآية آداب الضيافة التي هي أشرف الآداب، وما عداها من التكلفات التي هي تَخَلف وتكلف: إنما هي من أوضاع الناس وعوائدهم، وكفى بهذه الآداب شرفاً وفخراً فصلى الله على نبينا وعلى إبراهيم وعلى آلهما وعلى سائر النبيين»(١).

◆ **ثامناً: الصبر:**

كان إبراهيم مثلاً يحتذى في الصبر حتى استحق أن يكون من أولي العزم الذين أمر رسولنا ﷺ أن يصبر كصبرهم ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وكان صبر إبراهيم شاملاً لابتلاءات كثيرة، منها على سبيل المثال لا الحصر

(١) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام لابن قيم الجوزية ١/ ٢٧٤.

صبره عَلَيْهِ السَّلَامُ على إيذاء قومه له بإلقائه في نار عظيمة بعد تكسيره لأصنامهم قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨]، ومن ذلك صبره عَلَيْهِ السَّلَامُ لما أُمر بذبح ابنه اسماعيل وامتثاله أمر ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢]، إلى غير ذلك من صور صبره عَلَيْهِ السَّلَامُ.

◆ تاسعاً: رعايته لأهله:

لم يكن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ممن يلتفت إلى النـاس بدعوته ويترك أهله، بل بدأ بهم وخصهم بمزيد [الشعراء: ٢١٤] وكذلك كان إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فدعا أباه ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٤٢]، ووصى أبناءه بالتمسك بالدين ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢] وهي ملة إبراهيم وهى الإسلام الخالص الصريح حيث لم يكتف إبراهيم بنفسه إنما تركها في عقبه، وجعلها وصيته في ذريته، وكان يدعو لأهله كذلك بالهداية وعدم الضلال ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] وكذلك على الداعية إلى الله أن يدعو بالهداية لأهله.

ومن عنايته بأهله تفقده لابنه فقد جاء في الحديث: (... فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يطالع تركته فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم. فقالت: نحن بشرٍّ نحن في ضيق وشدة فشكت إليه. قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عَلَيْهِ السَّلَامُ وقولي له: يغير عتبة بابه. فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئاً، فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته، وسألني كيف عيشنا فأخبرته: أنّا في جهد وشدة. قال: فهل أوصاك بشيء؟

قالت: نعم. أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول غير عتبة بابك. قال: ذاك أبي وقد أمرني أن أفارقك الحقي بأهلك فطلقها، وتزوج أخرى.

فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله، ثم أتاهم بعد، فلم يجده، فدخل على امرأته فسألها عنه. قالت: خرج يبتغي لنا. قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم. قالت: نحن بخير وسعة وأثنت على الله. فقال ما طعامكم؟ قالت: اللحم. قال: فما شرابكم؟ قالت: الماء. قال: اللهم بارك في اللحم والماء: - ولم يكن لهم يومئذ حب، ولو كان لهم دعا لهم فيه - قال: فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه. قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه الصلاة والسلام ومريه يثبت عتبة بابه. فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم أتانا شيخ حسن الهيئة. وأثنت عليه. فسألني عنك فأخبرته. فسألني: كيف عيشنا. فأخبرته أنا بخير. قال: فأوصاك بشيء قالت: نعم هو يقرأ عليك السلام، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك. قال: ذاك أبي، وأنت العتبة أمرني أن أمسكك)[(١)].

◆ عاشراً: الشجاعة:

واجه إبراهيم قومه ولم يخش كيدهم وقال مقسماً: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٧]، وقوله لهم: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٧].

ومواجهته عَلَيْهِ السَّلَامُ للنمروذ ومحاججته له قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب يزفون برقم (٣١٨٤).

وكان ذلك لعلم إبراهيم بأن معه القوة التي لا تهزم، وأن ما أصابه لم يكن يخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه فرسم للدعاة منهجاً في الشجاعة المنضبطة بضوابط الشرع يحتذونه بلا تهور في مواجهة الباطل من إقرار الحق.

♦ الحادي عشر: سلامة القلب:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ۝٨٣ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات: ٨٣ - ٨٤]. «والجامع لمعناه أنه سليم من الشرور كلها ومن أسبابها، ملآن من الخير والبر والكرم، سليم من الشبهات القادحة في العلم واليقين، ومن الشهوات الحائلة بين العبد وبين كماله، سليم من الكبر ومن الرياء والشقاق والنفاق وسوء الأخلاق، وسليم من الغل والحقد، ملآن بالتوحيد والإيمان والتواضع للحق وللخلق، والنصيحة للمسلمين والرغبة في عبودية الله، وفي نفع عباد الله»[(١)].

فسلامة القلب لا تتم حتى يسلم من خمسة أشياء: من شرك يناقض التوحيد، وبدعة تخالف السنة، وشهوة تخالف الأمر، وغفلة تناقض الذكر، وهوى يناقض التجريد والإخلاص.

وأما سلامة القلب في حق المخلوقين فتكون بالنصح لهم وإيصال الخير إليهم، وسلامة القلب من الحقد والحسد وسوء الظن والكبر وغير ذلك.

♦ الثاني عشر: الرشد:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٥١] يخبر تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام أنه آتاه رشده من قبل، أي من صغره ألهمه الحق والحجة على قومه ، والمقصود أن الله تعالى أخبر أنه قد آتى إبراهيم رشده من قبل أي من قبل

(١) تيسير اللطيف المنان ص٢١٤.

ذلك، وقوله: ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ أي وكان أهلاً لذلك [١]، وكذلك على الداعية أن يتحلى بصفة الرشد مما يخوِّله على أداء واجب دعوته إلى الله بأكمل وجه وبأسهل طريق بإذن الله تعالى.

◆ **الثالث عشر: تواضع إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لربه:**

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢] فهو لا يبرئ نفسه، وهو يخشى أن يكون له ذنب، ولا يعتمد على عمله، ولا يرى أنه يستحق بعمله الأجر، إلا أنه يطمع في فضل ربه، ورحمته، وهذا هو الذي يطمعه في العفو والمغفرة.

إنها التقوى، والأدب، والشعور بقيمة نعمة الله، وقيمة عمل العبد الضئيل.

«أسند الخطيئة إليه هضماً لنفسه وتواضعاً لربه، أي تقصيري عن أن أقدره حق قدره، فإن الضعيف العاجز لا يبلغ كل ما ينبغي من خدمة العلي الكبير، وما فعله فهو بإقداره سبحانه فلا صنع له في الحقيقة أصلاً» [٢].

«فإذا كان الخليل طامعاً في غفران خطيئته، غير جازم بها على ربه، فمن بعده من المؤمنين أحرى أن يكونوا أشد خوفاً من خطاياهم» [٣].

قال أبو السعود: «ذكره عَلَيْهِ السَّلَامُ هضماً لنفسه وتعليماً للأمة أن يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلب مغفرة لما يفرط منهم وتلافياً لما عسى يندر منه عَلَيْهِ السَّلَامُ من الصغائر» [٤].

(١) مختصر تفسير القرآن العظيم لابن كثير للصابوني ٢/ ٥١١.
(٢) نظم الدرر ٥/ ٣٦٩.
(٣) نكت القرآن للقصاب ٣/ ٥٢٩.
(٤) محاسن التأويل ٧/ ٤٦١.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الشعراء: ٨٣]، فقوله: ﴿وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ إنه التواضع! والإشفاق من التقصير! والخوف من تقلب القلوب! والحرص على اللحاق بالصالحين! بتوفيق من ربه إلى العمل الصالح الذي يلحقه بالصالحين.

◆ **الرابع عشر: أدب إبراهيم عليه السلام مع ربه:**

وذلك في قوله: ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠] «لما كان المرض ضرراً، نزهه عن نسبته إليه أدباً وإن كانت نسبة الكل إليه سبحانه معلومة»(١).

◆ **الخامس عشر: السمع والطاعة المطلقة لله:**

ويظهر أثر ذلك في موقفين:

الموقف الأول: الاستسلام لله عندما أمره بذبح ابنه:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الصافات: ١٠٢ - ١٠٦].

فقوله: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ أي: «خضعا لأمر الله، وانقادا لأمره، ووطنا أنفسهما على هذا الأمر المزعج الذي لا تكاد النفوس تصبر على عشر معشاره»(٢).

الموقف الثاني: تركه لزوجته وابنه في مكة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «جاء إبراهيم بهاجر وبابنها إسماعيل عليه السلام، وهي

(١) نظم الدرر ٥/ ٣٦٩.

(٢) تيسير اللطيف المنان ص٢٠٧.

ترضعه، حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زَمْزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسِقَاء فيه ماء، ثم قَفَّى إبراهيم عليه السلام، منطلقاً. فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها. فقالت الله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذاً لا يضيعنا. ثم رجعت. فانطلق إبراهيم عليه السلام، حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهؤلاء الدعوات، ورفع يديه، قال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]»[١].

◆ **السادس عشر: باراً بأبيه مؤدباً في الحديث معه:**

فمن جملة مقالاته لأبيه إذ قال لأبيه: ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا﴾ [مريم: ٤٢ - ٤٣] «انظر إلى حسن هذا الخطاب الجاذب للقلوب: لم يقل لأبيه: إنك جاهل؛ لئلا ينفر من الكلام الخشن..

فقد حرص إبراهيم عليه السلام على هداية والده بأسلوب لين سهل، ولكن والده قابل ذلك بالجفوة والقسوة عليه في الكلام، ولكنه من بره لأبيه جاء رده: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾ [مريم٤٧]. «أي: لا أتكلم معك إلا بكلام طيب لا غلظة فيه ولا خشونة، ومع ذلك فلست بآيس من هدايتك: ﴿سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾ [مريم: ٤٧]»[٢].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب يزفون (٣١٨٤).

(٢) تيسير اللطيف المنان ص٢٠١.

◆ **السابع عشر: (أن الله رفعه بالعلم واليقين وقوة الحجج:**

قال جل ذكره: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾ [الأنعام: ٨٣].

ومن شوقه إلى الوصول إلى غاية العلم ونهايته أن سأل ربه: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]»[١].

المطلب الرابع
أسس دعوة إبراهيم عليه الصلاة السلام

أولاً: الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك:

قال تعالى: ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٧]، وقال تعالى: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

وقال تعالى ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنعام: ٧٤]، وقال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩]، وقال: ﴿وَوَصَّىٰ

(١) تيسير اللطيف المنان ص ٢١٠.

بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢] ، وقال لقومه: ﴿قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ۝٦٦ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٦ - ٦٧].

فكان أول أساس دعا إليه عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الاستسلام لله تعالى بتوحيده وإفراده بالعبادة وحده لا شريك ، والتبرؤ والابتعاد عن كل معبود باطل لا يملك ضرّاً ولا نفعاً ولا يملك موتاً ولا حياة ولا نشورا.

ثانياً: الدعوة إلى الايمان بالبعث والنشور:

دعى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ قومه إلى الايمان باليوم الآخر وأنهم مبعوثون ليوم يحاسبون فيه على ما أقرفته أيديهم في الحياة الدنيا ، وان الله سبحانه الذى خلقهم قادر على أن يحييهم مرة أخرى ومحاسبتهم فإما إلى جنة وإما إلى نار ، قال تعالى على لسان إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ۝٨١ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨١ - ٨٢] إلى أن قال: ﴿وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ۝٨٧ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ [الشعراء: ٨٧ - ٨٩] ، وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [البقرة: ١٢٦].

ثالثاً: الدعوة إلى الإيمان بالرسل:

أخبر إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في ثنايا دعوته لقومه أن الله قد أرسل رسلاً من قبله إلى أقوامهم ، وكيف أن الله أنزل عليهم العذاب الأليم بسبب تكذيبهم لهؤلاء الرسل ، قال تعالى ﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [العنكبوت: ١٨] ، وهو من قوله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أي التكذيب عادة الكفار وليس على

الرسل إلا التبليغ [(١)]، فبين عليه السلام أنه رسول كباقي الرسل الذين سبقوه وأنهم إن كذبوه فإنهم بذلك فعلوا كأسلافهم المكذبين لأنبيائهم ورسلهم، فهم في الإثم سواء.

رابعاً: الدعوة إلى الاقرار بالنبوة واتباعها:

فقد كانت من أسس دعوة إبراهيم عليه السلام النبوة، وأنه كان نبي من أنبياء الله الذين أرسلوا إلى أقوامهم ليبلغوا دعوة الله عز وجل إلى أقوامهم، بل كان من أُلي العزم منهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا﴾ [مريم: ٤٣]، قال الإمام القرطبي: «﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ أي من اليقين والمعرفة بالله، وما يكون بعد الموت، وأن من عبد غير الله عذب» [(٢)].

وقال الشيخ السعدي رحمه الله: «أي: يا أبت لا تحقرني وتقول: إني ابنك وإن عندك ما ليس عندي، بل قد أعطاني الله من العلم ما لم يعطك، فاتبعني أهديك طريقاً مستقيماً معتدلاً، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وطاعته في جميع الأحوال، وفي هذا من لطف الخطاب ولينه، فإنه لم يقل «أنا عالم وأنت جاهل» أوليس عندك من العلم شيء» [(٣)].

والآية دالة على وجوب النصيحة في الدين، لاسيما للأقارب، فإن من كان أقرب فهو أهم، وإبراهيم عليه السلام خاطب أبوه بأسلوب الوعظ والنصيحة اللَّيِّنة رغم مكانته عليه السلام العالية بين أنبياء الله وأصفياءه.

قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٤١]، وقال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ [النساء: ١٢٥].

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٣/ ٣٣٦.
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١/ ١١١.
(٣) تيسير الكريم الرحمن ١/ ٤٩٤.

خامسا: التحقيق لعقيدة الولاء والبراء:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف: ٢٦ – ٢٧] فكل عدو لله وإن قربه النسب تجب البراءة منه، وكل ولي لله وإن باعدت به الأوطان والأزمان تجب موالاته ومحبته وقد أمرنا أن نتأسى بإبراهيم في ذلك قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

فالتأسي هنا في ثلاثة أمور: التبرؤ منهم ومما يعبدون من دون الله ، والكفر بهم ، وإبداء العداوة والبغضاء وإعلانها وإظهارها أبدا إلى الغاية المذكورة حتى يؤمنوا بالله وحده، وهذا غاية في القطيعة بينهم وبين قومهم، وزيادة عليها إبداء العداوة والبغضاء أبدا، والسبب في ذلك هو الكفر، فإذا آمنوا بالله وحده انتفى كل ذلك بينهم [(١)].

المطلب الخامس

وسائل وأساليب دعوة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ

أولاً: الرِّفق واللِّين:

استعمل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أسلوب الرفق واللين في دعوته ، وكان من أبرز المواقف التي ظهر فيها هذا الأسلوب هو في دعوته لأبيه ءازر ، حيث كان حريصاً كل الحرص على إجابته لدعوته له واستجابته لأوامر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي ٨/ ٨٥.

إِبْرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٤١ - ٤٥].

فهنا يعرض القرآن الكريم هذا الحوار بين إبراهيم عليه السلام وأبيه أبلغ العرض وأحسنه، وقد تجلت فيه حكمة إبراهيم الخليل عليه السلام وأدبه مع أبيه، وحرصه على هدايته إلى الصراط المستقيم، وما قابله به أبوه من التكذيب والتهديد والوعيد الذي لم يزد إبراهيم عليه إلا أدباً إلى أدبه وحرصاً وصبراً على دعوة أبيه ووعده بأن يستغفر الله تعالى له، قال تعالى: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧]، وقد وفى بوعده عليه السلام، حتى نهاه الله تعالى عن ذلك فانتهى[(١)].

ثانياً: المناظرة والمجادلة:

ويظهر ذلك في كواقف كثيرة لإبراهيم منها:

١- مناظرته للنمرود:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

٢- مناظرته العملية لقومه عبدة الأصنام:

قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ

---

(١) حماية الرسول ﷺ حمى التوحيد، لمحمد بن زربان الغامدي ١/ ٧٩.

أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾
قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ
ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى
وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن
يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: ٦٩ - ٨٠].

٣- مناظرته العلمية والعملية لقومه:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ
وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ
لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾
قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ
لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ
إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى
يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ
فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟
يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ
لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ
شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ
وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟
بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنبياء: ٥١ - ٥٦].

٤- مناظرته لعبدة الكواكب:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٧٤ - ٨٣].

وكذلك على الداعية أن يستعمل في مناظرته المسلَّمات، والتي لا تدع مجال للمراوغة، بل تُقابل بالتسليم والإذعان والقبول بإذن الله تعالى.

ثالثاً: الخلطة أو العزلة:

فكان من أساليب دعوته عليه السلام أسلوب الخلطة أو العزلة، قال تعالى: ﴿فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٨ - ٩٩].
وقال تعالى: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ

رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤٨ - ٤٩].

فعلى الداعي إلى الله أن يقتدي في دعوته بمنهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإذا لم يستجيب الناس له في دعوته فعليه أن يصبر على أذاهم، وأن يعتزلهم فيما هم عليه من منكر وشر ، وكذلك إذا كان هجر المدعو واعتزاله فيه مصلحة له فله ذلك بشرط ألا يكون ذلك سبباً في تماديه في الباطل واستغراقه فيه.

رابعاً: التدرج:

والتدرج في الدعوة إلى الله من أهم أساليب الدعوة إلى الله تعالى، وإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ استخدم أسلوب التدرج والتنزُّل مع قومه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٤ - ٧٩].

فهنا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أراد أن يستدرج قومه بهذا القول ويعرفهم جهلهم وخطأهم في تعظيم النجوم وعبادتها لأنهم كانوا يرون أن كل الأمور إليها، فأراهم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه معظّم ما عظموه فلما أفل الكوكب والقمر والشمس أراهم النقص الداخل على النجوم بسبب الغيبوبة والأفول ليثبت خطأ ما كانوا يعتقدون فيها من الألوهية (١).

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ٢/ ١٢٨.

فلا بد للداعي إلى الله أن يلتزم بأسلوب التدرج في الدعوة، وألا يخاطب المدعُوِّين بكل ما أُمروا به ونُهوا عنه جملة واحدة بل يتدرج معهم في ذلك بلا إخلال في ذلك، وهذا أدعى لقبولهم وامتثالهم أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه.

○ خامساً: تغيير المنكر باليد:

وقد ثبت استخدام إبراهيم عليه السلام اليد في تغييره للمنكر، قال تعالى: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٧ - ٥٨] وكان دافعه عليه السلام هو بيان ما هم عليه من ضلال، وإثبات بالبرهان الحسِّي العملي أنهم ما يعبدون إلا حجارة صماء لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً، فضلاً عن أن تنفع غيرها، وهذ ظاهر في تحديهم عليه السلام لهم بعد اكتشافهم للواقعة حيث قال لهم: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣].

ومما لا شك فيه أن تغيير المنكر باليد ليس لكل أحد، وليس في كل منكر، لأن ذلك يجري من المفاسد والأضرار الكثيرة، بل كلٌ على حسبه بضوابطه الشرعية، وسوف يأتي بيانها بإذن الله تعالى [١].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وليس لأحد أن يزيل المنكر بما هو أنكر منه، مثل أن يقوم واحد من الناس يريد أن يقطع يد السارق ويقيم الحدود، ويجلد الشارب، لأنه لو فعل ذلك لاقتضى إلى الهرج والفساد» [٢].

---

(١) تم الحديث عنها في بحث القضايا المنهجية الدعوية، عند مبحث فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٢) المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام، لابن تيمية ٣/ ٢٠٣.

سادساً: الوصية:

قال تعالى ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢] فقوله: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ﴾ أي بكلمة الإسلام، وصّى بها بنيه، والوصية آكد من الأمر لأنها تكون عند الخوف من الموت فيحتاط بها الإنسان الى ما هو أحوج، وقال: ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ الحق الذي هو عبادته وحده والاعتراف والعمل بما أمر به والاجتناب عما نهى عنه، فتمسكوا به وأمروا به غيركم ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ لله مخلصون له مصدقون بما آتاكم، واحذروا كل الحذر من المخالفة والتقصير بنصح الخلق فإنكم مسؤولون عنهم كما أنكم مسؤولون عن أنفسكم[1].

سابعاً: التطبيق بالمثال العملي:

وكان ذلك في قيامه عَلَيْهِ السَّلَامُ بيان بطلان ما عليه قومه من عبادةٍ للأصنام أو عبادةٍ للكواكب والنجوم.

ففي الأولى قام بتحطيم أصنامهم المزعومة ووضع الفأس على أكبرهم ليثبت لهم عملياً وبمثالٍ حي أنها لا تستطيع أن تدفع عن نفسها الأذى ولا أن تلحقه بغيرها، قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ۝٦٢ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ۝٦٣ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٦٤ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٢ – ٦٥].

وأما في الثانية فقد تنزَّل معهم عَلَيْهِ السَّلَامُ في قولهم أن الكواكب والنجوم آلهة تنفع وتضر، ثم أخذ يلفت انتباههم إلى أن هذه النجوم مُسيَّرة، تشرق وتغيب، تبزغ وتأفل،

(١) بيان المعاني، لعبد القادر بن ملاّ حويش السيد محمود آل غازي العاني ٥/ ٨٧.

لا تتحكم هي في نفسها بل هي محكومة مقيدة، فلما اتضحت لهم حقيقة تلك النجوم والكواكب بالمثال العملي في إشراقها وغروبها ، وصارحهم بحقيقة الإيمان ، وأن هذه مخلوقات لها خالق خلقها وفطرها وأوجدها فكانت الحجة أبين وأوقع، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥ - ٧٩].

المطلب السادس
نتيجة دعوة إبراهيم عَلَيۡهِ السَّلَامُ

أولاً: جعل الله النبوة في ذريته عَلَيۡهِ السَّلَامُ:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا﴾ [مريم: ٤٩] فالله عوضه عن الغربة الأنس بالولد والأحفاد، أما الولد فإسحاق، وأما الحفيد فيعقوب، وكانوا بذلك فئته التي اعتز بعد الله تعالى بها، وكان أنسه في هذا الاعتزال، ﴿وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا﴾، أي جعلنا كل واحد منهما نبيا، وللإشارة إلى أن الله أبدله من أبيه المشرك الذي نهره وهدده بالرجم ثم طرده محروماً من محبته، أبدله من هذا أنبياء من ذريته استأنس بهم بعد وحشة الاعتزال (١).

(١) انظر: زهرة التفاسير لأبي زهرة ٩/ ٤٦٥٣.

وقال تعالى ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٧].

ثانياً: إيمان لوط عليه للسلام له:

كان إيمان لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من ثمرات دعوة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال تعالى ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: ٢٦]، وقال تعالى ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١].

ثالثاً: تشريع حج بيت الله الحرام:

أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن يؤذن في الناس بالحج ليشهدوا منافع لهم وليشكروا الله على ما أنعم به عليهم، قال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ [الحج: ٢٧ - ٢٨].

ثم كان التشريع في الإسلام بوجوب الحج، مرة واحدة في العمر على المستطيع قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

رابعاً: بعثة النَّبي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ذرية:

والتي تُعد من أعظم ثمرات ونتائج دعوة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حيث كانت استجابة لدعائه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩] أي ابعث في الأمة المسلمة رسولاً من أنفسهم وهذا من جملة دعواته المباركة، فاستجاب الله الدعاء

ببعثة السراج المنير محمد ﷺ ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ﴾ أي يقرأ آيات القرآن ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ أي يعلمهم القرآن العظيم والسنة المطهرة ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أي: يطهرهم من رجس الشرك [1].

خامساً: الأمر باتباع ملة إبراهيم عليه السلام:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣]، وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ [الممتحنة: ٤].

فقصة إبراهيم خليل الرحمن ﷺ قد ذكر الله في كتابه سيرة وأخباراً كثيرة من سيرة إبراهيم، فيها لنا الأسوة بالأنبياء عموما، وبه على وجه الخصوص؛ فإن الله أمر نبينا وأمرنا باتباع ملته، وهي ما كان عليه من عقائد وأخلاق وأعمال قاصرة ومتعدية، فقد آتاه الله رشده وعلَّمه الحكمة منذ كان صغيرا، وأراه ملكوت السماوات والأرض.

المطلب السابع

الدروس المستفادة من دعوة إبراهيم عليه السلام

الدروس المستفادة من قصة إبراهيم كثيرة جدا.. نبرز أهمها في الآتي:

١- أهمية حسن التوكل على الله عز وجل، وذلك في جميع الأحوال والمواقف التي تمر بالداعية سواء في عسره ويسره، وهو في مواقف الشدة آكد وألزم أن يستحضره الداعية ويلزمه ، كما كان من إبراهيم عليه السلام لما ألقي في النار التي أوقدها له قومه، حيث كان لفظه في هذا الموقف العصيب هو حسبنا الله ونعم الوكيل ، كما ورد عن

(١) صفوة التفاسير للصابوني ١/ ٨٤.

ابن عباس أنه قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، «قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ﴾ [آل عمران: ١٧٣]»[(١)].

٢- البدء في الدعوة بالأقربين قبل غيرهم، فهم أولى الناس بإيصال الخير لهم، كما فعل إبراهيم عليه السلام بالبدء في دعوة أبيه آزر ، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم: ٤١ - ٤٢].

٣- بيان عظم فضل الله على عباده المؤمنين، خاصةً الدعاة إلى دينه منهم، فهم مظنة النجاة في الدنيا من خذلان الله وسخطه ، وفى الآخرة من عذابه وعقابه ، وكذلك هم محل لعون الله تعالى لهم في الشدائد، كما نجى الله إبراهيم عليه السلام من النار وكيف أخرجه منها سالماً معافى ، قال تعالى: ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٦٨ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٨ - ٦٩] هذا في الدنيا، أما في الآخرة فقال الله فيه ﴿وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠]

٤- امتثال أمر الله تعالى لا يأتي إلا بالخير، وذلك يتجلى في امتثال إبراهيم عليه السلام أمر الله تعالى له بترك هاجر عليها السلام هي وولدها الرضيع في الصحراء القاحلة ، وكيف كان الخير العميم الذي حل عليهما بخروج ماء زمزم المباركة، وجعل هذا المكان المبارك من شعائر الله عز وجل يفيض الناس إليه من كل فج عميق.

وكذلك امتثاله عليه السلام برؤيا ذبح ولده الوحيد إسماعيل عليه السلام، وكيف أن الله تعالى حفظ له ولده ، وجعل هذا اليوم هو يوم العيد الأكبر للمسلمين من بعده ، يتقربون فيه إلى الله سبحانه وتعالى بذبح الأنعام تأسياً بإبراهيم عليه السلام.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب {إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم} (٤٥٦٣).

٥- عظم قدرة الله وحفظه لعباده الصالحين، كيف لم تحرق النار إبراهيم، والمشهود المعروف أن النار تحرق الأجسام الحية؟ إن الذي قال للنار: كوني حارقة. هو الذي قال لها: كوني برداً وسلاما، وما كان تحويل النار برداً وسلاماً على إبراهيم إلا مثلاً تقع نظائره في صور شتى، فكم من ضيقات وكربات تحيط بالأفراد والمجتمعات يظنها البعض قاصمة، فإذا هي تحيي ولا تميت، وتعود بالخير وقد كانت.

٦- من ترك شيء لله عوضه الله خيراً منه، قال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَـٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَـٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١ - ٧٣] لقد ترك إبراهيم عليه السلام وطناً وأهلا، فعوضه الله بالأرض المباركة وطناً خيراً من وطنه. وعوضه ابنه إسحاق وحفيده يعقوب أهلاً خيراً من أهله. وعوض من ذريته أمة عظيمة العدد قوماً خيراً من قومه. وجعل من نسله أئمة يهدون الناس بأمر الله.

٧- عدم المجاملة في العقيدة، فلا مجاملة لوالد ولا لقوم، والرابطة الأولى هي رابطة العقيدة، والقيمة الأولى هي قيمة الإيمان، قال تعالى: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٧٥ - ٧٧].

٨- أهمية الاحتياط في القول، فقد استثنى إبراهيم ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ من عدائه، إنها الدقة الواعية في التعبير، في مجال التحدث عن العقيدة وموضوعها الدقيق.

٩- حياة الداعية مع الله وحسن التدبر في نعمه، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى

﴿فَهُوَ يَهْدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ٨٠ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ٨١ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: ٧٨ - ٨٢]. فهذا الوصف من إبراهيم لربه، يدل على أن إبراهيم عليه السلام كان يعيش بكيانه مع ربه. وأنه يتطلع إليه في ثقة، ويتوجه إليه في حب مقبل عليه مقدر لنعمه متأمل فيها شاكر لها.

١٠- علو الهمة الدعوية، قال تعالى: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤] إنها دعوة تدفعه إليها الرغبة في الامتداد بالعقيدة، فهو يطلب إلى ربه أن يجعل له فيمن يأتون أخيراً لسان صدق يدعوهم إلى الحق، ويردهم إلى الحنيفية السمحاء دين إبراهيم. «أي الناس الذين يوجدون بعدي إلى يوم الدين لأكون للمتقين إماماً، فيكون لي مثل أجورهم»(١). قال الإمام مالك: لا بأس أن يحب الرجل أن يثنى عليه صالحاً، ويُرى في عمل الصالحين، إذا قصد به وجه الله ولم يراء به وهو الثناء الصالح(٢).

١١- أتباع الرسل لهم فضائل الرسل إن التزموا ما كان عليه الرسل، فهم لهم نصيب من ذلك بحسب ميراثهم من طاعتهم ومتابعتهم، وكل من خالفهم، فإنه بعيد من ذلك بحسب مخالفتهم ومعصيتهم، قال تعالى عن إبراهيم: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾ وقال أيضاً عنه وعن بنيه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٠]. وقال لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤](٣).

١٢- الذكر الجميل قائم مقام الحياة الشريفة، بل الذكر أفضل من الحياة؛ لأن

(١) نظم الدرر ٥/ ٣٧٠.
(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٦/ ١٧٩.
(٣) الجواب الكافي لابن القيم ٨٠.

أثر الحياة لا يحصل إلا في مسكن ذلك الحي، أما أثر الذكر الجميل فإنه يحصل في كل مكان وفي كل زمان قال تعالى: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾[(١)].

١٣- من عزم على فعل الطاعات وبذل مقدوره في أسبابها، ثم حصل مانع يمنع من إكمالها، فإن أجره قد وجب على الله، كما قال الله ذلك في المهاجر الذي يموت قبل أن يصل إلى مهاجره، وكما ذكره الله في قصة الذبح، وأن الله أَتَمَّ الأجر لإبراهيم وإسماعيل حين أسلما لله وأذعنا لأمره، ثم رفع عنهما المشقة، وأوجب لهما الأجر الدنيوي والأخروي.

١٤- ما في قصصه من آداب المناظرة: طرقها ومسالكها النافعة، وكيفية إلزام الخصم بالطرق الواضحة التي يعترف بها أهل العقول، وإلجاؤه الخصم الألد إلى الاعتراف ببطلان مذهبه، وإقامة الحجة على المعاندين وإرشاد المسترشدين.

١٥- من نعمة الله على العبد هبة الأولاد الصالحين، وأن عليه في ذلك أن يحمد الله، ويدعو الله لذريته كما فعل الخليل ﷺ في قوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩] إلى آخر الدعاء.

١٦- المشاعر ومواضع الأنساك من جملة الحكم فيها، أن فيها تذكراً بمقامات الخليل وأهل بيته في عبادة ربهم، وإيمان بالله ورسله، وحث على الاقتداء بهم في كل أحوالهم الدينية وكل أحوال الرسل دينية، لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗى﴾ [البقرة: ١٢٥].

١٧- الأمر بتطهير المسجد الحرام من الأنجاس، ومن جميع المعاصي القولية

(١) اللباب في علوم الكتاب ١٧/ ٢٦٩.

والفعلية؛ تعظيماً لله وإعانة وتنشيطاً للمتعبدين فيه، ومثله بقية المساجد لقوله ﷻ: ﴿وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦].

١٨- أفضل الوصايا على الإطلاق ما وصى به إبراهيم بنيه ويعقوب، وهي الوصية بملازمة القيام بالدين وتقوى الله والاجتماع على ذلك، وهي وصيته تعالى للأولين والآخرين، إذ بها السعادة الأبدية والسلامة من شرور الدنيا والآخرة.

١٩- العامل - كما عليه أن يتقن عمله ويجتهد في إيقاعه على أكمل الوجوه - فعليه مع ذلك أن يكون بين الخوف والرجاء، وأن يتضرع إلى ربه في قبوله وتكميل نقصه، والعفو عما وقع فيه من خلل أو نقص، كما كان إبراهيم وإسماعيل يرفعان القواعد من البيت، وهما بهذا الوصف الكامل.

٢٠- أن الجمع بين الدعاء لله بمصالح الدنيا والدين من سبيل أنبياء الله، وكذلك السعي في تحصيلهما الدين هو الأصل والمقصود الذي خلق له الخلق، والدنيا وسيلة ومعونة عليه لدعاء الخليل لأهل البيت الحرام بالأمرين، وتعليله الدعاء بالأمور الدنيوية أنه وسيلة إلى الشكر فقال: ﴿وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

٢١- ما اشتملت عليه قصة إبراهيم من مشروعية الضيافة وآدابها، فإن الله أخبر عن ضيفه أنهم مكرمون، يعني: أنهم كرماء على الله، وأيضاً إبراهيم أكرمهم بضيافته قولاً وفعلا، فإكرام الضيف من الإيمان، وأنه خدمهم بنفسه وبادر بضيافتهم قبل كل شيء، وأتى بأطيب ماله: عجل حنيذ سمين، وقرَّبه إليهم ولم يحوجهم إلى الذهاب إليه، وعرض عليهم الأكل بلفظ رقيق فقال: ألا تأكلون؟

٢٢- مشروعية السلام، وأن المبتدئ فيه هو الداخل وهو الماشي، وأنه يجب

رده، ومشروعية الوقوف على اسم من يتصل بك من صاحب ومعامل وضيف لقوله: ﴿سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٥]. أي لا أعرفكم فأحب أن تعرفوني بأنفسكم، وهذا ألطف من قوله أنكرتكم ونحوه.

٢٣- الترغيب في أن يكون أهل الإنسان ومن يتولى شؤون بيته حازمين مستعدين لكل ما يراد منهم من الشؤون والقيام بمهمات البيت، فإن إبراهيم في الحال بادر إلى أهله فوجد طعام ضيوفه حاضراً لا يحوج إلا إلى تقديمه.

٢٤- ما ذكره في قصة نوح وإبراهيم وموسى وهارون وإلياس: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ٧٩]، وقوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الصافات: ١٠٩]، يتبعها بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الصافات: ١١٠] فوعد الباري أن كل محسن في عبادته محسن إلى عباده أن الله يجزيه الثناء الحسن والدعاء من العالمين بحسب إحسانه، وهذا ثواب عاجل وآجل، وهو من البشرى في الحياة الدنيا، ومن علامات السعادة»(١).

---

(١) تيسير اللطيف المنان ص٢١١ - ٢١٤ بختصار يسير.

المبحث الثالث

دعوة موسى عليه السلام

المطلب الأول التعريف بموسى عليه السلام.

المطلب الثاني الخصائص الدعوية لموسى عليه السلام.

المطلب الرابع أسس دعوة موسى عليه السلام.

المطلب الخامس وسائل وأساليب دعوة موسى عليه السلام.

المطلب السادس نتيجة دعوة موسى عليه السلام.

المطلب الأول

التعريف بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ

اسمه: موسى بن عمران بن قاهث بن عازر بن لاوى بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ(١).

قومه الذين أُرسل إليهم: هم بنو إسرائيل، وكان فرعون يحكم بني إسرائيل في زمن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فأرسل إليه لدعوته للتوحيد ورفع الظلم عن بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزخرف: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝١٠ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٠- ١١]. وقال تعالى: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ١٦ - ١٧].

فرسالة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كانت إلى فرعون الطاغية المتجبر، أعتى ملوك الأرض في زمانه، وهو مرسل لاستنقاذ قوم قد ذُلوا حتى استمرأوا الذل، واستكانوا إليه، فالذل يفسد الفطرة البشرية حتى يذهب بما فيها من الخير والجمال؛ فاستنقاذ قوم كهؤلاء من طاغية مثل فرعون أمر عسير.

وقد كان هؤلاء القوم لهم عقيدة قديمة انحرفوا عنها، فلا هي قلوب نظيفة تتقبل العقيدة ببراءة وسلامة، ولا هي باقية على عقيدتها القديمة. ومعالجة مثل هذه القلوب شاقة عسيرة، فالرواسب والانحرافات تزيد المهمة مشقة وعسراً.

(١) قصص الأنبياء لابن كثير ٢/ ٣.

إن موسى عليه السلام كان مرسلاً لإعادة إنشاء أمة، تحكمها رسالة. وإنشاء الأمم عمل ضخم شاق عسير.

ولهذا المعنى كانت عناية القرآن الكريم بهذه القصة، فهي نموذج كامل لبناء أمة على أساس دعوة، وما يعترض هذا العمل من عقبات خارجية وداخلية.

كتابه الذي أُنزل إليه: التوراة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٥٣]. قال الطبري: «ويعني بـ «الكتاب»: التوراة، وبـ «الفرقان»: الفصل بين الحق والباطل»[١].

«وليس في قصص القرآن أعظم من قصة موسى؛ لأنه عالج فرعون وجنوده، وعالج بني إسرائيل أشد المعالجة، وهو أعظم أنبياء بني إسرائيل، وشريعته وكتابه التوراة هو مرجع أنبياء بني إسرائيل وعلمائهم، وأتباعه أكثر أتباع الأنبياء غير أمة محمد ﷺ، وله من القوة العظيمة في إقامة دين الله والدعوة إليه والغيرة العظيمة ما ليس لغيره»[٢].

المطلب الثاني

الخصائص الدعوية لموسى عليه السلام

❑ أولاً: كلّم الله موسى عليه السلام وخصه بهذا الأمر:

قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]. وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾ [الأعراف: ١٤٤].

(١) جامع البيان ٢/ ٧٠.

(٢) تيسير اللطيف المنان ص٢٢٤.

ثانياً: اصطفاه الله وجعله له خالصاً:

وقد مدح الله نبينا موسى عليه السلام بهذه الصفة فقال سبحانه: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ [مريم: ٥١]، وقال سبحانه: ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ [طه: ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾ [طه: ٤١].

ثالثاً: كان مقرباً من الله:

وصف الله رسوله موسى عليه السلام بصفة جليلة، وهي القرب منه سبحانه. فقال عز وجل: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾ [مريم: ٥٢].

رابعاً: كانت له الوجاهة عند الله تعالى:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا﴾ [الأحزاب: ٦٩]. «أي لَهُ وَجَاهَةٌ وَمَكَانَةٌ عِنْدَ اللهِ فِي الدُّنْيَا، بِمَا يُوحِيهِ اللهُ إِلَيْهِ مِنَ الشَّرِيعَةِ، وَيُنَزِّلُ عَلَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا مَنَحَهُ بِهِ، وَفِي الدَّارِ الْآخِرَةِ يَشْفَعُ عِنْدَ اللهِ فِيمَنْ يَأْذَنُ لَهُ فِيهِ، فَيَقْبَلُ مِنْهُ، أُسْوَةً بِإِخْوَانِهِ مِنْ أُولِي الْعَزْمِ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ»(١).

خامساً: أيد الله تعالى موسى عليه السلام بمعجزات باهرات:

وذلك ليتيقن الناس أنه من عند الله الحق، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ﴾ [الإسراء: ١٠١].

وهذه التسع آيات هي المذكورة في قوله تعالى: ﴿فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ١٠٧ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٨]. وقوله سبحانه: ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٤٣.

وقوله سبحانه: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٣].

وقوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٠].

❑ سادساً: طلب العلم:

فقد آتى الله موسى عليه السلام علماً ونبوة ورسالة، ولكنه برغم ذلك كان يحب أن يتعلم ما لا يعلم. فلما أخبره الله أن هناك من هو أعلم منه، رحل موسى إليه طالباً للعلم الذي عنده. بكل تواضع. قال تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ [الكهف: ٦٥ - ٦٩] فانظر كيف صار تابعاً لهذا العبد الصالح كي يتعلم منه العلم النافع.

❑ سابعاً: تأييد الله له ببعثة أخاه هارون معه مؤيداً وناصراً:

قال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٥٣]. وقال تعالى: ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾ [القصص٣٥].

فالأخوة رحمة من رحمات الله. «فالاستعانة إذا كانت بأولي القربى من أهل النسب، أو التربية، أو الصحبة القديمة كانت أكمل؛ لما يقع في ذلك من مجانسة خلقهم لخلقه، فتتم المشاكلة في الاستعانة»(١).

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص٣١٩.

❑ ثامناً: عناية الله تعالى به عناية خاصة:

قال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩]. وظهرت تلك العناية في نجاته من اليم وتربيته في بيت فرعون وإرجاعه إلى أمه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٣٧ - ٤١].

❑ تاسعاً: إزالة ما في صدر موسى من الخوف:

وذلك في مواقف كثيرة منها: في مدين: فبعد ما ذكر الله تعالى قصته مع بنتي صاحب مدين، ذكر تعالى تبشير صاحب مدين لموسى بالنجاة، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٢٤].

وكذلك عند الطور، قال الله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى﴾ طه١٧ - ٢٣].

وكذلك عند تكليفه بالرسالة: ذلك عندما أمره بالذهاب إلى فرعون هو أخاه هارون قال موسى: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ [طه: ٤٥] فقال له الله

تعالى يطمئنه: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

❑ عاشراً: أمْرُ الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لموسى أن يأخذ ما يوحى إليه بقوة:

قال تعالى: ﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ﴾ [الأعراف١٤٥]. «أي: بجد واجتهاد على إقامتها»[1].

فالعقيدة أمر عظيم عند الله - سبحانه - وأمر عظيم في حياة الإنسان وحياته في هذه الأرض وفي الدار الآخرة كذلك.. وأمر له هذه الخطورة يجب أن يؤخذ بقوة، وأن تكون له جديته في النفس، وظهوره وحسمه. ولا ينبغي أن يؤخذ في رخاوة، ولا في تميع، ولا في ترخص، وليس معنى هذا - بطبيعة الحال - هو التشدد والتعنت والتعقيد والتقبض! فهذا ليس من دين الله.. ولكن معناه الجد والهمة والحسم والوضوح..

❑ الحادي عشر: تعليم الله لموسى وأخيه هارون أسلوب الدعوة وحفظ الله لهما:

قال تعالى: ﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ٤٢ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ٤٥ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ٤٧﴾ [طه٤٢ - ٤٧]. وقوله تعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس٨٧].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٢٠٣.

❏ الثاني عشر: تربيته سبحانه وتعليمه لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالموقف:

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف١٤٣].

المطلب الثالث

الصفات الدعوية لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ

☜ أولاً: حيياً ستيرا:

كان موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حيياً ستيرا، يستحي أن يرى قومه جلده، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلاً حَيِيّاً سِتِّيراً لا يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ)**(١).

☜ ثانياً: الصبر:

أوذي موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أذًى شديداً من فرعون وقومه فصبر على ذلك، كما أخبرنا نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آثَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُنَاساً فِي الْقِسْمَةِ، فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ وَأَعْطَى أُنَاساً مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ فَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ، قَالَ: رَجُلٌ وَاللهِ إِنَّ هَذِهِ الْقِسْمَةَ مَا عُدِلَ فِيهَا وَمَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللهِ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لَأُخْبِرَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ، **فَقَالَ: (فَمَنْ**

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ (٣٢٢٣).

يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللهُ وَرَسُولُهُ رَحِمَ اللهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ)(١).

☜ ثالثاً: التواضع لأهل الفضل:

وهذا ظاهر في تواضعه للخضر والحديث معه بأدب طالب العلم، قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: ٦٥ – ٦٩].

قال البيضاوي: "وقد راعي في ذلك غاية التواضع والأدب. فاستجهل نفسه، واستأذن أن يكون تابعاً له، وسأل منه أن يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما أنعم الله عليه"(٢)، "وهكذا ينبغي أن يكون سؤال المتعلم من العالم»(٣).

يقول الشيخ السعدي: «التأدب مع المعلم، وخطابه بألطف خطاب، وإقراره بأنه يتعلم منه، بخلاف ما عليه أهل الجفاء أو الكبر، الذي لا يُظهر للمعلم افتقاره إلى علمه، بل يدَّعِيَ أنه يتعاون هو وإياه، بل ربما ظن أنه يعلم معلمه، وهو جاهل جدّاً، فالذل للمعلم، وإظهار الحاجة إلى تعليمه؛ من أنفع شيء للمتعلم»(٤).

☜ رابعاً: الافتقار إلى الله:

علي رغم ما أعطاه الله لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من قوة البدن، إلا أنه كان مفتقراً لله. قال تعالى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس، باب ما كان يعطي النبي ﷺ المؤلفة قلوبهم وغيرهم (٢٩٣٣).
(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي ٣/ ٢٨٧.
(٣) محاسن التأويل ٧/ ٤٨.
(٤) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٨٢.

خامساً: دعاء الله تعالى:

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ٣٥ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٢٥ - ٣٦].

سادساً: حسن التوكل على الله:

حصل لموسى عليه السلام أحداث عظيمة، فكان فيها بين الخوف ومحاولة النجاة، ولكن في كل هذه الأحداث كان متوكلاً علي ربه واثقا متيقناً أن الله معه، وناصره، وهاديه، ومؤيده. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ [الشعراء: ٦١ - ٦٢].

سابعاً: الاعتراف بالخطأ والرجوع للحق:

وظهر ذلك في ندمه على قتل القبطي، وطلب من الله المغفرة، قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ ١٥ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٦ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ١٧﴾ [القصص: ١٥ - ١٧].

وظهر كذلك عندما أظهر له هارون عليه السلام حجته في تركه لبني إسرائيل لكي لا يتفرقوا، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ

ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥٠ - ١٥١].

وظهر كذلك عندما طلب من ربه أن يراه، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وظهر كذلك عندما أكثر على الخضر في الانكار على ما يفعل مع أنه أخذ العهد على نفسه بعدم السؤال، ففي الاستنكار الأول قال الله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا﴾ [الكهف: ٧٢ - ٧٣]، وفي الاستنكار الأول قال الله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا﴾ [الكهف: ٧٥ - ٧٦].

☜ ثامناً: نخوة الرجولة والفطرة السليمة تجاه النساء والضعفاء:

ويتضح ذلك في عدد من النماذج القرآنية ومنها: نصرته للذي من شيعته، وسقياه للفتاتين، وإنكاره على الخضر خرق السفينة التي كانت لمسكين، وإنكاره كذلك على الخضر قتل الغلام.

☜ تاسعاً: الغيرة على النساء وعلى زوجته خاصة:

ويظهر ذلك في غيرته على المرأتين، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ

﴿تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ [القصص: ٢٣ - ٢٤]. إنها أخلاق الرجال و أخلاق الكبار، لقد تحركت الغيرة لدى موسى عليه السلام عندما شاهد هذا الموقف فما كان منه إلا أن سقى للمرأتين حتى يجنبهما الاختلاط بالرجال.

وقال الله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ [طه: ٩ - ١٠].

قال ابن عباس وغيره: «هذا حين قضى الأجل وسار بأهله، وهو مقبل من مدين يريد مصر، وكان قد أخطأ الطريق، وكان موسى عليه السلام رجلاً غيوراً: يصحب الناس بالليل ويفارقهم بالنهار غيرة منه، لئلا يروا امرأته فأخطأ الرفقة لما سبق في علم الله تعالى، وكانت ليلة مظلمة»(١).

المطلب الرابع

أسس دعوة موسى عليه السلام

أولاً: توحيد الله والتعريف بالله سبحانه:

دعا موسى عليه السلام قومه للإيمان بالله وحده، وعرفهم أسمائه وصفاته سبحانه، ومن هذا قوله سبحانه: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٨].

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي ٣/ ٢٠١، ومعالم التنزيل للبغوي ٣/ ٢٥٦، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٨١.

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٤ - ٢٨].

ثانياً: التعريف بالطريق الموصلة لرضى الله سبحانه:

بيّن موسى عليه السلام لقومه طريق الاستقامة والفلاح، وأرشدهم لرضى ربهم سبحانه، وطريق الوصول لمرضاته. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة٥٤].

وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٢٠ - ٢١] وقال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟﴾ [الأعراف: ١٢٨].

وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف١٦١]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤].

ثالثاً: الترهيب من مخالفة أمر الله والافتراء عليه:

من أسس دعوة الأنبياء جميعاً هو بيان ما للمؤمنين من جزاء ليكون ترغيباً لهم في الطاعة، وبيان ما للكافرين من عذاب ليكون زاجراً لهم عن المعصية. وقد بلغ موسى عليه السلام رسالة ربه ورغبهم ورهبهم. قال سبحانه: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ [طه: ٦١]، وقال تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾ [طه: ٨٦].

رابعاً: رفع الظلم عن المظلومين ومحاربة الطغيان المالي:

قال تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [طه: ٤٧].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الأعراف: ١٠٤ - ١٠٥]، فقد قالَ مُوسى لفرعون في أدب واعتزاز إني رسول من رب العالمين، فأطلق بني إسرائيل من أسرك وأعتقهم من رقك وقهرك، ودعهم ليؤمنوا معي بربهم ويخرجوا أحراراً من تحت قهرك ليذهبوا معي إلى دار سوى دارك[(١)].

ويظهر ذلك أيضاً في قصة قارون الذي طغى وبغى على قوم موسى واستكبر عليهم بماله حتى كان ماله سبباً في هلاكه.

---

(١) ينظر: تفسير الوسيط لسيد طنطاوي ٥/ ٣٤٥.

المطلب الخامس
وسائل وأساليب دعوة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ

أولاً: الاستعانة بالله تعالى وبعبادته:

عاش بنو إسرائيل في أيام فرعون ظروفاً عصيبة ملؤها الخوف والأذى، إلى أن وصل بهم الأمر إلى أن يسروا بصلواتهم في بيوتهم، فأرشدهم الله إلى وسائل يتجاوزن بها الصعاب، قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٨٧]، وقال سبحانه: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٨]. وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٨٤].

ثانياً: القوة في الحق:

وهذا يظهر في مواقف كثيرة منها:

الموقف الأول: الشدة والغضب على فرعون:

فقد قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لفرعون: قال تعالى: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ [الإسراء: ١٠٢].

الموقف الثاني: الشدة على قومه عندما طلبوا منه أن يتخذ لهم إلها:

قال تعالى: ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

الموقف الثالث: الشدة والغضب على قومه عندما عبدوا العجل:

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٠].

وفي موضع آخر قال: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي﴾ [طه: ٩٢ – ٩٤].

الموقف الرابع: موقفه مع السامري:

قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا﴾ [طه: ٩٥ – ٩٨].

ثالثاً: اللين في الدعوة:

لما أرسل الله موسى عليه السلام إلى فرعون، أخبره أن يدعوه باللين، فإن الملوك الظالمين أمثال فرعون لا يقبلون إلا لين الكلام معهم، قال تعالى: ﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ﴿٤٢﴾ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه: ٤٢ – ٤٤].

رابعاً: المناظرة:

لما ذهب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى فرعون لدعوته، ناظره بالحجة والعقل، فقال تعالى:
﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾
قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ
إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا
غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الشعراء: ٢٣ - ٣٠].

خامساً: السياحة في الأرض:

لم يلتزم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أرضاً واحدة يعيش فيها ويقوم بالدعوة ولا يخرج منها. بل إنه سار في أنحاء الأرض. فلما خاف من فرعون ذهب لمدين ثم رحل لطلب العلم علي يد الخضر، ثم رجع إلى قومه، ثم سار إلى ميقات ربه. وهكذا كان دائم الترحال داعياً إلى الله بما أوتي من قوة. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وقال تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ
مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢١ - ٢٢].

سادساً: الفصاحة:

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمَّا أَمَرَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالذَّهَابِ إِلَى فِرْعَوْنَ ﴿وَأَخِى
هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ
سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا
ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [القصص: ٣٣ - ٣٥].

سابعاً: الترغيب والترهيب:

قال تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [طه: ٤٧ – ٤٨].

و«لما اجتمع السحرة للموعد، هم وموسى، وأهل مصر، وعظهم موسى وذكرهم قبل المناظرة وقال: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ [طه: ٦١]. فتنازعوا وتخاصموا ثم شجعهم فرعون، وشجع بعضهم بعضاً، قال تعالى: ﴿فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾ [طه: ٦٢ – ٦٣].

المطلب السادس

نتيجة دعوة موسى عليه السلام

◆ أولاً: نجاة موسى وقومة وهلاك فرعون وجنوده:

فقد نجى الله موسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين، وأهلك الكافرين الظالمين، فرعون وهامان وقارون وجنودهم، وأورث المؤمنين مشارق الأرض ومغاربها، وبارك لهم، ببركة دعوة موسى عليه السلام وأخيه هارون. قال الله تعالى: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟

﴿يَعۡرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٦ – ١٣٧].

◆ ثانياً: ضعف صبر بني إسرائيل وظهور ذلك في كلامهم:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

وأمام هذا التهديد نجد موسى عَلَيۡهِ السَّلَامُ يوصى بالصبر ويبشرهم بالنصر بقوله: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

لكن بني إسرائيل ردوا على موسى رداً يدل على سفاهتهم ﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩].

◆ ثالثاً: ظهور آثار تمرد بني إسرائيل ومعاقبة الله لهم على ذلك:

فقد حكى الله تعالى عن بني إسرائيل بعد نجاتهم من فرعون وملئه وما قاموا به من أعمال مشينة تجاه دعوة موسى عَلَيۡهِ السَّلَامُ للتوحيد، ومن ذلك:

١- طلبهم من موسى أن يصنع لهم إلها، قال تعالى: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾ [الأعراف ١٣٨].

٢- عبادتهم العجل، قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ [الأعراف ١٤٨]

٣- تمردهم وعصيانهم لنبي الله هارون عَلَيۡهِ السَّلَامُ، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ

ﱡﭐ ... ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي ﱠ [الأعراف ١٥٠].

٤- **قالوا لموسى** عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة ٥٥].

٥- **قالوا لموسى** عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ﴾ [البقرة: ٦١].

٦- وعندما أمرهم أن يدخلوا الأرض المقدسة ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ٢٢ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة ٢٢ - ٢٥].

المطلب السابع

الدروس المستفادة من دعوة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ

١- رؤوس الكفر دائماً يستعملون التهديد والوعيد لتخويف المؤمنين، وإبعادهم عن الطريق المستقيم.

٢- الغلبة والنصر والتمكين لأهل الإيمان الصادقين، مهما طال زمن الظلم وانتفخ كأنه قاهر فإنه مغلوب.

٣- الاستعانة بالله سبحانه سبب النجاة، وطلب العون منه سبحانه جزاءه التمكين وتحقيق المراد.

٤- مهما أُعطي الانسان من قوة، فإنه مفتقر إلى الله في جميع شأنه.

٥- مهما بلغ الإنسان من منزلة عظيمة بين الناس، فلا يكف عن طلب العلم، والتواضع لأجله.

٦- انشراح الصدر للقضية والإيمان بها من أعظم أسباب النجاح في الدعوة إلى الله، فكم من داعية نال أعلى الشهادات والدرجات العلمية، ولكن ما من ثمرة لدعوته وجهده، لأنه ينظر إلى عمله على أنه وظيفة، ويؤديها باعتبار أنها وسيلة لكسب العيش، لذا ترى كلامه مهما كثر، ومهما تفنن فيما يقول، فلا يتجاوز كلامه الأذان.

٧- من مقومات الداعية التي احتاجها موسى لعلمه بفقه الدعوة إلى الله؛ الطلاقة في الكلام، فرأس مال الداعية هو الكلام، من الترغيب والترهيب وإقامة الحجج وغير ذلك من الأمور.

٨- الصحبة الصالحة المعينة علي الخير من أهم أسباب الثبات والفلاح، فإن موسى عليه السلام دعى ربه أن يرسل معه أخوه هارون ليعينه علي تحقيق المهمة علي أكمل وجه.

٩- استعمال الكلام اللين في الدعوة إلى الله أرجى في إيصال الدعوة وتأثر المدعو به، لذا أمر الله نبيه موسى عليه السلام أن يدعو فرعون بقولٍ لينٍ لعله يستجيب ويخشى ويرجع إلى ربه مستسلماً منيباً.

١٠- إذا لم يكن المدعو مؤمناً بالقرآن والسنة في الأصل، فالأنسب دعوته بالحجة والمناظرة والبرهان، كما فعل موسى عليه السلام.

١١- السياحة في الأرض لتبليغ الدعوة ، فلا يرتبط الداعي بمكان بعينه، بل يسير في الأرض ليبلغ الرسالة، ويصل إلى الغاية والمقصود.

١٢- **في قوله تعالى:** ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾ [طه: ٢٥]، تنبيه إلى أن «الداعية

محتاج إلى انشراح الصدر؛ ليتمكن من إيصال دعوته بأيسر كلفة؛ ولأجل أن يراه الناس على أكمل ما يكون من السرور، فتسري تلك الروح منه إلى المدعوين، فتتحقق بذلك السعادة، التي هي من أعظم مقاصد الدعوة، وأما إذا ضاق صدره، وقل صبره، فلن يقوم بعمل كبير، ولن يصدر عنه خير كثير[١].. وانشراح الصدر يحول مشقة التكليف إلى متعة، ويحيل عناءه لذة ويجعله دافعاً للحياة لا عبئاً يثقل خطى الحياة.

١٣- في دعاء موسى ﴿وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي﴾ [طه ٢٦]، «موسى لم يطلب تيسير أمر دعوة فرعون فقط، بل طلب تيسير أمر حياته كلها»[٢]، فتيسير الله للدعاة هو النجاح الحقيقي، فلا يملك الداعية شيء بدون هذا التيسير الرباني، لأن قواه محدودة وعلمه قاصر والطريق طويل وشائك ومجهول؟!.

١٤- في قوله تعالى: ﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي﴾ [طه: ٤٢]، تنبيه إلى أن المعيَّة الربّانيَّة كانت حاصلةً مع الاستمرار في الذكر، وعدم الفتور منه[٣].

١٥- القول اللين لا يثير العزة بالإثم ولا يهيج الكبرياء الذي يعيش به الطغاة. بل من شأنه أن يوقظ القلب فيتذكر ويخشى عاقبة الطغيان، قال تعالى: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه: ٤٣ - ٤٤].

١٦- الداعية الذي ييأس من اهتداء أحد بدعوته لا يبلغها بحرارة، ولا يثبت عليها في وجه الجحود والإنكار، وإن الله ليعلم ما يكون من فرعون. ولكن الأخذ بالأسباب في الدعوات وغيرها لا بد منه، قال تعالى: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا

(١) من تدبرات د. محمد الحمد - سلسلة ليدبروا آياته.

(٢) من تدبرات د. بلقاسم - سلسلة ليدبروا آياته.

(٣) من هنا إلى نهاية الفوائد تم تلخيصه من كتاب تيسير اللطيف المنان ص٢٢٥ - ٢٣٥ باختصار.

﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه: ٤٣ - ٤٤].

١٧- لطف الله بأم موسى بذلك الإلهام الذي به سلم ابنها[١]، ثم تلك البشارة من الله لها برده إليها، التي لولاها لقضى عليها الحزن على ولدها، ثم رده إليها بإلجائه إليها قدراً بتحريم المراضع عليه، وبذلك وغيره يعلم أن ألطاف الله على أوليائه لا تتصورها العقول، ولا تعبر عنها العبارات، وتأمل موقع هذه البشارة، وأنه أتاها ابنها ترضعه جهرا، وتأخذ عليه أجرا، وتسمى أمه شرعاً وقدرا، وبذلك اطمأن قلبها، وازداد إيمانها، وفي هذا مصداق لقوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ [البقرة: ٢١٦] فلا أكره لأم موسى من وقوع ابنها بيد آل فرعون، ومع ذلك ظهرت عواقبه الحميدة، وآثاره الطيبة.

١٨- آيات الله وعبره في الأمم السابقة إنما يستفيد منها، ويستنير بها المؤمنون، والله يسوق القصص لأجلهم، كما قال تعالى في هذه القصة: ﴿نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [القصص: ٣].

١٩- الله تعالى إذا أراد شيئاً هيأ أسبابه، وأتى به شيئاً فشيئاً بالتدريج لا دفعة واحدة.

٢٠- إن الأمة المستضعفة، ولو بلغت في الضعف ما بلغت، لا ينبغي أن يستولي عليها الكسل عن السعي في حقوقها، ولا اليأس من الارتقاء إلى أعلى الأمور، خصوصاً إذا كانوا مظلومين، كما استنقذ الله بني إسرائيل على ضعفها واستعبادها لفرعون وملئه منهم، ومكنهم في الأرض، وملكهم بلادهم.

٢١- إن الأمة ما دامت ذليلة مقهورة لا تطالب بحقها، لا يقوم لها أمر دينها كما

(١) ميثاق العهد د. فريد الأنصاري ص٥٥.

لا يقوم لها أمر دنياها.

٢٢- الخوف الطبيعي من الخلق لا ينافي الإيمان ولا يزيله، كما جرى لأم موسى ولموسى من تلك المخاوف.

٢٣- الإيمان يزيد وينقص لقوله: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: ١٠] والمراد بالإيمان هنا زيادته وزيادة طمأنينته.

٢٤- من أعظم نعم الله على العبد تثبيت الله له عند المقلقات والمخاوف، فإنه كما يزداد به إيمانه وثوابه فإنه يتمكن من القول الصواب والفعل الصواب، ويبقى رأيه وأفكاره ثابتة، وأما من لم يحصل له هذا الثبات، فإنه لقلقه وروعه يضيع فكره، ويذهل عقله، ولا ينتفع بنفسه في تلك الحال.

٢٥- العبد وإن عرف أن القضاء والقدر حق، وأن وعد الله نافذ لا بد منه، فإنه لا يهمل فعل الأسباب التي تنفع، فإن الأسباب والسعي فيها من قدر الله، فإن الله قد وعد أم موسى أن يرده عليها، ومع ذلك لما التقطه آل فرعون سعت بالأسباب، وأرسلت أخته لتقصه، وتعمل الأسباب المناسبة لتلك الحال.

٢٦- جواز خروج المرأة في حوائجها وتكليمها للرجال إذا انتفى المحذور، كما صنعت أخت موسى وابنتا صاحب مدين.

٢٧- جواز أخذ الأجرة على الكفالة والرضاع، كما فعلت أم موسى، فإن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد من شرعنا ما ينسخه.

٢٨- قتل الكافر الذي له عهد بعقد أو عرف لا يجوز، فإن موسى ندم على قتله

القبطي، واستغفر الله منه وتاب إليه.

٢٩- الذي يقتل النفوس بغير حق يعد من الجبارين المفسدين في الأرض، ولو كان غرضه من ذلك الإرهاب، ولو زعم أنه مصلح حتى يرد الشرع بما يبيح قتل النفس.

٣٠- إخبار الغير بما قيل فيه وعنه على وجه التحذير له من شر يقع به لا يكون نميمة، بل قد يكون واجبا، كما ساق الله خبر ذلك الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى محذِّرا لموسى على وجه الثناء عليه.

٣١- إذا خاف التلف بالقتل بغير حق في إقامته في موضع، فلا يلقي بيده إلى التهلكة ويستسلم للهلاك، بل يفرّ من ذلك الموضع مع القدرة كما فعل موسى.

٣٢- إذا كان لا بد من ارتكاب إحدى مفسدتين تعين ارتكاب الأخف منهما، الأسلم دفعاً لما هو أعظم وأخطر، فإن موسى لما دار الأمر بين بقائه في مصر ولكنه يقتل، أو ذهابه إلى بعض البلدان البعيدة التي لا يعرف الطريق إليها، وليس معه دليل يدله غير هداية ربه، ومعلوم أنها أرجى للسلامة، لا جرم آثرها موسى.

٣٣- تنبيه لطيف على أن الناظر في العلم عند الحاجة إلى العمل أو التكلم به، إذا لم يترجح عنده أحد القولين، فإنه يستهدي ربه، ويسأله أن يهديه إلى الصواب من القولين بعد أن يقصد الحق بقلبه ويبحث عنه، فإن الله لا يخيب من هذه حاله، كما جرى لموسى لما قصد تلقاء مدين ولا يدري الطريق المعين إليها قال الله عنه: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢] وقد هداه الله وأعطاه ما رجاه وتمناه.

٣٤- الرحمة والإحسان على الخلق، من عرفه العبد ومن لا يعرفه، من أخلاق

الأنبياء، وإن من جملة الإحسان الإعانة على سقي الماشية، وخصوصاً إعانة العاجز، كما فعل موسى مع ابنتي صاحب مدين حين سقى لهما لما رآهما عاجزتين عن سقي ماشيتهما قبل صدور الرعاة.

٣٥- الله تعالى كما يحب من الداعي أن يتوسل إليه بأسمائه وصفاته، ونعمه العامة والخاصة، فإنه يحب منه أن يتوسل إليه بضعفه وعجزه وفقره، وعدم قدرته على تحصيل مصالحه، ودفع الأضرار عن نفسه كما قال موسى: ﴿إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤] لما في ذلك من إظهار التضرع والمسكنة، والافتقار لله الذي هو حقيقة كل عبد.

٣٦- أن الحياء والمكافأة على الإحسان لم يزل دأب الأمم الصالحة.

٣٧- العبد إذا عمل العمل لله خالصا، ثم حصل به مكافأة عليه بغير قصده فإنه لا يلام على ذلك، ولا يخل بإخلاصه وأجره، كما قبل موسى مكافأة صاحب مدين عن معروفه الذي لم يطلبه، ولم يستشرف له على معاوضة.

٣٨- جواز الإجارة على كل عمل معلوم في نفع معلوم أو زمن مسمى، وأن مرد ذلك إلى العرف، وأنه تجوز الإجارة وتكون المنفعة البضع، كما قال صاحب مدين: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ﴾ [القصص: ٢٧].

٣٩- يجوز للإنسان أن يخطب الرجل لابنته، ونحوها ممن هو ولي عليها ولا نقص في ذلك، بل قد يكون نفعاً وكمالا، كما فعل صاحب مدين مع موسى.

٤٠- قوله: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦] هذان الوصفان

بهما تمام الأعمال كلها، فكل عمل من الولايات أو من الخدمات أو من الصناعات، أو من الأعمال التي القصد منها الحفظ والمراقبة على العمال والأعمال إذا جمع الإنسان الوصفين، أن يكون قوياً على ذلك العمل بحسب أحوال الأعمال، وأن يكون مؤتمناً عليه، تم ذلك العمل وحصل مقصوده وثمرته، والخلل والنقص سببه الإخلال بهما أو بأحدهما.

٤١- من أعظم مكارم الأخلاق تحسين الخلق مع كل من يتصل بك من خادم وأجير وزوجة وولد ومعامل وغيرهم، ومن ذلك تخفيف العمل عن العامل لقوله: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القصص: ٢٧].

٤٢- لا بأس أن يرغب المعامل في معاملته بالمعاوضات والإجارات بأن يصف نفسه بحسن المعاملة بشرط أن يكون صادقاً في ذلك.

٤٣- الآيات البينات التي أيَّد الله بها موسى براهين وآيات لمن رآها وشاهدها، وبراهين لمن سمعها، فإنها نقلتها معظم مصادر اليقين الكتب السماوية، ونقلتها القرون كلها، ولم ينكر مثل هذه الآيات إلا جاهل مكابر زنديق، وجميع آيات الأنبياء بهذه المثابة.

٤٤- آيات الأنبياء، وكرامات الأولياء، وما يخرقه الله من الآيات، ومن تغيير الأسباب، أو منع سببيتها، أو احتياجها إلى أسباب أخر، أو وجود موانع تعوقها هي من البراهين العظيمة على وحدانية الله، وأنه على كل شيء قدير، وأن أقدار الله لا يخرج عنها حادث جليل ولا حقير، وأن هذه المعجزات والكرامات والتغييرات لا تنافي ما جعل الله في هذه المخلوقات من الأسباب المحسوسة والنظامات المعهودة، وإنك لا

تجد لسنة الله تبديلاً ولا تحويلا.

٤٥- من أعظم العقوبات على العبد أن يكون إماماً في الشر وداعياً إليه، كما أن من أعظم نعم الله على العبد أن يجعله إماماً في الخير هادياً مهديا، قال تعالى في فرعون وملئه: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ [القصص: ٤١]

٤٦- في قصة موسى من الدلالة على رسالة محمد ﷺ إذ أخبر بهذه القصة وغيرها خبراً مفصَّلاً مطابقاً وتأصيلاً موافقا، قصه قصّاً صدق به المرسلين، وأيد به الحق المبين، وهو لم يحضر في شيء من تلك المواضع، ولا درس شيئاً عرف به أحوال هذه التفصيلات، ولا جالس وأخذ عن أحد من أهل العلم، إن هو إلا رسالة الرحمن الرحيم، ووحي أنزله عليه الكريم المنان ينذر به العباد أجمعين، ولهذا يقول في آخر هذه القصة: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [القصص: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [القصص: ٤٥] وهذا نوع من أنواع براهين رسالته.

٤٧- ذكر كثير من أهل العلم أنه يستفاد من قوله تعالى عن جواب موسى لربه لما سأله عن العصا فقال: ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾ [طه: ١٨] الرحمة بالبهائم، والإحسان إليها، والسعي في إزالة ضررها.

٤٨- أن قوله جلَّ ذكره: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤] أي أن ذكر العبد لربه هو الذي خُلق له العبد، وبه صلاحه وفلاحه، وأن المقصود من إقامة الصلاة إقامة هذا المقصود الأعظم، ولولا الصلاة التي تتكرر على المؤمنين في اليوم والليلة لتذكِّرهم

بالله، ويتعاهدون فيها قراءة القرآن، والثناء على الله، ودعائه والخضوع له الذي هو روح الذكر، لولا هذه النعمة لكانوا من الغافلين.

٤٩- وكما أن الذكر هو الذي خلق الخلق لأجله، والعبادات كلها ذكر لله، فكذلك الذكر يعين العبد على القيام بالطاعات وإن شَقَّت، ويهون عليه الوقوف بين يدي الجبابرة، ويخفف عليه الدعوة إلى الله، قال تعالى في هذه القصة: ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ [طه: ٣٣ - ٣٤]، وقال: ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ [طه: ٤٢].

٥٠- إحسان موسى ﷺ على أخيه هارون، إذ طلب من ربه أن يكون نبيّاً معه، وطلب المعاونة على الخير والمساعدة عليه إذ قال: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي﴾ [طه: ٢٩ - ٣٢].

٥١- الفصاحة والبيان مما يعين على التعليم، وعلى إقامة الدعوة، لهذا طلب موسى من ربه أن يحل عقدة من لسانه ليفقهوا قوله، وأن اللثغة لا عيب فيها إذا حصل الفهم للكلام، ومن كمال أدب موسى مع ربه أنه لم يسأل زوال اللثغة كلها، بل سأل إزالة ما يحصل به المقصود.

٥٢- أن الذي ينبغي في مخاطبة الملوك والرؤساء ودعوتهم وموعظتهم: الرفق والكلام اللين الذي يحصل به الإفهام بلا تشويش ولا غلظة، وهذا يحتاج إليه في كل مقام، لكن هذا أهم المواضع؛ وذلك لأنه الذي يحصل به الغرض المقصود، وهو قوله: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤].

٥٣- من كان في طاعة الله، مستعيناً بالله، واثقاً بوعد الله، راجياً ثواب الله، فإن الله

معه، ومن كان الله معه فلا خوف عليه، لقوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

٥٤- أسباب العذاب منحصرة في هذين الوصفين: ﴿إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [طه: ٤٨] أي: كذب خبر الله وخبر رسله، وتولى عن طاعة الله وطاعة رسله، ونظيرها قوله تعالى: ﴿لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ١٥ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [الليل: ١٥ - ١٦].

٥٥- قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢] استوعب الله بها الأسباب التي تدرك بها مغفرة الله. هي: التوبة، والإيمان، والعمل الصالح، والاستمرار على الإيمان والهداية والازدياد منها، فمن كمل هذه الأسباب الأربعة فَلْيُبْشر بمغفرة الله العامة الشاملة؛ ولهذا أتى فيه بوصف المبالغة فقال: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ﴾ [طه: ٨٢]

ونكتفي من قصة موسى بهذه الفوائد، مع أن فيها فوائد كثيرة للمتأملين.

المبحث الرابع

دعوة عيسى عليه السلام

المطلب الأول التعريف بعيسى عليه السلام وقومه.

المطلب الثاني الخصائص الدعوية لعيسى عليه السلام.

المطلب الثالث الصفات الدعوية لعيسى عليه السلام.

المطلب الرابع أسس دعوة عيسى عليه السلام.

المطلب الخامس وسائل وأساليب دعوة عيسى عليه السلام.

المطلب السادس نتيجة دعوة عيسى عليه السلام.

المطلب السابع الدروس المستفادة من دعوة عيسى عليه السلام.

المطلب الأول
التعريف بعيسى عليه السلام، وقومه

اسمه: عيسى بن مريم أو المسيح عيسى بن مريم. قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٥].

نسبه: ينسب إلى أمه مريم بنت عمران رضي الله عنها فهو وُلد من أمٍ بلا أب. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران٥٩].

أمه: مريم بنت عمران رضي الله عنها. قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [آل عمران: ٣٥ - ٣٦].

قومه الذين أرسل إليهم: أرسل الله نبيه عيسى عليه السلام إلي بني إسرائيل. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا ﴾ [الصف: ٦]

وقد بعثه الله عز وجل إلى بني إسرائيل بعد أن انحرفوا عن منهج الله تعالى الذي جاء به موسى عليه السلام فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وذكر بما جاء به موسى عليه السلام من قبله من الهدى والبينات[١].

الكتاب الذي أُنزل عليه: هو الإنجيل وقد أرسله الله مصدقاً بكتابهم التوراة

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٢/ ٥٢.

وآتاه الله الإنجيل. قال الله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦].

المطلب الثاني

الخصائص الدعوية لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ

أولاً: أيده الله تعالى بالمعجزات:

فقد أيد الله عيسى بالمعجزات ابتداءاً من ولادته من أم بلا أب، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ١٦ - ٢١].

وبعدها تكلمه في المهد ليثبت براءة أمه مما اتهموها بها من البهتان ولإخبارهم أنه نبيٌ من عند الله. قال تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [مريم: ٢٩ - ٣٤].

ومن معجزاته كذلك ما ذكره الله في كتابه في قوله: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ

طَيْرًا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٩].

وكذلك نزول مائدة من السماء عليه وعلى قومه، وهِيَ: الْخِوَانُ عَلَيْهِ طَعَامٌ. وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُمْ إِنَّمَا سَأَلُوا ذَلِكَ لِحَاجَتِهِمْ وَفَقْرِهِمْ فَسَأَلُوا أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْهِمْ مَائِدَةٌ كُلَّ يَوْمٍ يَقْتَاتُونَ مِنْهَا، وَيَتَقَوَّوْنَ بِهَا عَلَى الْعِبَادَةِ(١)، وقال تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة: ١١٥].

○ ثانياً: تأييده بروح القدس جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٧].

○ ثالثاً: تعلّمه التوراة والإنجيل:

قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ﴾ [المائدة: ١١٠].

○ رابعاً: منع اليهود من قتله ثم رفع للسماء:

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة: ١١٠]. أي: وَاذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ فِي كَفِّي إِيَّاهُمْ عَنْكَ حِينَ جِئْتَهُمْ بِالْبَرَاهِينِ وَالْحُجَجِ الْقَاطِعَةِ عَلَى نُبُوَّتِكَ وَرِسَالَتِكَ مِنَ اللهِ

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٢٢٥.

إِلَيْهِمْ، فَكَذَّبُوكَ وَاتَّهَمُوكَ بِأَنَّكَ سَاحِرٌ، وَسَعَوْا فِي قَتْلِكَ وَصَلْبِكَ، فَنَجَّيْتُكَ مِنْهُمْ، وَرَفَعْتُكَ إِليَّ، وَطَهَّرْتُكَ مِنْ دَنَسِهِمْ، وَكَفَيْتُكَ شَرَّهُمْ[١].

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: صَلَبُوا رَجُلاً شَبَّهُوهُ بِعِيسَى، وَرَفَعَ اللهُ ﷻ، عِيسَى إِلَى السَّمَاءِ حَيّاً[٢]، قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء ١٥٧- ١٥٨].

وقال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [آل عمران: ٥٥].

فَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ رَفَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ بَعْدَ مَا تَوَفَّاهُ بِالنَّوْمِ عَلَى الصَّحِيحِ الْمَقْطُوعِ بِهِ، وَخَلَّصَهُ مِمَّنْ كَانَ أَرَادَ أَذِيَّتَهُ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ وَشَوْا بِهِ إِلَى بَعْضِ الْمُلُوكِ الْكَفَرَةِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ[٣].

○ خامساً: نزول المسيح عليه السلام آخر الزمان:

قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩] أَيْ بَعْدَ نُزُولِهِ إِلَى الْأَرْضِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَبْلَ قِيَامِ السَّاعَةِ، فَإِنَّهُ يَنْزِلُ وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ وَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ وَلَا يَقْبَلُ إِلَّا الْإِسْلَامَ[٤].

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٢٢٤.
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٤٥٢.
(٣) قصص الأنبياء لابن كثير ٢/ ٤٤٩.
(٤) قصص الأنبياء لابن كثير ٢/ ٤٥٠.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. عن النبي ﷺ قال (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَماً مُقْسِطاً، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ المَالُ، حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ)(١).

سادساً: الوجاهة في الدنيا والآخرة:

قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥] أي لَهُ وَجَاهَةٌ وَمَكَانَةٌ عِنْدَ اللهِ فِي الدُّنْيَا، بِمَا يُوحِيهِ اللهُ إِلَيْهِ مِنَ الشَّرِيعَةِ، وَيُنَزِّلُ عَلَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا مَنَحَهُ بِهِ، وَفِي الدَّارِ الْآخِرَةِ يَشْفَعُ عِنْدَ اللهِ فِيمَنْ يَأْذَنُ لَهُ فِيهِ، فَيَقْبَلُ مِنْهُ، أُسْوَةً بِإِخْوَانِهِ مِنْ أُولِي الْعَزْمِ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ(٢).

المطلب الثالث

الصفات الدعوية لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ

أولاً: عبوديته لله تعالى:

فأقرَّ وهو طفل رضيع أنه عبدٌ لله، وأن الله أوصاه بالصلاة والزكاة قال الله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ۝٣٠ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم ٣٠ - ٣١]

ثانياً: دعائه لربه:

قال تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٣]. يقول

(١) صحيح البخاري، باب كسر الصليب (٣٤٤٨)، ومسلم، باب نزول عيسى بن مريم (١٥٥).
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٤٣.

القاسمي: «أعظم أحوال الإنسان احتياجاً إلى السلامة هي هذه الأحوال الثلاثة: وهي يوم الولادة ويوم الموت ويوم البعث. فجميع الأحوال التي يحتاج فيها إلى السلامة واجتماع السعادة من قبله تعالى، طلبها ليكون مصوناً عن الآفات والمخافات في كل الأحوال»[١].

وكذلك قال تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٤ - ١١٥].

ثالثاً: البر بوالدته وحسن الخلق:

قال الله تعالى: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٢] ليس بفظ ولا غليظ، ولا يصدر منه قول ولا فعل ينافي أمر الله وطاعته[٢].

رابعاً: حسن التخاطب مع الله:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٦ - ١١٨].

---

(١) انظر: قصص الأنبياء لابن كثير ص ٦١٦.

(٢) انظر: قصص الأنبياء لابن كثير ص ٦١٦.

خامساً: الاعتراف بالفضل لله:

قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٤٩].

سادساً: مباركاً:

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١] فالبركة جعلها الله من تعليم الخير والدعوة إليه، والنهي عن الشر، والدعوة إلى الله في أقواله وأفعاله، فكل من جالسه أو اجتمع به نالته بركته، وسعد به مصاحبه[(١)].

قال ابن القيم: «ابحث عن صفات الإنسان المبارك في حياتك، فقوله: ﴿مُبَارَكًا﴾ أي معلماً للخير، داعياً إلى الله، مذكراً به، مرغباً في طاعته، فهذا من بركة العبد، ومن خلا من هذا فقد خلا من البركة، ومحقت بركة لقائه والاجتماع به، بل تمحق بركة من لقيه واجتمع به»[(٢)].

قال سفيان بن عيينة: «﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ قال: معلماً للخير»[(٣)].

«وَهَذَا يدل على أن تَعْلِيم الرجل الْخَيْر هو البركة التِي جعلهَا الله فِيهِ فَإِن الْبركَة

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص٩٢.
(٢) رسالة ابن القيم لأحد إخوانه ص٥.
(٣) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٤٩٩ (٧٩٨).

حُصُول الْخَيْر ونماؤه ودوامه وَهَذَا فِي الْحَقِيقَة لَيْسَ إِلَّا فِي الْعلم الْمَوْرُوث عَن الانبياء وتعليمه وَلِهَذَا سمى سُبْحَانَهُ كِتَابه مُبَارَكاً»[١].

➢ سابعاً: أنه من الصالحين:

قال الله تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ٤٦] أَيْ فِي قَوْلِهِ وَعَمَلِهِ، لَهُ عِلْمٌ صَحِيحٌ وَعَمَلٌ صَالِحٌ[٢].

وقال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٩]، «ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن ذلك الروح الذي هو جبريل قال لها إنه رسول ربها ليهب لها، أي ليعطيها غلاماً أي ولداً زكياً، أي طاهراً من الذنوب والمعاصي، كثير البركات. وبين في غير هذا الموضع كثيراً من صفات هذا الغلام الموهوب لها، وهو عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام»[٣].

➢ ثامناً: (شدة تعظيم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في قلبه:

وهذا الذي دعاه أن يُصدِّق الحالف ويُكذِّب عينه، كما في صحيح البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **(رأى عيسى ابن مريم رجلاً يسرق، فقال له أسرقت؟ قال: كلا والله الذي لا إله إلا هو. فقال عيسى: آمنت بالله، وكذبت عيني)**[٤].

قال ابن القيم: «تأوله بعضهم على أنه لما حلف له جوز أن يكون قد أخذ من ماله، فظنه المسيح سرقة، وهذا تكلف، وإنما كان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في قلب المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ١٧٤.
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٣٦.
(٣) أضواء البيان ٣/ ٣٨٦.
(٤) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [مريم: ١٦] (٣٤٤٤)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ (٢٣٦٨).

أجل وأعظم من أن يحلف به أحد كاذبا، فلما حلف له السارق دار الأمر بين تهمته، وتهمة بصره، فرد التهمة إلى بصره لما اجتهد له في اليمين، كما ظن آدم عليه السلام صدق إبليس لما حلف له بالله عز وجل وقال: ما ظننت أحداً يحلف بالله تعالى كاذباً[١]»[٢].

المطلب الرابع
أسس دعوة عيسى عليه السلام

أولاً: الإيمان وتوحيد الله عز وجل:

بدأ عيسى عليه السلام بعقيدة التوحيد ودعا بني إسرائيل إليها. إلا أنهم استكبروا وكفروا. قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]

جاء عيسى عليه السلام منذ طفولته بدعوة الناس إلي التوحيد فأقرَّ وهو طفل رضيع أنه عبدٌ لله. قال الله تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩ - ٣٠]. قال ابن عاشور: «والابتداء بوصف العبودية لله ألقاه الله على لسان عيسى لأن الله علم بأن قوماً سيقولون: إنه ابن الله»[٣].

ثم لما بدأ دعوة الناس للتوحيد وهو ابن ثلاثين سنة[٤] وانحرف الناس عن تعاليمه

---

(١) إغاثة اللهفان ١/ ١٨٣. وانظر ابن حجر، فتح الباري ٦/ ٤٨٩.

(٢) انظر: بحث دعوة عيسى عليه السلام في الكتاب والسنة. د: سليمان بن قاسم العيد ص١٠.

(٣) التحرير والتنوير ١٦/ ٩٨.

(٤) انظر: قصص الأنبياء لابن كثير ٢/ ٤١٧.

وقالوا عنه انه ابن الله. رد عن نفسه هذه التهمة وتبرأ منها. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٦ - ١١٧].

ومنه التعريف بقدرة الله سبحانه وأنه مدبر كل شيء وهو الرب المعبود بحق، فالدلائل والبراهين التي كانت مع المسيح عليه السلام من إحياء الموتى والنفخ في الطين ليصير طيراً وإبراء الأكمه والأبرص كل ذلك بقدرة الله سبحانه، فدلهم على أن الله هو القادر علي كل شيء وأنه لا يعجزه شيء، لتتوجه القلوب إليه رغبة ورجاءً، قال الله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٤٩] ثم دلهم على أن الله هو مولى كل نعمة علي البشرية بما فيهم الأنبياء، وأنه عليه السلام لم يأت بشيء من عند نفسه، وإنما أرسله الله وتفضل عليه ليكون بشيراً ونذيراً للناس، قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٣].

ثانياً: الحكم بالشريعة:

لما أرسل الله عيسى عليه السلام لبني إسرائيل، كان بنو إسرائيل يحكمون بالتوراة. فجاء عيسي ليؤكد ما في شريعة التوراة ويصدق بها، مع التخفيف في بعض الأحكام ونسخها.

قال الله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦].

قال أبو جعفر: «أتبعنا عيسى ابن مريم على آثار النبيين الذين أسلموا من قبلك، يا محمد، فبعثناه نبيّاً مصدّقا لكتابنا الذي أنزلناه إلى موسى من قبله أنّه حق، وأن العمل بما لم ينسخه الإنجيل منه فرضٌ واجب وأنزلنا إليه كتابنا الذي اسمه الإنجيل»[(١)].

وفي بيان نسخ الإنجيل لبعض أحكام التوراة. قال الله تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [آل عمران: ٥٠].

لأن عيسى صلوات الله عليه، كان مؤمناً بالتوراة مقراً بها، وأنها من عند الله. وكذلك الأنبياء كلهم، يصدّقون بكل ما كان قبلهم من كتب الله ورسله، وإن اختلف بعضُ شرائع أحكامهم، لمخالفة الله بينهم في ذلك. مع أنّ عيسى كان فيما بلغنا عاملاً بالتوراة لم يخالف شيئاً من أحكامها، إلا ما خفَّف الله عن أهلها في الإنجيل، مما كان مشدداً عليهم فيها[(٢)].

❍ ثالثاً: تصديق النبوات:

ثم إن دعوة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لم تتوقف على زمنه فقط. فقد دعا الناس إلى التصديق بالإسلام وبرسول الإسلام حين يرسله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ للناس بالرسالة الخاتمة. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف:٦].

---

(١) جامع البيان ١٠/ ٣٧٣.

(٢) جامع البيان ٦/ ٤٣٨.

يعني التوراة قد بشرت بي وأنا مصداق ما أخبرت عنه، وأنا مبشر بمن بعدي وهو الرسول النبي الأمي العربي المكي أحمد: فعيسى عليه السلام هو خاتم أنبياء بني إسرائيل، وقد أقام في ملأ بني إسرائيل مبشراً بمحمد وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين الذي لا رسالة بعده ولا نبوة.

رابعاً: الإيمان بالبعث والجنة والنار:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

حكم تعالى بكفرهم شرعاً وقدراً وأخبر أن هذا صدر منهم مع أن الرسول إليهم، وهو عيسى بن مريم عليه السلام، قد بين لهم أنه عبد مربوب مخلوق، مصور في الرحم، داع إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وتوعدهم على خلاف ذلك بالنار، وعدم الفوز بدار القرار والخزي في الدار الآخرة والهوان والعار، ولهذا قال: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

خامساً: الأمر بالصلاة والصيام والصدقة والذكر:

قال الله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم٣٠ - ٣١].

وكان عيسى عليه السلام يأمر قومه بالصلاة والصيام والصدقة والذكر. ففي الحديث عن الحارث الأشعري قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم عن خبر عيسي عليه السلام (.. **فَجَمَعَ النَّاسَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ حَتَّى امْتَلَأَ، وَقَعَدَ النَّاسُ عَلَى الشُّرُفَاتِ، قَالَ: فَوَعَظَهُمْ قَالَ:...**

وَإِنَّ اللهَ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ فَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَأَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا، وَأَمَرَكُمْ بِالصِّيَامِ، وَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ كَانَتْ مَعَهُ صُرَّةٌ، فِيهَا مِسْكٌ، وَمَعَهُ عِصَابَةٌ كُلُّهُمْ يُعْجِبُهُ أَنْ يَجِدَ رِيحَهَا، وَإِنَّ الصِّيَامَ أَطْيَبُ، عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَآمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ الْعَدُوُّ وَقَامُوا إِلَيْهِ، فَأَوْثَقُوا يَدَهُ إِلَى عَنْقِهِ، فَقَالَ: هَلْ لَكُمْ أَنْ أَفْدِيَ نَفْسِي مِنْكُمْ؟ قَالَ: فَجَعَلَ يُعْطِيهُمُ الْقَلِيلَ وَالْكَثِيرَ لِيَفُكَّ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، وَآمُرُكُمْ بِذِكْرِ اللهِ كَثِيراً، وَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ الْعَدُوُّ سِرَاعاً فِي إِثْرِهِ حَتَّى أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ، فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ فِيهِ كَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللهِ)[١].

سادساً: حسن الآداب والأخلاق:

قال الله تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٢].

فقد «دعا عيسى عليه السلام قومه إلى الآداب والأخلاق، ومن ذلك ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أن عيسى ابن مريم عليه السلام قال: (إنما الأمور ثلاثة: أمر يتبين لك رشده فاتبعه، وأمر يتبين لك غيه فاجتنبه، وأمر اختلف فيه فرُده إلى عالمه)[٢].

وجاء من الآداب التي دعا إليها عيسى عليه السلام الدعاء الذي يقال عند الدين، لما في مستدرك الحاكم عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: دخل علي أبو بكر فقال هل سمعت من رسول الله ﷺ دعاء علمنيه؟ قلت ما هو؟ قال: كان عيسى ابن مريم يعلمه أصحابه قال: (لو كان على أحدكم جبل ذهب ديناً فدعا الله بذلك لقضاه الله عنه اللهم

(١) مسند أبي يعلي ٣/ ١٤١ (١٥٧١)، قال حسين سليم أسد: اسناده صحيح.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ١٠/ ٣٨٦ (١٠٧٧٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٥٧: ورجاله موثقون.

فارج الهم كاشف الغم مجيب دعوة المضطرين رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما أنت ترحمني فارحمني برحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك)[١].

ومن الآداب التي كان يدعو إليها عيسى عليه السلام أدب بذل العلم، ففي سنن الدارمي عن معاوية أن أبا فروة حدثه أن عيسى ابن مريم كان يقول: **(لا تمنع العلم من أهله فتأثم، ولا تنشره عند غير أهله فتجهل، وكن طبيباً رفيقاً يضع دواءه حيث يعلم أنه ينفع)**[٢].

كما ذكر ابن كثير جملة من الحكم والآداب التي كان يدعو إليها عليه السلام[٣]، فمن ذلك ما رواه عبد الله بن المبارك عن سفيان بن عيينة عن خلف بن حوشب قال: قال عيسى للحواريين: **(كما ترك لكم الملوك الحكمة فكذلك فاتركوا لهم الدنيا)**[٤].

ومنها ما قاله ابن وهب عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد قال كان عيسى يقول: **(اعبروا الدنيا ولا تعمروها. وكان يقول: حب الدنيا رأس كل خطيئة والنظر يزرع في القلب الشهوة)**[٥].

وقال سفيان الثوري: قال عيسى ابن مريم: **(لا يستقيم حب الدنيا وحب الآخرة في قلب مؤمن، كما لا يستقيم الماء والنار في إناء)**[٦].

وقال أبو مصعب عن مالك: قال عيسى ابن مريم عليه السلام: **(لا تكثروا الحديث بغير**

---

(١) الدعاء للطبراني (١٠٤١)، المستدرك على الصحيحين ١/ ٦٩٦ (١٨٩٨).

(٢) سنن الدارمي ١/ ١١٧ (٣٧٩).

(٣) انظر: قصص الأنبياء لابن كثير ص ٦٤٩ - ٦٥٧.

(٤) قصص الأنبياء لابن كثير ص ٦٥٢.

(٥) قصص الأنبياء لابن كثير ص ٦٥٢.

(٦) قصص الأنبياء لابن كثير ص ٦٥٣.

ذكر الله، فتقسو قلوبكم؛ فإن القلب القاسي بعيد من الله ولكن لا تعلمون، ولا تنظروا في ذنوب العباد كأنكم أرباب، وانظروا فيها كأنكم عبيد فإنما الناس رجلان معافى ومبتلى، فارحموا أهل البلاء، واحمدوا الله على العافية)[(١) ٢].

المطلب الخامس
وسائل وأساليب دعوة عيسى عليه السلام

❑ أولاً: ضرب الأمثال:

استعمل نبي الله عيسي عليه السلام ضرب الأمثال كأسلوب لإيضاح دعوته، وإنارة العقول بتعاليمه، وقد جاء في الحديث لما وعظ عيسي قومه قال لهم: (إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَعْمَلُ بِهِنَّ، وَآمُرُكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ: أُولَاهُنَّ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَإِنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْداً مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ، قَالَ: هَذِهِ دَارِي، وَهَذَا عَمَلِي فَاعْمَلْ وَأَدِّ إِلَيَّ، فَجَعَلَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ يَسُرُّهُ أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ؟ وَإِنَّ اللهَ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ فَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً)[(٣)].

❑ ثانياً: الحكمة في القول:

قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [آل عمران: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [المائدة: ١١٠].

---

(١) قصص الأنبياء لابن كثير ٦٥٤.

(٢) انظر: بحث دعوة عيسى عليه السلام في الكتاب والسنة. د: سليمان بن قاسم العيد ص٣٠.

(٣) مسند أبي يعلي ٣/ ١٤٠ (١٥٧١)، صحيح ابن خزيمة، باب النهي عن الالتفات في الصلاة ١/ ٤٦١ (٩٣٠)، صحيح ابن حبان، باب تشبيه المصطفى ﷺ ١٤/ ١٢٥ (٦٢٣٣)، المعجم الكبير للطبراني ٣/ ٢٨٧ (٣٤٣٠).

وقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [الزخرف: ٦٣].

فقد كان نبي الله عيسى عليه السلام بليغاً حكيما، علمه الله الحكمة فكانت تعاليمه زاداً لكل راغبٍ بالحق، مريداً للفوز والنجاة، ومن أمثلة الحكمة قوله: (**كما أنه لا يستطيع أحدكم أن يتخذ على موج البحر داراً، فلا يتخذ الدنيا قراراً**)[١].

وقوله: (**طوبى لعين نامت ولم تحدث نفسها بالمعصية، وانتبهت إلى غير إثم**)[٢]، وقوله: (**طوبى للمتواضعين في الدنيا، هم أصحاب المنابر يوم القيامة. وطوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا، هم الذين يُوَرَّثون الفردوس يوم القيامة. وطوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا، هم الذين ينظرون إلى الله عز وجل يوم القيامة**)[٣].

❑ ثالثاً: الترغيب والترهيب:

وكان المسيح ابن مريم عليه السلام يرغب قومه تارة ويخوفهم أخري، وفي مجال الترغيب قالت امرأةٌ لعيسى عليه السلام: طوبى لحجر حملك ولثدي أرضعك فقال: (**طوبى لمن قرأ كتاب الله واتبعه**)[٤]، وقوله: (**طوبى لمن بكى من ذكر خطيئته وحفظ لسانه ووسعه بيته**)[٥].

---

(١) الزهد للإمام أحمد ص٧٦. وقصص الأنبياء لابن كثير ص ٦٥٣. وانظر: حكم ومواعظ عيسى ابن مريم عليه السلام لطارق الطنطاوي ص٢٦.
(٢) قصص الأنبياء لابن كثير ص ٦٥٣.
(٣) التواضع لابن أبي الدنيا ص١٥٤.
(٤) قصص الأنبياء لابن كثير ص ٦٥٣.
(٥) قصص الأنبياء لابن كثير ص ٦٥٣، والصمت لابن أبي الدنيا رقم (١٥).

وقوله: (طوبى لعين نامت ولم تحدث نفسها بالمعصية وانتبهت إلى غير إثم)[(١)].

وفي مجال الترهيب نجد قول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كما أخبر عنه المولى سبحانه بقوله: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢][(٢)].

وبعد تعريف الناس بالله سبحانه وأنه المعبود بحق فله الرغبة والرهبة، وله الخوف والرجاء، وجب التعريف بالطريق الموصل لإرضائه سبحانه جل في علاه، فأمر عيسي عَلَيْهِ السَّلَامُ قومه بطاعته لأنه لا يأمرهم ولا ينهاهم إلا بأمر الله سبحانه، ففي طاعته عَلَيْهِ السَّلَامُ طاعة المعبود سبحانه، فإذا أطاع الناس ربهم، رضي عنهم ووفقهم للخير، قال تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران: ٥٠ - ٥١].

وأمرهم بعبادة الله سبحانه، فأمرهم بالصلاة والصيام والصدقة والذكر.

ثم وعظهم لترق قلوبهم وعلمهم الحكمة وأمرهم بالصبر والتقوى والتحلي بالآداب والأخلاق: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

كل هذا من جملة أعمال البر التي يرضاها الله ويحبها، فالداعي إلي الله يجب عليه توضيح الطريق الموصلة لرضى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

إذا عرّف الداعي الي الله قومَه بالله سبحانه وأنبأهم بصفاته، وأرشدهم إلي

(١) قصص الأنبياء لابن كثير ص ٦٥٣.

(٢) انظر: بحث دعوة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في الكتاب والسنة. د: سليمان بن قاسم العيد ص٤٥.

طريق رضاه، وسبيل النجاة، دلّهم بعد ذلك علي جزاء الطائع الراغب إلى الله من النعيم المقيم، لتزداد رغبتهم إليه، ويقبلوا بقلوبهم عليه. ثم يخوفهم بجزاء العاصي المستكبر، وما يلحق المخالف من العذاب الأليم، لحياده عن الطريق المستقيم، وامتناعه عن السير في الطريق الموصلة لرب العالمين، كما فعل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع قومه، قال تعالى: ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة: ٧٢].

❑ رابعاً: الدعوة بالقدوة:

«لقد جعل الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ رسله عليهم الصلاة والسلام قدوة لمدعويهم، بما أعطاهم من صلاح القول والعمل، وحسن الخلق، فإن الله لما ذكر في كتابه جملة من الأنبياء ذكر أنهم أئمة لغيرهم، كما في قوله سبحانه: ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣]. أي رؤساء يقتدى بهم في الخير.

ومما يدل على مكانة القدوة وأهميتها في الدعوة إلى الله فقد أُمر نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ على ما هو عليه من إكمال العبودية لله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أن يقتدي بمن سبقه من الأنبياء، ومنهم عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ حين قال سبحانه بعد ذكره لجملة من الأنبياء: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠].

قال ابن كثير: «وإذا كان هذا أمراً للرسول ﷺ فأمته تبع له فيما يشرعه ويأمرهم به»[(١) ٢].

خامساً: الدعوة بالدليل والبرهان:

مما لا شك فيه أن الدلائل والبراهين القاطعة أشد تأثيراً في نفوس الناس، لجعلهم يؤمنون بالشيء بعد أن كانوا ينافحون ويجادلون فيه، فإذا رؤوا الدلائل والآيات أقرّوا واذعنوا، فكان كل نبيٍ معه من الدلائل القاطعة والبراهين الساطعة ما يوجب الإيمان به والتصديق برسالته والإذعان لما جاء به من عند الله، إلا ما كان من الأشقياء، المستكبرين الذين أرادوا إخفاء ضوء الشمس في وسط النهار، وأنّى لهم ذلك، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١١٠].

وإنزال المائدة على قومه عندما طلبوا من عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ذلك، «فطلبوا المائدة لتسكن قلوبهم بما يشاهدونه من عظيم الآية وعجيب المعجزة، فعذروا وأجيبوا إليها إذ كان مرادهم حصول اليقين وزيادة البصيرة"[(٣)]، وكان في نزولها الوعيد لمن يكفر ويكذب بعد مشاهدة وقوعها، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة١١٥].

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ١٥٦.
(٢) انظر: بحث دعوة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في الكتاب والسنة. د. سليمان بن قاسم العيد ص٣١.
(٣) انظر: لطائف الإشارات للقشيري ١/ ٤٥٥.

سادساً: تأييد الدعوة بأنصارها:

لما علم عيسى عليه السلام وتيقن أن بني إسرائيل يريدون قتله وعازمون علي محاربته دعا الناس إلي تأييد دعوته ونصرة شريعته، قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢].

وقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤]، أي من معيني في الدعوة إلى الله عز وجل؟ ﴿قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ﴾: وهم أتباع عيسى عليه السلام: ﴿نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ أي نحن أنصارك على ما أرسلت به ومؤازروك على ذلك، ولذلك بعثهم دعاة إلى الناس في بلاد الشام في الإسرائيليين والسيوانيين(١).

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ﴾ أي: استشعر منهم التصميم على الكفر والاستمرار على الضلال قال: ﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ قال مجاهد: أي من يتبعني إلى الله؟ وقال سفيان الثوري وغيره: من أنصاري مع الله؟ وقول مجاهد أقرب.

والظاهر أنه أراد من أنصاري في الدعوة إلى الله، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مواسم الحج، قبل أن يهاجر: (هل من رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي)(٢) حتى وجد الأنصار فآووه ونصروه، وهاجر إليهم فآسوه ومنعوه من

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٣٦٠.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٧/ ٣٣٦ (٣٦٥٨٢)، مسند أحمد ٢٣/ ٣٧١ (١٥١٩٢)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري.

الأسود والأحمر. وهكذا عيسى ابن مريم، انتدب له طائفة من بني إسرائيل فآمنوا به وآزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه[(١)].

وذلك حين همّ به بنو إسرائيل ووشوا به إلى بعض ملوك ذلك الزمان، فعزموا على قتله وصلبه فأنقذه الله منهم ورفعه إليه من بين أظهرهم وألقى شبهه على أحد أصحابه فأخذوه فقتلوه وصلبوه وهم يعتقدونه عيسى وهم في ذلك غالطون وللحق مكابرون، وسلم لهم كثير من النصارى ما ادعوه، وكلا الفريقين في ذلك مخطئون[(٢)].

❑ سابعاً: السياحة في الأرض:

من المعلوم أن الأنبياء مبتلون بعصاة قومهم، فمنهم من يخرجه قومه، ومنهم من يتفقون على قتله، فكان الأنبياء عليهم السلام لا يستقر بهم المقام في مكان واحد، وإنما يسيرون في الأرض يبلغون دعوة ربهم، مبشرين ومنذرين، وفي اسم المسيح ابن مريم قال بعض السلف: سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ يَسِيحُ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُقِيمُ فِي مَكَانٍ[(٣)].

فالدعوة إلى الله طريقٌ وعر، سار عليه النبيون قبلنا، فجاءنا من أخبارهم الأحداث العظام، والداعون إلى الله سبحانه مشرَّفون بهذا العمل الذي هو عمل الأنبياء والرسل، فوجب رفع الهمة في تحقيقه، والسياحة في الأرض لتبليغ دعوة الله، ولنا في رسولنا ﷺ والأنبياء قبله أسوة حسنة نتأسى بها.

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٤٥ - ٤٦.
(٢) انظر: قصص الأنبياء لابن كثير ٢/ ٤٣١.
(٣) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي ٢/ ٣٨، وفتح القدير للشوكاني ١/ ٣٩١.

المطلب السادس
نتيجة دعوة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ

يمكن بيان أهم نتائج دعوة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في النقاط التالية:

أولاً: آمن به قوم فصاروا أنصاراً له وكفر به آخرون:

فقد أكرم الله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بأن جعل له حواريين وأنصاراً في حياته وبعد مماته في بث دعوته والنصر لدينه، ولذلك كثر تابعوه قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٢ - ٥٣]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤].

فلا بد لكل صاحب عقيدة ودعوة من أنصار ينهضون معه، ويحملون دعوته، ويحامون دونها، ويبلغونها إلى من يليهم، ويقومون بعده عليها..

ثانياً: ضل في عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ طائفتان(١):

الأولى: اليهود الذين قالوا عنه: إنه ابن زنيةٍ -وكذبوا أخزاهم الله تعالى- فهو رسول لله تعالى، الطاهر ابن الطاهرة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ التي قال الله تعالى عنها: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٣/ ٢١٨.

﴿اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢ - ٤٣]، وقال عنهم: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٥٦].

والطائفة الثانية: التي قابلت اليهود فغلوا فيه، وهم: النصارى، قالوا قولاً عظيماً، فمنهم من قال: عنه إنه الله تعالى، ومنهم من قال: ابن الله. ومنهم من قال: ثالث ثلاثة: الأب والابن والروح القدس.

وقد توعد الله تعالى الطائفتين بقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [مريم: ٣٧].

وهدى الله ﷻ أهل الحق والإيمان إلى القول الحق في ذلك فقالوا: هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه.

ثالثاً: رفع عيسى عليه السلام إلى السماء وبطلان عقيدة الصلب:

بقى عيسى عليه السلام دائباً في دعوته مجاهداً في سبيلها يلاقي من بني إسرائيل الإعراض والصدود والأذى مع ما أتاه الله من الحجج والآيات والمعجزات.

بدأ الناس يقبلون على دعوته وأتباعه وأنصاره المؤمنون بدعوته يزيدون يوماً بعد يوم، وتحرك في نفوس اليهود مكرهم المعهود، وأخذوا يتآمرون على عيسى عليه السلام لاستئصال دعوته والقضاء عليها، وعزموا على قتله كما هو طبعهم وشأنهم مع أنبياء الله تعالى ورسوله عليهم الصلاة والسلام: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]، ودخلوا عليه وهو عليه السلام جالس مع بعض أصحابه ليقتلوه.

فألقى الله تعالى شبهه على بعض أصحابه ورفعه إليه وأخذ اليهود ذلك الشاب وقتلوه وصلبوه ظانين أنه عيسى، وضلوا في ذلك ضلالاً بعيداً.

قال الله ﷻ: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وللمفسرين في معنى قوله تعالى: «متوفيك» أقوال أرجحها أن المراد بالوفاة هنا النوم، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠]، وكما قال سبحانه وتعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٤٢].

هذا يرجح القول بأن المراد بالتوفي النوم على قول من قال: إن الله أماته ساعات ثم أماته أو قول من قال: إن الله تعالى أماته ثلاثة أيام ثم أحياه، وغير ذلك من الأقوال(١).

وقد كذب الله تعالى اليهود في زعمهم قتل عيسى عليه السلام فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٧ - ١٥٨]، فقد فضح الله تعالى كيد اليهود ومكرهم وكذبهم أنهم قتلوا عيسى أما النصارى فمع كونهم لم يشاهدوا ذلك فإن عامتهم قد سلموا بذلك، وضلوا فيه ضلالاً مبيناً، وصار الصليب شعار عبادتهم ورمز تعارفهم وتفاخرهم.

رابعاً: اختلاف أصحاب المسيح عليه السلام بعد رفعه إلى السماء:

لقد اختلف أصحاب المسيح عليه السلام بعد رفعه إلى السماء فيه على أقوال، كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من أئمة السلف، عند قوله تعالى: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٣٦٦، وأضواء البيان للشنقيطي١/ ٢٤٥.

﴿فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤]، قال ابن عباس وغيره: قال القائلون منهم: كان فينا عبد الله ورسوله، فرفع إلى السماء، وقال آخرون: هو الله، وقال آخرون: هو ابن الله، فالأول هو الحق، والقولان الآخران: كفر عظيم كما قال تعالى: ﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾ [مريم: ٣٧].

خامساً: الانحراف في العقيدة المسيحية:

يقول الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي: «كانت دعوة المسيح عليه السلام إلى التوحيد الخالص كدعوة سائر الأنبياء والمرسلين. والحواريون والتلاميذ الذين رُفع عنهم المسيح كلهم كانوا على ذلك التوحيد، إلى أن دخل بولس الرسول في المسيحية، وكان ولد في طرسوس وتربي في أورشليم واسمه الأصلي شاول. ولم يكن هذا اليهودي المتعصب من تلامذة المسيح او حواريه، بل لم ير المسيح في حياته أبداً ولم يسمع منه موعظة، وكان عدواً لدوداً للمسحيين، ويضطهدهم علي استمرار، وقد حكى ذلك عن نفسه في سفر أعمال الرسل، حيث يقول أنه سافر من أورشليم إلى دمشق ليأتي بالمسيحيين، ويسلمهم إلى السجون وساحات التعذيب»[(١)] ثم تابع قائلاً «فأعلن بولس دخوله في المسيحية فجأة بغير تمهيد، وفي ذلك يحكي عن نفسه: «فحدث لي وأنا ذاهب ومتقرب الي دمشق، أنه نحو نصف النهار بغتة أبرق حولي من السماء نور عظيم، فسقطت علي الأرض وسمعت صوتاً قائلاً لي: شاول شاول لماذا تضطهدني؟ فأجبت: من أنت يا سيد؟ فقال لي: انا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده. فقلت: ماذا أفعل يارب؟ فقال لي الرب: قم واذهب إلى دمشق»[(٢)].

---

(١) دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، د: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ص٣٣٩.

(٢) دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، د: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ص٣٤٠، نقلاً عن كتاب أعمال الرسل ٢٢/ ٦ - ١١.

يذكر لوقا بعد ذكره نهاية هذه القصة جملة غيرت تاريخ المسيحية رأساً علي عقب، وأخرجتها من أديان التوحيد إلى أديان الوثنية والمجوسية، وهي قوله: «وللوقت جعل يكرز[١] في المجامع بالمسيح أن هذه هو ابن الله، فَبُهت جميع الذين كانوا يسمعون وقالوا: أليس أهلك في أورشليم الذين يدعون بهذا الاسم»[٢].

ثم تابع الدكتور الأعظمي قائلاً: «هكذا اخترع هذا اليهودي المتعصب ديناً جديداً، واتبع عدد كبير من المسيحيين دعوة بولس وانكرها آخرون واشتد الصراع بين الفئتين في مطلع القرن الرابع الميلادي، وأريقت الدماء في سبيل الدعوة، إلى أن جاء قسطنطين الأعظم حاكم الرومان، وأعلن دخوله المسيحية، فأمر بعقد مجمع ديني يضم الممثلين لجميع الكنائس في العالم، ليتفقوا علي ما يجمعهم، ولكنهم اختلفوا اختلافاً شديداً وخرجوا من المجمع بأفكار جلها منحرف عن التوحيد، ثم أجمعوا علي ثلاثة محاور رئيسية يجتمعون تحت سقفها وكانت بداية النهاية لدعوة المسيح الي التوحيد، فاجتمعوا علي[٣]:

١- **الاعتراف بالثالوث:** الأب، والإبن، والروح القدس، شعاراً للمسيحية.

٢- الإيمان بأن المسيح جاء لتخليص العالم من خطيئة آدم المتوارثة.

٣- كون المعمودية سواء برش الماء، أو غمر جزء كبير من الجسم فيه بعد صلاة

(١) كرز يكرِز - بكسر الراء - أي وعظ ونادي ببشارة الإنجيل وهي لفظة سريانية.

(٢) دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، د: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ص٣٤٠، نقلاً عن كتاب أعمال الرسل ٩/ ٢٠ - ٢٢.

(٣) دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند د: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ص٣٤٩ - ٣٥٠. مختصراً.

الكاهن على ذلك نسبة إلى تعمد المسيح علي يد يوحنا المعمدان - يحيي عَلَيْهِ السَّلَامُ - في بحر الشرقية [نهر الأردن].

٤ - **المناولة**: وهي أن كل القرابين رمز لجسد المسيح، وأن شرب الخمر المعتقة إشارة إلى دم المسيح المسفوك علي خشبة الصليب»[١].

المطلب السابع

الدروس المستفادة من دعوة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ

➢ **أولاً**: أن الإسلام هو دعوة الأنبياء جميعاً وأنه دين جميع الرسل وهو الدين الحق من لدن آدم إلي قيام الساعة، فالمسيح دعى الناس لعبادة الله وحده، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران: ٥١].

➢ **ثانياً**: التحذير من الغلو في الأشخاص، فإن الغلو سببٌ لانحراف المنهج، ونبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه حذرنا من هذا، وأخبرنا أنه كان سبب انحراف منهج النصارى، ففي الحديث عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: **(لا تطروني، كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله، ورسوله)**[٢].

➢ **ثالثاً**: الرغبة في نصرة الدين، حيث إنه لما دعى عيسى قومه من أنصاري ومؤيدي لتبليغ دعوة ربه أجابه الحواريون بقولهم: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾، فهو شرفٌ يتشرف به كلُ أحد امتثل لأمر الله ودعى الناس للدين وعرّفهم برب العالمين، قال الله عن أنصار عيسى

---

(١) دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند د: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ص٣٤٩ - ٣٥١.

(٢) صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [مريم: ١٦] (٣٤٤٥).

قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢].

➢ **رابعاً:** نسبة كل فضل وعلم إلي الله سبحانه، وتعليق القلوب بالله، كما أخبر عيسى قومه أنه يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص ولكن كل ذلك بإذن الله، فتتعلق القلوب بخالقها وليس بالمخلوق. قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران: ٤٩ – ٥١].

➢ **خامساً:** معرفة طريق الدعوة وأنه ليس باليسير، ولا يوفق إليه إلا المخلص، ففيه مشقة ونَصَب، ونبينا عيسى عليه السلام حاربه قومه وأخرجوه فساح في الأرض يدعو إلي الله فلم يستسلم أو يستنكف عن عبادة الله والدعوة إليه، قال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٧٢].

➢ **سادساً:** «في قول مريم رضي الله عنها: ﴿إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ١٨] فتوسلت بالله في حفظها وحمايتها، وذكرته وجوب التقوى على كل مسلم يخشى الله، فكان هذا الورع العظيم منها في هذه الحالة التي يخشى منها الوقوع في الفتنة، ورفع الله بذلك مقامها، ونعتها بالعفة الكاملة»(١).

(١) تيسير اللطيف المنان ص٢٦٧.

➢ **سابعاً:** «من نعمة الله على العبد أن يكون في كفالة الصالحين الأخيار؛ فإن المربي والكافل له الأثر الأعظم في حياة المكفول وأخلاقه وآدابه، ولهذا أَمَرَ الله المربين بالتربية الطيبة المشتملة على الحث على الأخلاق الجميلة، والترهيب من مساوئ الأخلاق.

➢ **ثامناً:** إثبات كرامات الأولياء؛ فإن الله كرَّم مريم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بأمور: يسَّر لها أن تكون في كفالة زكريا بعدما حصل الخصام في شأنها، وأكرمها بأن كان رزقُها يأتيها من الله بلا سبب، وأكرمها بوجود عيسى، وولادتها إياه، وبخطاب الملك لها بما يطمئن قلبها، ثم بكلامه في المهد، فهذه الأخيرة جمعت كرامة وليّ ومعجزة نبي»[1].

(١) تيسير اللطيف المنان ص٢٧٠.

المبحث الخامس

دعوة نبينا محمد ﷺ

إن الحديث عن دعوة النبي ﷺ في القرآن الكريم موضوع واسع الجوانب، وفسيحه، إذا أُوجِز يستوعب كتاباً كاملا، وإن بُسِط القول فيه جاء في مجلدات عديدة، وقد ألفت فيه كتب، وأعدت رسائل جامعية، ومقالات وخطب وغير ذلك.

ولذا ففي هذا المبحث سنبرز أهم الجوانب الدعوية في تاريخ دعوة النبي ﷺ وليست كلها من خلال النقاط التالية[١]:

المطلب الأول التعريف بنبينا محمد ﷺ وقومه.

المطلب الثاني الخصائص الدعوية لنبينا محمد ﷺ ودعوته.

المطلب الثالث الصفات الدعوية للنبي محمد ﷺ.

المطلب الثالث الصفات الدعوية للنبي محمد ﷺ.

المطلب الرابع عناية اللّه بنبيه في الجانب الإيماني.

المطلب الخامس بشارة اللّه لنبيه وتثبيته.

المطلب السادس توجيهات دعوية من اللّه لنبيه مباشرة

المطلب الثامن وسائل وأساليب دعوة نبينا محمد ﷺ.

المطلب التاسع نتيجة دعوة نبينا محمد ﷺ.

المطلب العاشر الدروس المستفادة من دعوة نبينا محمد ﷺ.

«١» ينظر: التدرج في دعوة النبي، د. إبراهيم بن عبد الله المطلق، وينظر كذلك كل كتب السيرة خصوصاً كتاب السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث د. علي بن محمد.

المطلب الأول
التعريف بنبينا محمد ﷺ وقومه

اسمه: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي.

أسماء النبي ﷺ: عن المطعم بن عدي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **(أنا محمد وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحى بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبي، وأنا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي)**[١].

رسالته: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «بعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة، فمكَث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستين»[٢].

قومه: وهو رسول الله لجميع الأمم من لدن عصره إلى قيام الساعة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]. «لا إلى بعضكم دون بعض، كما كان من قبلي من الرُّسل، مرسلاً إلى بعض الناس دون بعض. فمن كان منهم أرسل كذلك، فإن رسالتي ليست إلى بعضكم دون بعض، ولكنها إلى جميعكم»[٣].

(١) صحيح مسلم، كتاب معجزاته وتوكله وعصمة الله له، باب في أسمائه ﷺ (٦٢٥١).

(٢) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة (٣٩٠٢).

(٣) جامع البيان ١٣/ ١٧٠.

المطلب الثاني
الخصائص الدعوية لنبينا محمد ﷺ ودعوته

أولاً: خاتم النبين:

قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب٤٠]. أي: «الذي ختم النبوة فطبع عليها، فلا تفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة»[١].

وقال رسول الله ﷺ: (أعطيت خمساً، لم يعطهن نبي قبلي، ولا أقولهن فخرا؛ بُعِثتُ إلى الناس كافة؛ الأحمر والأسود...) إلخ[٢].

وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، يقول ابن كثير: «هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل الله لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء وبعثه إلى الإنس والجن»[٣].

ثانياً: امتازت دعوته بخصائص كثيرة يجمعها:

أنها دعوة **شاملة** لكل شيء، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

---

(١) جامع البيان ٢٠/ ٢٧٨.
(٢) مسند أحمد ٣/ ٢٢٢ (٢٧٤٢)، وحسنه شعيب الأرناؤوط.
(٣) تفسير القران العظيم لابن كثير ٥/ ٤٦.

أنها دعوة **عالمية** لجميع الأمم للإنس والجن في كل زمان ومكان، قال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وأنها دعوة وسطية، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وأنها دعوة **ميسرة**، لا تكليف فيها فوق الطاقة، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وغير ذلك من خصائص دعوته ﷺ.

ثالثاً: القرآن الكريم معجزته الخالدة:

أيد الله نبيه بمجموعة من المعجزات كانشقاق القمر، والإسراء والمعراج، وحنين الجذع، ونبع الماء من بين أصابعه، وإخباره بمغيبات وقعت، وما ظهر من الإعجاز في بركته.. وغيرها من المعجزات الحسية التي رآها الصحابة في وقته.

ولكن أعظم معجزة أيد الله بها رسوله ﷺ هي القرآن الكريم، فقد جرت العادة أن الله يجعل لكل رسول علامة تدل على صدقه، ليؤمن من بعث إليهم كما قال ﷺ **(ما من الأنبياء نبيٌ إلّا أُعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنَّما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة)**[١].

والمعجزة دليل دعوة النبي ﷺ، حيث إن الله لم ينزل على رسول مثيلاً أو شبيهاً لهذا الكتاب «القرآن» المليءِ بالتحدي للناس بأن يأتوا بمثله على مراتب متعددة، قال الله تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ﴾ [الطور: ٣٤]، وقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ

---

(١) أخرجه البخاري كتاب فضائل القرآن باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل (٤٦٩٦) و(٦٨٤٦)، ومسلم كتاب الإيمان باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ (١٥٢)، واللفظ له، وألفاظ البخاري مقاربة جدّاً.

ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [يونس٣٨]، وقال: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [هود١٣]، وقال: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾ [الإسراء].

وأيضاً هو الكتاب الوحيد الذي وعد الله بحفظه من التحريفات والتغيّرات الزمنية فقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر٩]، ففي هذا تعجيزٌ لكل مُبْطلٍ أو مشبه، كما قال في سورة فصّلت: ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾ [فصلت٤٢]، فلو تدبّر متدبّر لوجد أن القرآن الكريم ركّز أنه الحق، ومن ذلك: ضربُه للأمثال الكثيرة، والقصص الكثيرة، والاستفهام، والقسم... وغيرها كل ذلك للاعتبار كما قال تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ [العنكبوت: ٥١].

رابعاً: هو أفضل الرسل، وأمته خير الأمم:

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ [الإسراء٧٩]، والمقام المحمود هو الشفاعة يوم القيامة(١).

وقال تعالى: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾. فقوله: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ ﴾ أي أفضل الأمم(٢).

---

(١) كما في صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ ﴾ (٤٧١٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٩٣.

ولما ورد عن حكيم بن معاوية، عن أبيه رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **(أنتم توفون سبعين أمة أنتم أكرمهم على الله عز وجل وأفضلهم)**(١).

خامساً: شق صدر النبي ﷺ:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه - أي جمع بعضه إلى بعض، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه فقالوا: إن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون. قال أنس: وقد كنت أرى أثر المخيط في صدره(٢).

ولا شك أن التطهير من حظ الشيطان هو إرهاص مبكر للنبوة، وإعداد للعصمة من الشر وعبادة غير الله، فلا يحل في قلبه إلا التوحيد الخالص، وقد دلت أحداث صباه على تحقق ذلك فلم يرتكب إثماً، ولم يسجد لصنم رغم انتشار ذلك في قريش(٣).

وفي ذلك إعلان أمر الرسول ﷺ، وتهييؤه للعصمة والوحي منذ صغره، بوسائل مادية ليكون ذلك أقرب إلى إيمان الناس به وتصديقهم برسالته»(٤).

«وإن إخراج العلقة منه تطهير للرسول ﷺ من حالات الصبا اللاهية العابثة

(١) المستدرك على الصحيحين ٤/ ٩٤ (٦٩٨٨).
(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلوات (٢٥٩).
(٣) السيرة النبوية الصحيحة للعمري ١/ ١٠٤.
(٤) فقه السيرة للبوطي ص٤٧ .

المستهترة، واتصافه بصفات الجد والحزم والاتزان وغيرها من صفات الرجولة الصادقة، كما تدلنا على عناية الله به وحفظه له، وأنه ليس للشيطان عليه سبيل»[(١)].

سادساً: أنه نبيٌّ أميٌّ:

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

والذي تولى تعليمه هو الله تعالى بواسطة جبريل، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]، قال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢ - ٥٣].

بل إن الله تعالى وجهه إلى منهجية في طلب العلم وهي عدم الاستعجال في طلب العلم، مع طلب الزيادة فيه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]. قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الله تعالى لم يأمر نبيه ﷺ بطلب الازدياد من شيء إلا من العلم»[(٢)].

---

(١) السيرة النبوية لأبي فارس ص١٠٦، ١٠٧.

(٢) فتح الباري ١/ ١٧٠.

المطلب الثالث
الصفات الدعوية للنبي محمد ﷺ

إنه ﷺ مجمع الأخلاق، ومجمّع القيم والفضيلة منذ نشأته الكريمة، فلم يكن يُعرف بأي صفة فيها شين، بل إنه لكونه ذو خلق عظيم أنزل عليه آية يثني فيها الله تعالى على خلقه فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم٤][(١)].

وصفات النبي ﷺ الدعوية لا حصر لها، وذلك لمجيء أخبار متكاثرة حولها، فنحن ذاكرون ما تيسر من ذلك بدليله إن شاء الله تعالى وسنقتصر على ما فيه نص صريح، من خلال النقاط التالية:

☜ أولاً: وصف أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها للنبي ﷺ:

جاء في حديث عائشة رضي الله عنها في ذكر أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي وما حدث في غار حراء بين جبريل عليه السلام والنبي ﷺ، وأن النبي ﷺ رجع إلى خديجة فزعا يرجف فؤاده، فقال لخديجة رضي الله عنها وأخبرها الخبر، وقال: **(قد خشيت على نفسي)** فقالت خديجة رضي الله عنها: كلا، أبشر، فو الله لا يخزيك الله أبدا؛ فو الله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق،...»[(٢)].

(١) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة ٢/ ٦٦٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب سورة ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١﴾ (٤٩٥٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (٤٠٣).

ثانياً: اشتهاره ﷺ بالصدق والأمانة قبل البعثة:

اشتهر النبي ﷺ بالصدق والأمانة قبل البعثة فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] ورهطك منهم المخلصين، خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف: **يا صباحاه!!** فقالوا: من هذا؟ فاجتمعوا إليه، فقال: **أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟!** قالوا: ما جربنا عليك كذبا - وفي رواية - قالوا: ما جربنا عليك إلا صدقا..." الحديث[١].

عن السائب قال أتيت النبي ﷺ فجعلوا يثنون عليَّ ويذكروني، فقال رسول الله ﷺ: **(أنا أعلمكم)**. يعنى به، قلت: «صدقت بأبي أنت وأمي؛ كنت شريكي؛ فنعم الشريك؛ كنت لا تدارى[٢] ولا تمارى[٣]»[٤].

وميسرة غلام خديجة رضي الله عنها لما بعثته مع النبي ﷺ في تجارته بمالها إلى الشام، فكان رفيقاً له في سفره، والسفر كما يقال: «يُسْفِر -أي يُبِينُ- عن أخلاق الرجال» فلما رجع بادر إلى إخبار سيدته خديجة رضي الله عنها بما رآه وَعَايَشَهُ من أخلاق النبي ﷺ وأمانته طوال سفره معه[٥].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين، (٤٧٧٩) وفي تفسير سورة ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۝١﴾ (٤٩٧١).

(٢) أي لا يشاغب ولا يخالف وهو مهموز، من المدارأة، ومنها قول الله ﷻ، ﴿قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ﴾ يعني اختلافهم في القتيل، وروي في الحديث غير مهموز ليزاوج يماري، النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ١١٠؛ وانظر: غريب الحديث لأبي عبيد ابن سلام ١/ ٣٣٧.

(٣) من المراء، وهو: الجدال، النهاية في غريب الحديث الأثر ٤/ ٣٢٢.

(٤) سنن أبي داوود، كتاب الأدب، باب في كراهية المراء (٤٨٣٦) وصححه الألباني في صحيح أبي داوود.

(٥) انظر تفاصيل سفر النبي ﷺ إلى الشام للتجارة بمال خديجة رض الله عنها، وما رآه غلامها ميسرة، وتفاصيل طلبها الزواج منه ﷺ، - وعمره ﷺ حينها خمسة وعشرون عاماً - في: السيرة النبوية لابن هشام ١/ ١٨٧ - ١٨٩.

وقد سأل هرقل أبا سفيان بن حرب عن النبي ﷺ في حوار طويل، ومنه: «**ثم قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا، قال: فهل يغدر؟ قلت: لا،.... إلى أن قال هرقل: وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؛ فزعمت أن لا؛ فعرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله، وسألتك هل يغدر فزعمت أن لا؛ وكذلك الرسل لا يغدرون...**»[١].

ثالثاً: الرحمة:

قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

رابعاً: الجود والكرم:

وكان معروفا ﷺ بالكرم والجود، كما في حديث موسى ابن أنس عن أبيه قال: «ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئا إلا أعطاه، قال: «فجاءه رجل فأعطاه غنما بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا، فإن محمد ﷺ يعطي عطاء لا يخشى الفاقة»[٢].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون**

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة (٢)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام (٤٦٠٧).

(٢) صحيح مسلم، باب ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئا إلا أعطاه (٢٣١٢).

في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه - القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة»[(١)].

خامساً: العزة:

وصفه الله تعالى بأنه **عزيز** لا يقبل الدنية ولا المذلة في دينه ولا نفسه، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون٨].

يضم الله سبحانه رسوله والمؤمنين إلى جانبه، ويضفي عليهم من عزته، وهذا تكريم هائل لا يكرمه إلا الله! وأي تكريم.

(**والسر في إعادة اللام في قوله:** ﴿وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾: لتأكيد عزة الرسول ﷺ وأنها بسبب عزة الله ووعده إياه، وإعادة اللام أيضا في قوله: ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ للتأكيد أيضا إذ قد تخفى عزتهم وأكثرهم في حال قلة وحاجة»[(٢)].

سادساً: الإتقان:

وأشار الله تعالى إلى صفة **الاتقان** من خلال بيان حرصه وبذله الجهد في الدعوة، قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦]، وقال تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣].

سابعاً: ترفعه عن الأخلاق والتصرفات الخاطئة:

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان ﷺ كان مصونا عما يستقبح قبل البعثة وبعدها»[(٣)]

واستشهد ابن حجر بحديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أن رسول الله ﷺكان ينقل

---

(١) صحيح البخاري، كتاب كيف بدء الوحي، باب قول الله جل ذكره: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ (٦)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير (٢٣٠٨).

(٢) التحرير والتنوير ٢٨/ ٢٥٠.

(٣) فتح الباري لابن حجر ١/ ٤٧٥.

معهم الحجارة للكعبة وعليه إزاره، فقال له العباس عمه: يا ابن أخي؛ لو حللت إزارك فجعلته على منكبيك دون الحجارة، قال: فحله فجعله على منكبيه؛ فسقط مغشيا عليه، فما رئي بعد ذلك عريانا ﷺ»[١].

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما سقوطه مغشيا عليه، فقيل: من شدة حيائه من تعريه؛ فإنه كان مجبولا على أجمل الأخلاق وأكملها منذ نشأ، ومن أعظمها شدة الحياء، وقيل: بل كان لأمر شاهده وراءه، أو لنداء سمعه عن التعري»[٢].

ويشهد لذلك أن النبي ﷺ كان معصوما من كل ما يستقبح قبل البعثة، فقد روي عنه ﷺ أنه قال: **(ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يهمون به؛ إلا ليلتين؛ كلتاهما عصمني الله ﷻ فيهما؛ قلت ليلة لبعض فتيان مكة ونحن في رعاء غنم أهلها، فقلت لصاحبي: أبصر لي غنمي حتى أدخل مكة أسمر فيها كما يسمر الفتيان، فقال: بلى، قال: فدخلت حتى جئت أول دار من دور مكة؛ سمعت عزفا بالغرابيل والمزامير، فقلت: ما هذا؟ قالوا: تزوج فلان فلانة، فجلست أنظر وضرب الله على أذني، فو الله ما أيقظني إلا مس الشمس، فرجعت إلى صاحبي، فقال: ما فعلت؟ فقلت: ما فعلت شيئا، ثم أخبرته بالذي رأيت، - ثم حصل له مثل ذلك ليلة أخرى - يقول: فو الله ما هممت ولا عدت بعدهما لشيء من ذلك؛ حتى أكرمني الله ﷻ بنبوته)**[٣].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب كراهية التعري في الصلاة وغيرها (٣٦٤)؛ ومسلم، كتاب الحيض، باب الاعتناء بحفظ العورة (٣٤٠).

(٢) فتح الباري لابن رجب ٢/ ١٦٨.

(٣) انظر: أخبار مكة للفكهاني ٢/ ٣٨٤ (١٦٨٧)، ودلائل النبوة للبيهقي ١/ ١٣٧، البداية والنهاية لابن كثير ٢/ ٢٨٧ و ٢٨٨.

وأيضا لما عرفه الراهب بحيرى حين كان مع عمه أبي طالب في الشام فسأله باللات والعزى، قال له ﷺ: **(لا تسألني بهما فو الله ما أبغضت شيئا بُغْضَهُمَا)**[1].

☜ ثامناً: حكمته ورجاحة عقله:

ومن سماته ﷺ التي اشتهر بها وتفوق بها على أقرانه ومن هم في مثل سنه: حكمته ﷺ؛ وتجلت يوم وضع الحجر الأسود عندما تنازعت قبائل قريش عند بناء الكعبة، فإنهم لما أنهوا بناء الكعبة اختلفوا وتنازعوا فيمن يضع الحجر؛ فقال بطن من قريش نحن نضعه، وقال آخرون نحن نضعه، فقالوا: اجعلوا بينكم حكما، فقالوا: أول رجل يطلع من الفج يحكم بيننا، فإذا بالنبي ﷺ داخل وذلك قبل نبوته، فقالوا: هذا محمد؟ هذا الأمين قد رضينا به، فوضعه في ثوب، ثم دعا بطونهم فأخذوا بنواحيه معه، فوضعه هو ﷺ بيديه الشريفتين[2].

☜ تاسعاً: إعمال عقله بالتفكر:

فإن رضاعته ﷺ في بادية بني سعد في الصحراء ومكوثه فيها إلى سن الخامسة فيه دليل على ذلك فالحياة في البادية حياة تحيي في القلب التوحيد بالتأمل والتفكر في هذا المكون.

وكذلك قبيل النبوة حبب الله تعالى إلى نفس نبيه ﷺ الخلوة للتفكر والتأمل فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم،

---

(١) السير والمغازي لابن اسحاق ١/ ٧٦، ودلائل النبوة للبيهقي ١/ ١٦٩، وتاريخ الرسل والملوك ٢/ ٢٧٧ – ٢٧٩، وانظر بحث: تحقيق قصة بحيرى، د. محسن عبد الحميد مجلة جامعة الموصل ص ٦٩ – ٧٣.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٣/ ٤٢٥ (١٥٥٤٣)، تعليق شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فَلَق الصبح، **ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه – وهو التعبد – الليالي ذوات العدد**»[١].

قال السيوطي: «جاء عن بعض المشايخ أنه كان **يتعبد بالتفكر**»[٢]. وقال أبو سليمان الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: «حببت العزلة إليه ﷺ لأن معها فراغ القلب، **وهي معينة على التفكر**، وبها ينقطع عن مألوفات البشر، ويتخشع قلبه»[٣]. وقال الألوسي: «قال بعضهم: إن عبادته صلى الله تعالى عليه وسلم التفكر والاعتبار»[٤].

وقال ابن عاشور: «يود أن يجد لنفسه قبس نور يضيء له سبيل الحق مما كان باعثا له **على التفكر** والخلوة والالتجاء إلى الله، فكان يتحنث في غار حراء»[٥].

عاشراً: صفة العبودية لله وحده:

من أكمل ما وصف به ﷺ ما وصفه الله به ربه: بالعبودية له سبحانه، قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ [الكهف: ١]، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وقال تعالى: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ [المزمل: ٢٠].

(١) صحيح البخاري كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (٣).
(٢) الديباج في شرح صحيح مسلم للسيوطي ١/ ١٨٤.
(٣) شرح صحيح مسلم للنووي ١/ ١٨٧.
(٤) روح المعاني ٢٥/ ٥٩.
(٥) التحرير والتنوير ٣٠/ ٣٦٣.

☜ **الحادي عشر: آيات جامعات لصفات النبي ﷺ:**

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم٤].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وقوله تعالى في دعاء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

وامتن الله على هذه الأمة بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥ – ٤٦].

المطلب الرابع
عناية الله بنبيه في الجانب الإيماني

من أهم ما يستفاد من دعوة النبي ﷺ فضل الله عليه، وتوليه تأهيله وتوجيهه المباشر، وذكر ذلك في كتابه تعليماً للدعاة بواجبات الداعية وما هو مطلوب منه.

وقد التزم النبي ﷺ لتوجيهات ربه فكان قدوة للدعاة من الصحابة وفي كل زمان، ومن أهم مجالات العناية والتأهيل العناية الإيمانية.

فقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ أمرا مباشرا بمجموعة من الأوامر تمثل تأهيلا للنبي ﷺ في جانب الإيمان ومن ذلك:

أمره بالتوحيد الخالص الكامل؛ قال تعالى: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢].

أمره بالاتباع وعدم الابتداع؛ قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [هود: ١١٢].

وأمره بالعبادة، قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

وأمره الصبر، قال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وأمره بالتوكل؛ قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [النساء: ٨١].

أمره بمراقبته وتقواه، قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٢١٧ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٢٢٠﴾ [الشعراء: ٧٣ - ٢٢٠].

وأمره بالإكثار من ذكره، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

وأمره بالاستغفار، قال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩].

وأمره بقراءة القرآن والإحسان فيه، قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]، وقال تعالى: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا﴾ [الإسراء: ١٠٦]

وأمره بدعائه واللجوء إليه، قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا﴾ [الإسراء: ٨٠].

وأمره **بالصلاة عامة وقيام الليل خاصة**، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. وقال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء: ٧٩]. وقال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٦].

وأمره **بالشكر عند النعمة**، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾ [النصر: ١ - ٣]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾.

وأمره **بالإقبال على الله**، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: ٨]، قال تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٤ - ٩٩]، قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ [الشرح٧ - ٨].

المطلب الخامس
بشارة الله لنبيه وتثبيته

قال تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى: ١ - ٥].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح١ - ٦].

وقال تعالى: ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾ [الفتح: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧].

وقال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠]. وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١].

ومما هيئه الله لنبيه ﷺ لتثبيته وتطمينه، إيجاد المعين له في الدعوة، قال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٢ - ٦٤].

وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

المطلب السادس
توجيهات دعوية من الله لنبيه مباشرة

أولاً: توجيهه إلى أخلاقيات الدعوة والدعاة:

ومنها: الإحسان للناس وحسن الخلق معهم، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ٩ - ١١]، وقال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء ٢١٥].

ومنها الرحمة، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ

﴿يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [بالضحى: ٩ – ١١].

وتوجيهه ببعض الآداب، قال تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر: ١ – ٧].

ثانياً: عرض التجارب الدعوية السابقة للنبي ﷺ:

قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠]، وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾ [طه: ٩٩].

ثالثاً: التنبيه أن وظيفته البلاغ وليس عليه الهداية:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦]. وقال ﷻ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨]. وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

رابعاً: إرشاد النبي لبعض وسائل وأساليب الدعوة:

قال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٠].

وقال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

وقال تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤ – ٩٩].

وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الأعلى: ٩].

وقال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وقال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]

وقال تعالى: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

وقال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ [الكهف: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٣].

خامساً: تنبيه النبي ﷺ عند الخطأ:

• **ومن ذلك معاتبته عند تحريمه على نفسه العسل من أجل زوجاته؛** قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [التحريم: ١ - ٢].

• **وكذلك معاتبته عند إعراضه عن الأعمى؛** قال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾﴾ [عبس: ١ - ١٠].

• وكذلك معاتبته على أنه كاد أن يجعل لكبار القوم مجلس خاص بهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢].

• وكذلك معاتبته عندما أراد أن يفعل بقريش ما فعلوه في المسلمين في أحد، قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

سادساً: تعليم النبي ﷺ التخاطب مع أصناف المدعويين:

• ففي التعامل مع المؤمنين، يقول الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ﴾ [البقرة: ٢٥]. قال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

• وفي التعامل مع الكفار والمنافقين، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٨]. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا ۗ يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٦].

المطلب السابع

أسس دعوة نبينا محمد ﷺ

إن النبي ﷺ كغيره من الأنبياء عليهم السلام له أسس تقوم عليها دعوته، كما قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ المائدة٤٨].

فأسس دعوة النبي ﷺ ترتكز على:

أولاً: توحيد الله تعالى ونبذ الشرك وأهله:

وهو الأساس الأصيل في دعوة جميع الرسل عليهم السلام، قال الله تعالى عن جميع ذلك: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦]، ونبه الله تعالى نبيه ﷺ على هذا الأمر بخطابه له المباشر في قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء٢٥]. وكل سورة في القرآن، بل كل آية داعية للتوحيد، مبينة لهذا المقصد العظيم.

ومنه **الأمر بالتوحيد الخالص**، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ﴾ [الرعد: ٣٦].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **(أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله....)** الحديث[1].

ومن ذلك البراءة من الشرك وأهله، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ① لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ② وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ③ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ④ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ⑤ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١ - ٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس٤١].

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣].

ومن ذلك البعد عن كل وسائل الشرك، فقد ثبت أنه لما خرج رسول الله ﷺ إلى حنين مر بشجرة للمشركين يقال لها ذات أنواط، يعلقون عليها أسلحتهم. فقالوا: يا رسول الله أجعل لنا ذات أنوط كما لهم ذات أنواط، فقال النبي ﷺ: **(سبحان الله هذا كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم)**[2].

ثانياً: الإيمان بنبوة النبي ﷺ والأنبياء من قبله:

قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم (٢٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله (٢١).

(٢) جامع الترمذي، كتاب الفتن عن رسول الله، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم (٢١٨٠) وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح، ومسند أحمد ٥/ ٢١٨ (٢١٩٤٧) قال شعيب الأرنؤوط (إسناده صحيح على شرط الشيخين)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٥٤٠٨).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء ٥٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

ولقد أكد القرآن الكريم بعض هذه البشارات والنبوءات كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وذكر دعوة إبراهيم عليه السلام بقوله ﷻ: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]، وذكر بشارة عيسى عليه السلام في قوله عز من قائل: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف: ٦].

ثالثاً: الإيمان بالمعاد:

فمن أركان الإيمان التي لا بد للمؤمن أن يؤمن بها هي الإيمان باليوم الآخر، وهي الحياة الباقية بعد هذه الدنيا الفانية، وقد أكثر الله في القرآن في تقرير هذا الركن في كتابه ترغيبا في الآخرة ونعيمها وترهيبا من عذابها، وتسلية لأهل طاعته ودعوته.

ومن ذلك قوله تعالى في وصف عباد الله المفلحين: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤].

ومن ذلك التحذير من الغفلة عن المعاد وما فيه من جزاء بقوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٨].
وقوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

وكذلك الرد على من أنكر المعاد وتفنيد شبههم ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ﴾ [ق: ٣ - ١١].

وكذلك فصل القرآن وكذلك السنة في نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار وفي أهوال يوم القيامة ومشاهد الحساب والجزاء، والحوارات التي ستدور في ذلك اليوم.

رابعاً: حُسْنُ الأخلاق والمعاملات:

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾

فقوله تعالى: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ «بأن يحثهم على الأخلاق الفاضلة، ويفصلها لهم، ويزجرهم عن الأخلاق الرذيلة»[١].

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٨٦٢.

وقوله ﷺ: (إنما بعثتُ لأتمم صالح الأخلاق)[1]، فقوله إنما يقتضي الحصر فكأن المعاملة هي هدف بعثته ﷺ.

خامساً: الدعوة لشمولية الإسلام:

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [الحج: ٤١].

وقد جمع في قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

وقال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣]، وقال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وعن عمر رضي الله تعالى عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **(الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً قال: صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدقه).**

---

(١) الأدب المفرد للبخاري برقم (٢٧٣) وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد.

قال: فأخبرني عن الإيمان، قال **(أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)**، قال: **(صدقت)**، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: **(أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)**، قال: فأخبرني عن الساعة، قال: **(ما المسؤول عنها بأعلم من السائل)**، قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: **(أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان)** ثم انطلق فلبثت ملياً ثم قال: **(يا عمر أتدري من السائل؟)** قلت: الله ورسوله أعلم، قال: **(فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)**[(١)].

وعن عبد الرحمن بن يزيد عن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قيل له: قد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراء!! قال: فقال: أجل لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو بعظم[(٢)].

ولذلك ما ترك رسول الله ﷺ صغيرة ولا كبيرة؛ إلا وعلم أصحابه وأمته ما يجب عليهم فيها، ولذلك قال ﷺ: **(لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك)**[(٣)].

وهذه سنة الأنبياء عموما فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: قال رسول الله: **(إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم)**[(٤)].

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة (٨).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الوضوء، باب الاستطابة (٢٦٢).

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ١٠/ ٢٢٧ (٢٠٤٥٣)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم (٥٩).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول (١٨٤٤).

المطلب الثامن
وسائل وأساليب دعوة نبينا محمد ﷺ

✧ أولاً: القدوة العملية:

قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

فكان ﷺ أعظم العابدين والموحدين والمجاهدين، وكان خير الزوج لزوجاته، وخير الأب لأبنائه، وخير الصاحب لأصحابه، تعلَّم منه الصحابة كل شيءٍ حسنٍ فيه صلاحهم وتقواهم.

✧ ثانياً: الترغيب في المسارعة والمسابقة في الخير:

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨].

كل هذه النصوص تأمر وتحث على المسارعة والمسابقة إلى الله تعالى ثم يأتي التطبيق العملي لتلك المسابقة في تربية النبي ﷺ أصحابه عليها فعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار، قال: فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار – أو العباء – متقلدي السيوف، عامتهم من مضر بل كلهم من مضر، فتمعر وجه

رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج فأمر بلالاً فأذن وأقام فصلى ثم خطب: فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء١]، والآية التي في الحشر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحشر١٨] **(تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره)** حتى قال: **(ولو بشق تمرة)**، فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت قال: ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب، رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة، فقال رسول الله ﷺ: **(من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)**[(١)].

✧ ثالثاً: الاصطفاء والاختيار في الدعوة والتوجيه:

فقد ورد عن معاذ رضي الله عنه أنه قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال: **(يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟)** قلت الله ورسوله أعلم، قال: **(حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً)** فقلت: يا رسول الله ألا أبشر الناس؟ قال: **(لا تبشرهم فيتكلوا)**[(٢)].

وهذا التخصيص لكي لا تحدث فتنة بين الناس، فالناس ليسوا على درجة واحدة من الفهم للنصوص؛ كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «حدثوا الناس بما يعرفون

(١) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة (١٠١٧).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب اسم الفرس والحمار (٢٨٥٦)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة (٣٠).

أتحبون أن يكذب الله ورسوله»[(١)]، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «ما أنت بمحدثٍ قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»[(٢)].

قال ابن رجب: «قال العلماء: يؤخذ من مَنْع معاذٍ من تبشير الناس لئلا يتكلوا. أن أحاديث الرخص لا تشاع في عموم الناس، لئلا يقصر فهمهم عن المراد بها، وقد سمعها معاذ فلم يزدد إلا اجتهاداً في العمل»[(٣)].

رابعاً: مراعاة الأولويات في الدعوة:

ففي الحديث قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن: (إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب)[(٤)].

خامساً: التدرج في البلاغ:

قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦].

قال السعدي: «﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ أي: على مهل، ليتدبروه ويتفكروا في معانيه، ويستخرجوا علومه»[(٥)].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا (١٢٧).

(٢) صحيح مسلم، مقدمة الكتاب رقم (١٤).

(٣) فتح الباري ١١/ ٣٤٠.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة (١٣٩٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين (١٩).

(٥) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٦٨.

وورد عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران٧٩]. أي: أي كونوا ربانيين حكماء فقهاء، ويقال الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره»[١].

والتزم رسول الله ﷺ بمنهجية التدرج في الدعوة فمكث في مكة يعلمهم التوحيد والإيمان ويغرسه في قلوبهم لتسلم عقيدتهم؛ ثم لما هاجر إلى المدينة بدأ في تعليمهم ما يصلح عبادتهم، وما يصلح حياتهم الدنيوية سواء مع أنفسهم أو مع غيرهم.

حتى قالت أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «إنما أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام ولو نزل أول شيء: ولا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبدا، لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٦]، وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده»[٢].

✧ سادساً: إقامة الحجة:

ومن ذلك أن فتى شابا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه زاجريه، فدنا إلى رسول الله ﷺ فأجلسه النبي ﷺ فقال له: أتحبه لأمك؟ قال الفتى لا، ثم قال له أتحبه لابنتك؟ قال الفتى لا، ثم قال له أتحبه لأختك؟... إلخ، فوضع النبي ﷺ يده عليه ودعا له: **(اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصّن فرجه)**، فلم يكن الفتى بعد ذلك يلتفت إلى شيء[٣].

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل، تعليقاً.
(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن (٣٩٩٣).
(٣) مسند أحمد ٣٦/ ٥٤٥ (٢٢٢١١)، وقال شعيب الأرناؤوط: اسناده صحيح.

✧ سابعاً: الحوار والسؤال:

وذلك كما في حديث عمر بن الخطاب في قصة جبريل مع النبي حيث حاور النبي جبريلُ عليه السلام، فسأله عن الإيمان، ثم الإسلام، ثم الإحسان، ثم الساعة، فأجاب عن الجميع سوى الأخير قال عنه ما المسؤول عنها بأعلم من السائل[1]!!.

وذلك ما جاء من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، فحدثوني ما هي)** فوقع الناس في شجر البوادي قال عبد الله: ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله قال: **(هي النخلة)**[2].

وكذلك في سؤاله لمعاذ رضي الله عنه: (ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله)[3]... وغيرها.

✧ ثامناً: القسم والتكرار:

ومن ذلك ما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أَوَ لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم)**[4]. وغير ذلك من الأحاديث.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة (٥٠)، ومسلم، كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان (٨ و ٩ و ١٠).

(٢) صحيح البخاري، باب طرح المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم (٦٢).

(٣) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب إرداف الرجل خلف الرجل (٥٦٩٧).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سببا لحصولها (٥٤).

✧ تاسعاً: القياس:

وذلك ما ثبت عن أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن ناسا من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم، قال: **(أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؟ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة)**، قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: **(أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر)**[1] وغير ذلك من الأقيسة النبوية.

✧ عاشراً: المزاح والمداعبة:

فعن عائشة، أن نبي الله ﷺ أتته عجوز من الأنصار، فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال نبي الله: **(إن الجنة لا يدخلها عجوز)**، فذهب نبي الله ﷺ فصلى، ثم رجع إلى عائشة، فقالت عائشة: لقد لقيت من كلمتك مشقة وشدة، فقال نبي الله ﷺ: **(إن ذلك كذلك، إن الله إذا أدخلهن الجنة حولهن أبكارا)**[2].

ففيه مداعبة مع العجوز وإيصال رسالة على أحسن الوجه وأليقه.

✧ الحادي عشر: استعمال لغة الإشارة مع القول:

ومن ذلك ما ورد عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال**: قال رسول الله ﷺ **(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ثم شبك بين أصابعه)**[3].

(١) صحيح مسلم، كتاب الكسوف، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (١٠٠٦).
(٢) المعجم الأوسط للطبراني ٥/ ٣٥٧ (٥٥٤٥) وحسنه الألباني في غاية المرام برقم (٣٧٥).
(٣) صحيح البخاري، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (٢٥٨٥).

وقوله: (أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئا)[(١)].

✧ الثاني عشر: كتابة الرسائل إلى الأمراء والملوك:

فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النجاشي، وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى. وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ»[(٢)].

✧ الثالث عشر: ذكر القصص النافعة والمؤثرة:

وكانت تلك القصص تهدف إلى غرس قيم محددة في قلوب وسلوك الصحابة فعندما أراد رسول الله ﷺ أن يغرس في قلوب صحابته قيمة الشكر لله تعالى على نعمه قص عليهم قصة الأعمى والأقرع والأبرص[(٣)].

وعندما أراد أن يغرس فيهم قيمة الأمانة وبر الوالدين والعفاف واللجوء لله في الشدائد قص عليهم قصة الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة[(٤)].

ولما أرد أن يغرس فيهم الصبر ويثبتهم على الحق قص عليهم قصة الساحر والراهب والغلام[(٥)].

(١) صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب اللعان (٥٣٠٤).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عَزَّ وَجَلَّ (١٧٧٤).

(٣) انظر القصة في صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٣٤٦٤)، ومسلم، أول كتاب الزهد والرقائق (٢٩٦٤).

(٤) انظر القصة في: صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب إذا اشترى شيئا لغيره بغير إذنه فرضي (٢٢١٥)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة (٢٧٤٣).

(٥) انظر القصة في: صحيح مسلم كتاب الزهد والرقاق، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام (٣٠٠٥).

وهكذا نجده ﷺ يروي القصص للعبرة والعظة ولغرس القيم الفاضلة وذلك استجابة لأمر الله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

✧ الرابع عشر: الإجابة عن الأسئلة والاهتمام بها:

عن أنس رضي الله عنه قال: أقيمت الصلاة والنبي ﷺ يناجي رجلاً في جانب المسجد، فما قام إلى الصلاة حتى نام القوم[(١)].

وكان ﷺ يحث الصحابة على السؤال فعن عطاء عن جابر رضي الله عنه قال: خرجنا في سفر فأصاب رجلاً منا حجر فشجه في رأسه ثم احتلم فسأل أصحابه فقال: هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء فاغتسل فمات. فلما قدمنا على النبي ﷺ أخبر بذلك فقال: **(قتلوه قتلهم الله ألا سألوا إذ لم يعلموا فإنما شفاء العي السؤال إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر. أو يعصب - شك موسى - على جرحه خرقة ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده)**[(٢)].

✧ الخامس عشر: إعادة المعلومة أكثر من مرة:

عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أنه كان إذا سلم ثلاثاً، وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً»[(٣)].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب الإمام تعرض له الحاجة بعد الإقامة (٦٤٢) ومسلم، كتاب الحيض، باب الدليل على أن نوم الجالس لا ينقض الوضوء (٣٧٦).

(٢) سنن أبي داوود كتاب الطهارة، باب في، باب في المجروح يتيمم (١٢٧) قال الألباني: حسن دون قوله: (إنما كان يكفيه)، في صحيح أبي داوود (٥٣١)، وقال في مشكاة المصابيح رقم (٥٣١): حسن لغيرة.

(٣) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم (٩٥).

ومن أمثلة ذلك ما ثبت عن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، فكف الأنصاري فطعنته برمحي حتى قتلته، فلما قدمنا بلغ النبي ﷺ فقال: **(يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟!)** قلت: كان متعوذا **فما زال يكررها** حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم[(١)].

✧ السادس عشر: حث الصحابة على تعليم بعضهم لبعض ليعاونوه في الدعوة:

وبذلك أمرهم النبي ﷺ في مثل قوله ﷺ: (من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأه بقراءة ابن أم عبد)[(٢)].

وقد ورد في قصة إسلام عمير بن وهب الجمحي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه بعدما أسلم قال رسول الله ﷺ للصحابة: **(فقهوا أخاكم في دينه، وأقرئوه القرآن)**[(٣)].

✧ السابع عشر: الغضب عند ما تنتهك حرمة الله:

وذلك مثل ما الترمذي عن أبي هريرة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع في القدر **فغضب حتى احمر وجهه، حتى كأنما فقئ في وجنتيه الرمان،** فقال: أبهذا أمرتم

(١) صحيح البخاري، كتاب الديات، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهنية (٤٢٦٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله (٩٦).

(٢) سنن ابن ماجه كتاب الفضائل، باب فضل عبد الله بن مسعود (١٣٨)، حلية الأولياء لأبي نعيم ١/ ١٢٤، سير أعلام النبلاء ١/ ٥٠٠، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه برقم (١١٤)، والسلسلة الصحيحة برقم (٢٣٠١).

(٣) المعجم الكبير للطبراني ١١/ ٤٥٧ (١٣٥٨٧)، وتهذيب الآثار للطبراني ٤/ ٧٥ (١٣٧٨)، وكنز العمال ١٣/ ٥٢٧ (٣٧٤٥٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٣٩، وقال: رواه الطبراني مرسلاً وإسناده جيد.

أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت عليكم ألا تتنازعوا فيه[١].

✧ الثامن عشر: الضحك والابتسامة:

وذلك فيما رواه البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ، إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله هلكت. قال: ما لك؟ قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم، فقال رسول الله ﷺ: هل تجد رقبة تعتقها؟ قال: لا، قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين، قال: لا، فقال: فهل تجد إطعام ستين مسكينا. قال: لا، قال: فمكث النبي ﷺ، فبينا نحن على ذلك أتي النبي ﷺ بعرق فيها تمر - والعرق المكتل - قال: أين السائل؟ فقال: أنا، قال: خذها، فتصدق به فقال الرجل: أعلى أفقر مني يا رسول الله؟ فوالله ما بين لابتيها - يريد الحرتين - أهل بيت أفقر من أهل بيتي، **فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه**، ثم قال: أطعمه أهلك.

✧ التاسع عشر: إرسال الدعاة:

وهذا يظهر جليّاً في حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أن النبي ﷺ بعث معاذا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلى اليمن[٢]، وقبله مصعبا للمدينة.

✧ العشرون: التغافل، والعفو المباشر عن الجاهل:

وهذا يظهر في حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: مر النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر، فقال: **(اتقي الله واصبري)** قالت: إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه، فقيل لها:

(١) جامع الترمذي، كتاب القدر باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر (٢١٣٣)، وقال الترمذي: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وحسنه الألباني في صحيح جامع الترمذي (١٧٣٢).

(٢) تقدم تخريجه.

إنه النبي ﷺ، فأتت باب النبي ﷺ، فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: (إنما الصبر عند الصدمة الأولى)[(١)].

✧ الحادي والعشرون: تأليف القلوب:

وهذا يظهر في حديث موسى بن أنس عن أبيه قال: «ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئا إلا أعطاه، قال: «فجاءه رجل فأعطاه غنما بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا، فإن محمداً ﷺ يعطي عطاء لا يخشى الفاقة»[(٢)].

✧ الثاني والعشرون: الزيارات:

كما يظهر في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ **زار عمرة امرأة سعد بن الربيع** رضي الله عنهم فذبحت له ولأصحابه شاة فأكلوا، ثم قاموا إلى الصلاة ولم يتوضأ أحد منهم[(٣)].

✧ الثالث والعشرون: التأديب:

وهذا يظهر في قضية الثلاثة الذين خُلِّفُوا وهم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، كلهم من الأنصار[(٤)].

✧ الرابع والعشرون: الخطب:

ويظهر فيما رُوي عن عمرو بن أخطب رضي الله عنه قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب زيارة القبور (١٢٨٣).
(٢) صحيح مسلم كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئا إلا أعطاه (٢٣١٢).
(٣) معرفة السنن والآثار للبيهقي (١٤٤٤٢) ولم أقف على الحكم عليه.
(٤) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، وقول الله ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ [التوبة: ١١٨] (٤٤١٨)، ومسلم، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه (٢٧٦٩).

وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن»(١).

✧ الخامس والعشرون: طلاقة الوجه ولين الكلام:

«كما كان من هدي النبي ﷺ البشاشة ورحابة الصدر وحلو المنطق، فكان يبش في وجوه الوفود الذين يأتون ليتعلموا منه ﷺأمور دينهم، وكان يقول لكل وفد كلاماً طيباً يشعرهم بمكانتهم ويثني عليهم بما هم أهله»(٢).

فقد قال لوفد أزد عمّان: (نعم الوفد الأزد، طيبة أفواههم، برة أيمانهم، تقية قلوبهم)(٣). وقال لوفد أسلم وغفار: **(أسلم سالمها الله، وغفار غفر الله لها)**(٤).

ومعلوم أن هذا الثناء والدعاء من رسول الله ﷺله بالغ الأثر في النفوس، ودافع من دوافع الاستجابة، وتعلم دين الله رغبة فيه.

✧ السادس والعشرون: بذل الهدايا والجوائز:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أوصى رسول الله ﷺعند موته بثلاث: **(أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفود بنحو ما كنت أجيزهم)** قال ابن عباس: ونسيت الثالثة(٥).

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة (٢٨٩٢).

(٢) دعوة النبي ﷺ للأعراب، حمود الحارثي ص٢٠٧.

(٣) مسند أحمد ٢/ ٣٥١ (٨٦٠٠) قال شعيب الأرنؤوط: حسن.

(٤) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب ذكر أسلم وغفار (٣٥١٤)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب دعاء النبي لغفار وأسلم (٢٥١٥).

(٥) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته (٤٤٣١)، ومسلم، كتاب الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه (١٧٣٧).

ولما قدم على رسول الله ﷺ -بعد عودته من الجعرانة سنة ثمان- وفد من ثعلبة، قال رجل منهم: قلنا: يا رسول الله نحن رسل من خلفنا من قومنا ونحن وهم مقرون بالإسلام **فأمر لنا بضيافة** وأقمنا أياما ثم جئناه لنودعه فقال لبلال: **(أجزهم كما تجيز الوفد)** فجاء بنقر من فضة وأعطى كل رجل منا خمس أواق قال: «**ليس عندنا دراهم فانصرفنا إلى بلادنا**»[(١)].

✧ السابع والعشرون: التبشير والتيسير في الدعوة:

فعن أنس عن النبي ﷺ قال: (يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا)[(٢)].

وعن عمران بن حصين قال: «إني عند النبي ﷺ إذ جاءه قوم من بني تميم فقال: **(اقبلوا البشرى يا بني تميم)**. قالوا بشرتنا فأعطنا. فدخل ناس من أهل اليمن فقال: **(اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم...)**»[(٣)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **(عَلِّمُوا ويَسِروا ولا تُعَسِروا، وإذا غَضِب أَحَدُكُم فَلْيَسْكُتْ)**[(٤)].

قال ابن حجر: «الأخبار بالشر في ابتداء التعليم توجب النفرة إذا قوبلت البشارة بالتنفير، والمراد تأليف من قرب إسلامه وترك التشديد عليه في الابتداء... وكذا تعليم العلم ينبغي أن يكون بالتدريج لأن الشيء إذا كان في ابتدائه سهلا حبب إلى من يدخل

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ١/ ٢٢٧، سبيل الهدى والرشاد ٦/ ٤٥٠.

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا (٦٩)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير (١٧٣٤).

(٣) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ (٧٤١٨).

(٤) الأدب المفرد رقم (٢٤٥) ومسند أحمد ١/ ٢٣٩ (٢١٣٦)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد.

فيه وتلقاه بانبساط وكانت عاقبته غالبا الازدياد بخلاف ضده والله تعالى أعلم»[١].

والحديث في ذلك يطول لكثرة الوسائل والأساليب وتنوعها التي استعملها رسول الله فقد ألفت في ذلك المؤلفات[٢].

المطلب التاسع

نتيجة دعوة نبينا محمد ﷺ

إن نتيجة دعوة النبي ﷺ نتيجة متعددة الأطراف، وسبب ذلك أن دعوة النبي عالمية كما تقدم، ولذا فسنجملها في النقاط التالية:

- قيام دولة إسلامية تحكم بشرع الله ومركزها الأساسي المدينة النبوية، وبناء أركانها، وهي: بناء المسجد والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في المدينة، والعهد بين المسلمين وغيرهم في المدينة.

- قيام النبي ﷺ بنشر الدعوة بين الناس، وتعليم المسلمين أمور دينهم، والعمل على تربيتهم التربية الإسلامية الصحيحة[٣].

- قيام النبي ﷺ بإيصال منهج الدعوة إلى الملوك والأمراء في عهده وذلك من خلال إرسال الرسل و الكتب إليهم و دعوتهم إلى الإسلام[٤].

- قيام النبي ﷺ بالجهاد في سبيل الله، وذلك بعد إذن الله تعالى له، حماية

(١) فتح الباري ١/ ١٩٦ - ١٩٧.

(٢) وللاستزادة حول هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى كتاب المعلم الأول لفؤاد الشلهوب.

(٣) تاريخ الدعوة للدكتور جمعة الخولي ٢/ ٤٧.

(٤) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، د. عبد الرحيم المغذوي ١/ ١٦٠.

للمجتمع المسلم، ودفعا لصائلة الأعداء، ووقاية للأموال والأنفس والأعراض من انتهاك المشركين لها.

- وفي هذا أبلغ الأدلة على عظمة تشريع الجهاد و أنه ليس للعدوان والانتقام والتشفي أو من أجل حبّ إراقة الدماء وإزهاق الأرواح كما يروج المستشرقون أو أعداء الإسلام[(١)].

- قيام النبي ﷺ بتربية أصحابه التربية الإيمانية الدافعة لحمل منهج الدعوة الإسلامية إلى العالم أجمع، فكان ذلك المجتمع الأول أفضل وأكمل مجتمع[(٢)].

- إكمال الدين تشريعا ومنهجا وتطبيقه في واقع الناس، قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

- فتح مكة وتطهيرها من الشرك والأوثان والأصنام التي تعبد من دون الله.

- تطهير الجزيرة العربية من الوثنية والأديان المنحرفة المختلفة.

- كثرة أمة الاستجابة مقارنة بأمم الرسل الذين من قبله ﷺ

- تتلمذ الصحابة عند النبي ﷺ فنقلوا الدعوة عنه ﷺ لمن بعدهم، وهكذا نقلها العلماء إلى أن وصلتنا بهذه الصورة وهي محفوظة، تمالأ عليها العلماء بالشرح والبيان.

- أصبحت الدعوة عزيزة، وقد جمع الله ما يبين ذلك في آية واحدة عن حامليها فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون٨].

- أن هذه الدعوة شهدت تحديات في الداخل والخارج منذ عهده ﷺ ومع ذلك تخطت كل الصعاب، ولا تزال تشاهده، فطوبى لمن صبر واحتسب.

(١) الجهاد في سبيل الله، لعبد الله القادري ١/ ٥١.

(٢) أسباب نجاح الدعوة الإسلامية في العهد النبوي لعبد الله محمد آل موسى ص ٤٥٦.

المطلب العاشر

الدروس المستفادة من دعوة نبينا محمد ﷺ

لا نستطيع هنا أن نذكر الدروس المستفادة من دعوة النبي ﷺ، لأن كل حياة النبي ﷺ كانت دعوة، وكل أقواله وأفعاله وإقراراته بل وسكوته دروسٌ في الدعوة.

ومعلوم أن سيرة النبي ﷺ وهديه هما الميزان الذي توزن به الأعمال، فما كان منها موافقاً لهديه فهو المقبول، وما كان منها مخالفا لهديه فهو مردود، يقول سفيان بن عيينة: «إن رسول الله ﷺ هو الميزان الأكبر، فعليه تعرض الأشياء، على خُلقه وسيرته وهديه، فما وافقها فهو الحق، وما خالفها فهو الباطل»[(١)].

وفي السيرة النبوية المنهج الصحيح والأسلوب الأمثل في الدعوة إلى الله، من حيث طريقته ﷺ، وأخلاقه وآدابه وتواضعه مع المدعوين ورفقه بهم، إلى غير ذلك من الأمور التي هي من مقوِّمات الدعوة إلى الله.

ولذا لا يسعنا هنا إلا أن نقول الدرس الدعوي الأهم في سيرته ﷺ يكمن في ثلاثة أمور:

✧ أولاً: الرحمة للعالمين:

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

فقد قام رسول الله ﷺ بممارسة الرحمة بكل أشكالها، ونشر ثقافتها في العالم كله، وأسس دعوته لكون الرحمة أساس التوجيه والتَّعامُلِ.

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب المتعلم، للخطيب البغدادي ص٧٩.

وقد ظهرتْ هذه الثقافة في سيرة الرسول ﷺ قولاً وفعلاً، فقد حثَّ على الرحمة، ورغَّب فيها، وذمَّ مَن قلَّل مِن شأنها، وبيَّن للنَّاس جميعاً سَعَة هذه الرَّحْمة، وتعدّد مظاهِرِها حتَّى شمِلَت - إلى جانب الإنسان صديقاً كان أو عدوّاً - الحيوانات والطيور. فكانَتْ رِسالة النَّبيّ محمد ﷺ مؤشراً على انتشار ثقافة جديدة في العالم كله، هي ثقافة الرحمة، وحق له بهذا أن يكون رحمة للعالمين.

✧ ثانياً: حسن الخلق:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وقال ﷺ: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[١]، وفي رواية: **(صالح الأخلاق)**[٢]، وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «**كان أحسن الناس خلقاً، لم يكن فاحشاً، ولا متفحشاً**[٣]**، ولا صخاباً**[٤] **بالأسواق، ولا يجزئ بالسيئة مثلها، ولكن يعفو ويصفح**»[٥].

وقالت رضي الله عنها عندما سئلت عن خلقه ﷺ: «**كان خلقه القرآن**»[٦]. «وَمَنْ تَخَلَّقَ بِأَوَامِرِ الْقُرْآنِ أَوْ نَوَاهِيهِ كَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقاً»[٧].

(١) موطأ الإمام مالك ٢/ ٩٠٤ (١٦٠٩)، والمستدرك على الصحيحين للحاكم ٢/ ٦٧٠ (٤٢٢١)، والأدب المفرد للبخاري ١/ ١٠٤ (٢٧٣)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٥).

(٢) مسند أحمد ٢/ ٣٨١ (٨٩٣٩) وقال شعيب الأرناؤوط: صحيح وهذا إسناد قوي.

(٣) فاحشا ولا متفحشا: الفاحش: ذو الفحش في كلامه وفعاله. والمتفحش: الذي يتكلف ذلك ويتعمده، ينظر: النهاية في غريب الحديث٣/ ٤١٥.

(٤) صخابا: الصَخَبُ: الصِياح والجَلَبَةُ، ينظر: الصحاح مادة (سخب) ١/ ١٦٢.

(٥) مسند أحمد ٤٣/ ١٣١ (٢٥٩٨٩)، صحيح ابن حبان ١٤/ ٣٥٥ (٦٤٤٣)، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح، ورجاله ثقات.

(٦) مسند أحمد ٤١/ ١٤٨ (٢٤٦١٠)، قال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح.

(٧) المنتقى في شرح الموطأ للإمام سليمان بن خلف الباجي ٧/ ٢١٣.

فقد كان النبي ﷺ أحسن الناس خَلْقاً وخُلُقاً، وألينهم كفّاً، وأطيبهم ريحاً، وأكملهم عقلاً، وأحسنهم عشرة، وأعلمهم بالله وأشدهم له خشية، وأشجع الناس، وأكرم الناس، وأحسنهم قضاء، وأسمحهم معاملة، وأكثرهم اجتهاداً في طاعة ربه، وأصبرهم وأقواهم تحمّلاً، وأخشعهم لله قلباً، وأرحمهم بعباد الله تعالى، وأشدهم حياء، ولا ينتقم لنفسه، ولا يغضب لها؛ ولكنه إذا انتُهِكت حرمات الله، فإنه ينتقم لله تعالى، وإذا غضب لله لم يقم لغضبه أحد، القوي والضعيف، والقريب والبعيد، والشريف وغيره عنده في الحق سواء، وما عاب طعاماً قط إن اشتهاه أكله، وإن لم يشتهه تركه، ويأكل من الطعام المباح ما تيسر ولا يتكلف في ذلك، ويقبل الهدية ويكافئ عليها، ولا يقبل الصدقة، ويخصف نعليه، ويرقع ثوبه، ويخدم في مهنة أهله، ويحلِبُ شاته، ويخدِمُ نفسه، وكان أشد الناس تواضعاً، ويجيب الداعي: من غني أو فقير، أو دنيء أو شريف، وكان يحب المساكين ويشهد جنائزهم ويعود مرضاهم، ولا يحقر فقيراً لفقره، ولا يهاب مَلِكاً لِمُلْكِهِ، وكان يركب الفرس، والبعير، والحمار، والبغلة، ويردف خلفه، ولا يدع أحداً يمشي خلفه. وخاتمه فضة وفصه منه، يلبسه في خنصره الأيمن وربما لبسه في الأيسر، وكان يعصب على بطنه الحجر من الجوع، وقد آتاه الله مفاتيح خزائن الأرض، ولكنه اختار الآخرة[١].

---

(١) جمع هذه الصفات ورتبها هذا الترتيب الجميل، الشيخ سعيد بن وهف القحطاني في خطبة جمعة، وكل هذه الصفات وغيرها لها أدلتها الثابتة عن النبي ﷺ ينظر إليها في كتب السنة تركتها لعدم التطويل، ويمكن الرجوع لكتاب الشمائل المحمدية لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكذلك كتاب نضرة النعيم في مكارم أخلاق سيد المرسلين وهو من الموسوعات المعاصرة في ذلك.

فقد كانت دعوة النبي ﷺ تقوم على حسن الخلق، تمثل ذلك رسول الله في نفسه، ودعا إليها في توجيهاته وإقراراته، ولذلك فإن دعوته كانت تقوم على **القدوة الحسنة**، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

قال ابن حجر في كتابه الإصابة: قال الجلندى: «لقد دَلَّنِي على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به، ولا ينهى عن شر إلا كان أول تارك له، وأنه يُغلب فلا يبطر، ويُغلب فلا يهجر لا يتلفظ بقبيح، وأنه يفي بالعهد وينجز الوعد، وأشهد أنه نبي»[١].

والسيرة النبوية فيها الكثير من المواقف التي يظهر من خلالها مدى تأثيرُ القُدوة العملية في المدعوين، والتي قد لا تتوافر لمجرد الدعوة النظرية.

✧ ثالثاً: الوعي والبصيرة:

قد قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، قال ابن القيم: «فَلَا يكون الرجل من اتِّبَاعه حَقاً حَتَّى يَدْعُو إلى مَا دَعَا إليه.. وإذا كَانَت الدعْوَة إلى الله أشرف مقامات العَبْد وأجلها وأفضلها فَهِيَ لَا تحصل إلا بِالْعلمِ الَّذِي يَدْعُو بِهِ وإليه»[٢].

فدعوة النبي ﷺ كانت تقوم على البصيرة من أربع جهات:

١- بصيرة بما يدعو إليه.

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ١/ ٥٣٨.

(٢) مفتاح دار السعادة ١/ ١٥٤.

٢- بصيرة بالطرق والوسائل والأساليب الدعوية والضوابط في ذلك.

٣- البصيرة بمن يدعوهم وواقعهم الدعوي.

٤- بصيرة بما يجب عليه لكي يكون داعية.

فالوعي والبصيرة بالوقع يشمل ثلاثة أمور:

١- فقه الخطاب الشرعي، وفهمه بأدوات الفهم وطرقه.

٢- فهم الواقع والعوامل المؤثرة فيه.

٣- فقهِ تنزيل الخطاب، بحيث يتحول ما فُهم إلى ممارسة، وتمثلٍ واقعي عملي.

يقول ابن القيم: «ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم، **أحدهما**: فهم الواقع والفقه فيه، **والنوع الثاني**: فهم الواجب في الواقع»[(١)].

فلا بد أن يكون الداعية على بصيرة لما يعظ به، أو يدعو إليه من كتاب أو سنة، فقيهاً في أحكامهما، مستوعباً لمقاصدهما.

وأن يكون على بصيرة بواجب الوقت، ناظراً في تعيين المحل الذي يليق بما يدعو إليه؛ ومعرفة الأحوال الواقعة، ومراعاة العوائد والأوضاع الغالبة والمستقرة في الواقع الاجتماعي، ومعرفة حيل الناس وطباعهم وهمومهم واتجاهاتهم الثقافية، وأن ينظر إلى مآلات ما يدعو إليه بالنسبة إلى حال الزمان وأهله. وهذا فن دقيق في التعليم والدعوة ضلّت فيه أفهام، وزلّت فيه أقدام.

---

(١) إعلام الموقعين ١/ ٦٩.

إن سيرة النبي ﷺ هي سجل كامل يبين لنا حياته ﷺ، وما جرى له فيها من أحداث في مكة والمدينة، ويظهر لنا من خلالها كيفية دعوته وطريقة تعامله مع أصناف الناس، المؤمن منهم والكافر، والطائع والعاصي، ونستلهم منها أساليب الدعوة ووسائلها الصحيحة، لأنها تعطينا نموذجا حيّاً لمختلف الظروف والأحوال التي يمكن أن تتكرر مع الدعاة إلى الله في كل زمان ومكان، فما مِنْ موقف يقع فيه الداعي، أو حدث يمر به أو مشكلة تواجهه، إلا ويجد مثلها ـ أو قريب منها ـ في سيرة النبي ﷺ.

الفصل الثالث

دعوة الرسل الذين تكرر ذكرهم في القرآن

ويتضمن خمسة مباحث:

المبحث الأول: دعوة آدم عليه السلام.

المبحث الثاني: دعوة هود عليه السلام.

المبحث الثالث: دعوة صالح عليه السلام.

المبحث الرابع: دعوة لوط عليه السلام.

المبحث الخامس: دعوة شعيب عليه السلام.

المبحث الأول

دعوة آدم عليه السلام

المطلب الأول التعريف بآدم عليه السلام وقومه.

المطلب الثاني الخصائص الدعوية لآدم عليه السلام.

المطلب الثالث الصفات الدعوية لآدم عليه السلام.

المطلب الرابع أسس دعوة آدم عليه السلام.

المطلب الخامس الدروس المستفادة من دعوة آدم عليه السلام.

المطلب الأول
التعريف بآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه

«آدم» المسمى بهذا اللفظ هو الذي خلقه الله من التراب فأسماه به مباشرة بعد خلقه، وهو أصل النوع الإنساني، فعن ابن عباس قال: «إنما سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض الحمرة والبياض والسواد وكذلك ألوان الناس مختلفة فيها الأحمر والأبيض والأسود والطيب والخبيث»[(١)].

وآدم هو أول نبي، فقد سئل النبي ﷺ عن آدم أنبي هو؟ قال: **(نعم، نبيٌ مُكلم)**[(٢)]، قد كلمه الله غير مرة، أما أول رسول فهو نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ كما في حديث الشفاعة **(فيأتون نوحا فيقولون: يا نوح، إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض)**[(٣)].

اصطفاه الله بالنبوة تشريفا له، كما يتضح عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران٣٣]. عن الحسن قال: «فضلهم الله على العالمين بالنبوّة، على الناس كلهم، كانوا هم الأنبياء الأتقياءَ المصطفين لربهم»[(٤)].

---

(١) الدر المنثور ١/ ١٢٠، وقد صح بذلك الحديث كما أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/ ٤٠٠، ٤٠٦، وابن سعد في الطبقات ١/ ٢٦، وأبو داود كتاب السنة باب في القدر (٤٦٩٥)، والترمذي كتاب التفسير باب سورة البقرة (٢٩٥٥)، وقال: حسن صحيح. والطبري في التفسير ١/ ٤٨٢ (٦٤٥)، وصححه أحمد شاكر، والألباني في تعليقه على الترمذي وأبي داود.

(٢) مسند أبي داوود الطيالسي ١/ ٣٨٤ (٤٨٠)، ومسند أحمد ٣٥/ ٤٣١ (٢١٥٤٦)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٥٧٣٧).

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ٣﴾ [الإسراء: ٣] (٤٧١٢)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (٤٨٠).

(٤) جامع البيان ٦/ ٣٢٧، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٢/ ٦٣٤ (٣٤٠٧).

وقال الواحدي: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ﴾ أي: جعلهم صفوة خلقة، واختارهم بالنبوة والرسالة»[١]

وقال الخازن: «وإن الله تعالى قبل توبته وشرفه بالنبوة والرسالة»[٢].

وأما قومه الذين أرسل إليهم فهو رسول إلى نفسه وذريته التي تأتي بعده[٣]، فآدم أرسل إلى بنيه ولم يكونوا كفارا بل أمر بتعليمهم الإيمان وطاعة الله[٤].

وهذه الرسالة جعلها ربنا أصلاً في الفطرة الإنسانية الكريمة حيث قال: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الروم٣٠].

ووردت قصة آدم في سبعة مواطن في القرآن الكريم: في سور البقرة، والأعراف، والحِجر، والإسراء، وطه، والكهف، وص، على درجات متفاوتة بين الإجمال والتفصيل.

المطلب الثاني

الخصائص الدعوية لآدم عليه السلام

لما كان النبي آدم دعوة في ذاته وفي خلافته على الأرض جعل الله له خصائص وأشار إليها في كتابه تنبيها لدورها الدعوي، ومن ذلك:

✧ أولاً: أن الله اصطفاه:

يتضح عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران٣٣].

(١) التفسير الوسيط للواحدي ١/ ٤٣٠.

(٢) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ٤/ ٢٨٦.

(٣) آدم من وحي القرآن ١/ ١٥٢.

(٤) تحفة الأحوذي ٧/ ١٠٥.

«يخبر تعالى باختيار من اختاره من أوليائه وأصفيائه وأحبابه، فأخبر أنه اصطفى آدم، أي: اختاره على سائر المخلوقات، فخلقه بيده ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة بالسجود له، وأسكنه جنته، وأعطاه من العلم والحلم والفضل ما فاق به سائر المخلوقات، ولهذا فضل بنيه واحتج عليهم بذلك، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠]»[١].

✧ ثانياً: أن الله خلقه من تراب:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٥٩].

(وإنما خلق الله آدم من تراب لأسباب منها: أن يكون متواضعا وليكون أشد التصاقا بالأرض، ولكونه مطفئا لنار الشهوة، والغضب، والحرص؛ فإن هذه النيران لا تطفأ إلا بالتراب»[٢].

وأن الله خلقه بيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص:٧٥]. وهذا تشريف وتكريم لآدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وذريته.

✧ ثالثاً: تعليم الله له:

قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ١٢٩.
(٢) ينظر كتابه آدم وحي من القرآن، د. عقيل حسين عقيل ١/ ٢٥.

ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة: ٣١ - ٣٣].

فعلّم الله آدم الأسماء كلها[١]، كما جاء في الآية، وكما ورد في حديث الشفاعة المعروف وفيه: قول النبي ﷺ: **(فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أما ترى الناس؟ خلقك الله بيديه، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، اشفع لنا عند ربك.....)**[٢].

«أَرَادَ سُبْحَانَهُ أن يظْهر لملائكته فَضله وشرفه فأظهر لَهُم أحسن مَا فِيهِ وَهُوَ علمه فَدلَّ على أَنَّ الْعلم أشرف مَا فِي الانسان وأَنَّ فَضله وشرفه إِنَّمَا هُوَ بِالْعلمِ»[٣].

«هذه الآية دالة على فضل العلم فإنه سبحانه ما أظهر كمال حكمته في خلقه آدم عليه السلام إلا بأن أظهر علمه فلو كان في الإمكان وجود شيء أشرف من العلم لكان من الواجب إظهار فضله بذلك الشيء»[٤].

«ففي الآية فضيلة العلم، وأن الملائكة لما تبين لهم فضل آدم بعلمه عرفوا بذلك كماله، وأنه يستحق الإجلال والتوقير»[٥].

---

(١) لا نعلم تفصيلات ذلك التعليم لأنه لم يرد في القرآن ولا في السنة ما يشير إلى تفاصيله، فليس فيها نصٌّ صحيح، وكل ما ورد فهو أقوال اجتهادية، قال القرطبي: (اختلف أهل التأويل في معنى الأسماء التي علمها لآدم عليه السلام، فقال ابن عباس وعِكْرِمَة وقتادة ومجاهد وابن جبير: علَّمه أسماء جميع الأشياء كلها جليلها وحقيرها، وقال ابن عباس: علَّمه أسماء كل شيء حتى الجَفْنة والمِحْلب، وقال الطبري: علَّمه أسماء الملائكة وذريته، واختار هذا ورجَّحه) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٢٨٢. ومنْ هذا نرى أن الأسماء ليْس في المراد منها نص صريح صحيح، والأقوال كلهُّا اجتهادات، ولا داعِيَ لإرهاق أنفسنا في معرفتها.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قول الله: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ (٤٢٠٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٩٣).

(٣) مفتاح دار السعادة ١/ ٥٣.

(٤) مفاتيح الغيب للرازي ٢/ ٣٩٩.

(٥) تيسير اللطيف المنان ص ١٨٨.

✧ رابعاً: إسجاد الله ملائكته لآدم:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

كانت سجود الملائكة لآدم عَلَيهِ السَّلَامُ(١) عبادة وطاعة لله، وقربة يتقربون بها إليه وهو لآدم تشريف وتكريم وتعظيم(٢).

«أراد الله أن يظهر التعظيم والاحترام لآدم من الملائكة ظاهرا وباطنا، فقال للملائكة: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ احتراما له وتوقيرا وتبجيلا، وعبادة منكم لربكم، وطاعة ومحبة وذلا»(٣).

إنه التكريم في أعلى صوره، حيث وهبه من العلم ما يرفعه على الملائكة، لقد وهبه الله المعرفة، كما وهبه الإرادة التي تختار الطريق.. وقدرته على تحكيم إرادته.

المطلب الثالث

الصفات الدعوية لآدم عَلَيهِ السَّلَامُ

➤ أولاً: المبادرة إلى التوبة لله عند الخطأ:

قال تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٣]، وهذا أدب مبارك من آداب الدعاء ألا وهو الثناء على الله بما هو

---

(١) السجود يكون على وجهين: **النوع الأول**: يكون تعظيماً وتقرباً إلى من سُجِدَ لهُ، وهذا سُجود عبادة ولا يكون إلاَّ لله وحده في جميع الشرائع، **النوع الثاني**: سُجود تحيَّة وتكريم وهذا هو السُّجود الذي أَمَرَ الله الملائكة به لآدم فسجدوا له تكريماً، وهو منهم عبادة لله سبحانه بطاعتهم له إذْ أمرهم بالسجود، وأمّا سجود أَبَوَيْ يُوسُف وإخوته له فكذلك هو من سجود التحية والتكريم، وقد كان جائزاً في شريعتهم، وأمّا في الشريعة التي جاء بها خاتم النبيين محمدٌ ﷺ فلا يجوز السجود فيها لغير الله مطلقاً.

(٢) انظر: جامع البيان ١/ ٣٠١، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ١/ ٨٣ - ٨٤، والوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ١/ ١١٩، ومعالم التنزيل للبغوي ١/ ٣٥.

(٣) تيسير اللطيف المنان ص١٧٤.

أهله، والاعتراف بالذنب والتقصير وما فيه من إظهار الخضوع والمسكنة والحاجة لله تعالى.

ثانياً: احترامه للقسم:

وهذا يتضح عندما أقسم الشيطان لهما فانقادا لباطله كما في قوله: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ «أي حلف لهما بالله على ذلك حتى خدعهما، وقد يخدع المؤمن بالله»(١)، «ولم يكن آدم يظن أن أحدا يقسم بالله كاذبا يمين غموس يتجرأ فيها على الله هذه الجرأة، فغره عدو الله بهذا التأكيد والمبالغة، فظن آدم صدقه»(٢).

ثالثاً: الحياء والخجل:

قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ﴾ [الأعراف: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف٢٢].

فلما عصى آدم وزوجته أَمْرَ الله تعالى «ظهرت عورة كل منهما بعد ما كانت مستورة، فصار للعري الباطن من التقوى في هذه الحال أثر في اللباس الظاهر، حتى انخلع؛ فظهرت عوراتهما، ولما ظهرت عوراتهما؛ خَجِلا وجَعَلا يخصفان على عوراتهما من أوراق شجر الجنة، ليستترا بذلك»(٣).

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٣٥٧.

(٢) الصواعق المرسلة ١/ ٣٧٥.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص ٢٨٥.

المطلب الرابع
أسس دعوة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ

إن أسس دعوة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ترتكز على ثلاثة أصول:

أولاً: التوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له:

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء٢٥]، وقال أيضا: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل٣٦].

فاتّضح من هذا؛ أنّ دعوة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ كانت على إقامة توحيد الله في نفسه وذريته والأرض جميعا، ولذلك جعله الله من خليفته الذين كانت مسؤوليتهم الرعاية بأصل خلقهم، كما قال: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات٥٦].

ثانياً: تنظيم أمور الحياة في الأرض:

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾ [البقرة: ٣٠].

قال القرطبي: «هذه الآية أصل في نصب إمام وخليفة يُسمع له ويُطاع؛ لتجتمع به الكلمة، وتنفذ به أحكام الخليفة، ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة ولا بين الأئمة»[(١)].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٣٩٥.

المطلب الخامس

الدروس المستفادة من دعوة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ

من خلال ذكر الله تعالى لقصة آدم في القرآن يمكن بيان بعض الفوائد الدعوية من خلال النقاط التالية:

١- شرّف الله جنس الانسان وفضّله على كل جنس آخر بسبب رسالته ودعوته.

٢- يجب على الإنسان أن يكون على ذِكرٍ من أنه خلق من التراب وإليه سيكون مرجعه، فليس له أن يتكبر أو يتجبر أو يدعي الأفضلية على أبناء جنسه.

٣- في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ «تعليم العباد المشاورة في أمورهم قبل أن يقدموا عليها، وعرضها على ثقاتهم ونصحائهم - وإن كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيّا عن المشاورة»[(١)].

٤- «لم يزل الله أولا ليس قبله شيء، ولم يزل فعالا لما يريد، ولا خلا وقت من الأوقات من أفعال وأقوال تصدر عن مشيئته وإرادته بحسب ما تقتضيه حكمة الله الذي هو حكيم في كل ما قدره وقضاه، كما هو حكيم في كل ما شرعه لعباده، فلما اقتضت الحكمة الشاملة والعلم المحيط من الله والرحمة السابقة خلق آدم أبي البشر الذين فضلهم الله على كثير ممن خلق تفضيلا، أعلم الملائكة وقال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يخلف من كان قبلهم من المخلوقات التي لا يعلمها إلا هو»[(٢)].

(١) محاسن التأويل ١/ ٢٨٤.

(٢) تيسير اللطيف المنان ص١٧٢.

٥- في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، «إذا كان من أسرار الله تعالى وحِكَمِه ما يخفى على الملائكة؛ فنحن أولى بأن يخفى علينا، فلا مطمع للإنسان في معرفة جميع أسرار الخليقة وحِكَمِها، لأنه لم يؤت من العلم إلا قليلاً»(١).

٦- قال الله تعالى للملائكة: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]. «فإنه محيط علمه بكل شيء، وبما يترتب على هذا المخلوق من المصالح والمنافع التي لا تعد ولا تحصى، فعرفهم تعالى بنفسه بكمال علمه، وأنه يجب الاعتراف لله بسعة العلم، والحكمة التي من جملتها أنه لا يخلق شيئا عبثا، ولا لغير حكمة»(٢).

٧- وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢]، «احتج أهل الإسلام بهذه الآية على أنه لا سبيل إلى معرفة المغيبات إلا بتعليم الله تعالى، وأنه لا يمكن التوصل إليها بعلم النجوم والكهانة والعرافة»(٣).

٨- «مَنْ مَنَّ الله عليه بالعلم فعليه أن يعترف بنعمة الله عليه، وأن يقول كما قالت الملائكة والرسل: ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾، وأن يتوقى التكلم بما لا يعلم، فإن العلم أعظم المنن، وشكر هذه النعمة الاعتراف لله بها، والثناء عليه بتعليمها، وتعليم الجهال، والوقوف على ما علمه العبد، والسكوت عما لم يعلمه»(٤).

٩- «أن الله جعل هذه القصة لنا معتبرا، وأن الحسد والكبر والحرص من

(١) محاسن التأويل ١/ ٢٨٦.
(٢) تيسير اللطيف المنان ص١٧٢.
(٣) مفاتيح الغيب ٢/ ٤٢٥.
(٤) تيسير اللطيف المنان ص١٨٠.

أخطر الأخلاق على العبد، فكبر إبليس وحسده لآدم صيره إلى ما ترى، وحرص آدم وزوجه حملهما على تناول الشجرة، ولولا تدارك رحمة الله لهما لأودت بهما إلى الهلاك، ولكن رحمة الله تكمل الناقص، وتجبر الكسير، وتنجي الهالك، وترفع الساقط»[١].

١٠- «لم يخضع إبليس الخبيث لربه، ولم يتب إليه، بل بارزه بالعداوة، وصمم التصميم التام على عداوة آدم وذريته، فقال: ﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الحجر: ٣٦] ولما كانت حكمة الله اقتضت أن يكون الآدمي مركبا من طبائع متباينة، وأخلاق طيبة أو خبيثة، وكان لا بد من تمييز هذه الأخلاق وتصفيتها بتقدير أسبابها من الابتلاء والامتحان الذي من أعظمه تمكين هذا العدو من دعوتهم إلى كل شر، أجابه: ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥]»[٢].

١١- «العلم التام يستدعي الكمال التام، وكمال الأخلاق، فأراد الله أن يري الملائكة كمال هذا المخلوق، فقال: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ [البقرة: ٣٣]»[٣].

١٢- وقوله: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، «في المثل: الرفيق قبل الطريق، وأيضاً: هي مسكن القلب، والجنة مسكن البدن ومن الحكمة تقديم الأول على الثاني»[٤].

(١) تيسير اللطيف المنان ص١٨٠.
(٢) تيسير اللطيف المنان ص١٧٤.
(٣) تيسير اللطيف المنان ص١٧٣.
(٤) روح المعاني ١/ ٢٣٤.

١٣- وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥]، «فيه أن النهي عن القرب يقتضي النهي عن الأكل بطريق الأولى، وإنما نهى عن القرب؛ سدّا للذريعة، فهذا أصل في سدّ الذرائع»[١].

«فعلق النهي بالقربان منها، مبالغة في تحريم الأكل، ووجوب الاجتناب عنه، لأن القرب من الشيء مقتضى الألفة. والألفة داعية للمحبة. ومحبة الشيء تعمي وتصمّ. فلا يرى قبيحا، ولا يسمع نهيا، فيقع. والسبب الداعي إلى الشرّ منهيّ عنه. كما أن السبب الموصل إلى الخير مأمور به»[٢].

١٤- أن الداعي هو نفسه مبدأ لانطلاق دعوته، فجدير به أن يزكيها، ويمرنها بمعالي سير الصالحين، ولا يترك للشيطان فرصة ومجالا في نفسه، ولا يأمن الداعي مكر الله، أو يغتر بنفسه فيعظمها بما لا تستحقه، قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١١٧].

١٥- «ما أخبرنا بما قاله الشيطان من توعدنا وعزمه الأكيد على إغوائنا بكل طريق إلا لنستعد لهذا العدو الذي تظاهر بهذه العداوة البليغة المتأصلة، والله يحب منا أن نقاومه بكل ما نقدر عليه من تجنب طرقه وخطواته، وفعل الأسباب التي يخشى منها الوقوع في شباكه، ومن عمل الحصون من الأوراد الصحيحة، والأذكار القلبية، والتعوذات المتنوعة، ومن السلاح المهلك له من صدق الإيمان، وقوة التوكل على الله، ومراغمته في أعمال الخير، ومقاومة وساوسه والأفكار الرديئة التي يدفع بها إلى القلب كل وقت بما يضادها، ويبطلها من العلوم النافعة والحقائق الصادقة»[٣].

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١/ ٦٢.

(٢) محاسن التأويل ١/ ٢٩٢.

(٣) تيسير اللطيف المنان ص١٨٠.

١٦- شجرة واحدة ترمز للمحظور الذي لا بد منه في حياة الأرض. فبغير محظور لا تقوى الأرادة، ولا يتميز الإنسان المريد من الحيوان المسوق، ولا يمتحن صبر الإنسان على الوفاء بالعهد والتقيد بالشرط.

١٧- وفي قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٧ - ٣٨]، دليل على أن الله «سبقت رحمته غضبه؛ فيرحم عبده في عين غضبه، كما جعل هبوط آدم سبب ارتفاعه، وبعده سبب قربه، فسبحانه من تواب ما أكرمه، ومن رحيم ما أعظمه»(١).

١٨- أهمية الاعتذار المباشر عند وقوع الخطأ وهو الاستغفار. «ينبغي للعبد إذا وقع في ذنب أن يبادر إلى التوبة والاعتراف، ويقول ما قاله الأبوان من قلب خالص، وإنابة صادقة؛ فما قص الله علينا صفة توبتهما إلا لنقتدي بهما، فنفوز بالسعادة، وننجو من الهلكة»(٢).

١٩- اهتمامه بأسرته بدعوته زوجته للاستغفار والتوبة معه بسبب ما صدر منهما من ارتكاب المنهي عنه، فعبر الله عنهما بقوله: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف٢٣].

٢٠- أدب مبارك من آداب الدعاء ألا وهو الثناء على الله بما هو أهله، كما يظهر في الآية السابقة، مع شدة الافتقار إليه والالتجاء كما في قوله: ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

(١) روح المعاني ١/ ٢٣٨.
(٢) تيسير اللطيف المنان ص١٨٠.

٢١- الناظر في قصة أبينا آدم عليه السلام سيرى لها أثراً عظيماً، لأن رسالته امتدت إلى يومنا هذا، فكل أمة يرسل لها من يجدد لها دينها الأصيل كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾ [فاطر ٢٤].

٢٢- الانقياد والتسليم المباشر لله تعالى هو سبيل البعد عن طريق الشيطان، فالشيطان أقسم بأنه ليغوينّ ذرية آدم أجمعين، فاستدرك الله عليه بأن عباده المخلصين لن يمكنه منهم، قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢-٨٣]، فقوة الإيمان تتغلب على كيد الشيطان، وإن عباد الرحمن ليس لإبليس عليهم سلطان، قال تعالى مخاطباً إبليس ومبشراً عباده المؤمنين: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢].

٢٣- «خواص الذرية من الأنبياء، وأتباعهم من الصديقين والأصفياء، وطبقات الأولياء والمؤمنين؛ فإن الله تعالى لم يجعل لهذا العدو عليهم تسلطا، بل أقام عليهم سورا منيعا، وهو حمايته وكفايته، وزودهم بسلاح لا يمكن لعدوهم مقاومتهم بكمال الإيمان بالله، وقوة توكُّلهم عليه: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٩٩]»[١].

٢٤- العداوة بين إبليس وذريته، وبين آدم وذريته عداوة قديمة ومستحكمة ومستمرة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال تعالى: ﴿وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞ﴾ [البقرة: ٣٦] وهذا دليل على أهمية اليقظة، وتوجيه دائم بأن الإنسان في ميدان معركة مع الشهوات والشبهات، وأنه هو صاحب الغنيمة أو السلب في هذا الميدان.

(١) تيسير اللطيف المنان ص١٧٥.

٢٥- آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أخطأ في أكله من الشجرة التي نهاه الله عن الاقتراب منها، ولكن هذا الخطأ لم يكن مقصوداً، بل كان عن ضعف ونسيان، كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥].

٢٦- أن المتقلب في نعمة يجب أن يحافظ عليها، ويشكر الله ويدعوه بدوامها، ولا يعمل عملاً فيه مخالفة لأمر الله؛ لأن كفران النعم مُذهب لها، وقد قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

المبحث الثاني

دعوة هود عليه الصلاة السلام

المطلب الأول التعريف بهود عليه السلام وقومه.

المطلب الثاني الصفات الدعوية لهود عليه السلام.

المطلب الثالث أسس دعوة هود عليه السلام.

المطلب الرابع وسائل وأساليب من دعوة هود عليه السلام.

المطلب الخامس موقف قوم هود من دعوته.

المطلب السادس نتيجة دعوة هود عليه السلام.

المطلب السابع الدروس المستفادة من دعوة هود عليه السلام.

المطلب الأول
التعريف بهود عليه السلام وقومه

هو: هود بن عبد الله بن رباح بن الخُلُود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام(١).

من رسل الله العرب، أرسله الله إلى قبيلة عاد؛ نسبةً إلى جدهم عاد بن عوص بن سام بن نوح(٢)، وكانوا عربا يسكنون الأحقاف؛ وهي جبال الرمل فيما بين عمان إلى حضرموت بأرض مطلة على البحر يقال لها الشِّحر(٣).

وهم أول الأمم الذين عبدوا الأصنام بعد الطوفان، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٦٩].

وبعد ذكر قصة نوح عليه السلام قال تعالى في سورة المؤمنون: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ [المؤمنون: ٣١] وهم قوم هود عليه السلام على الصحيح(٤).

وكانت عندهم حضارة معمارية عظيمة قال الله عنها: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ [الفجر: ٦ - ٨].

(١) تاريخ الرسل والملوك ١/ ٢١٦، البداية والنهاية ١/ ١٢٠، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي ١/ ٢٥٢.
(٢) البداية والنهاية ١/ ١٢٠.
(٣) معجم البلدان، ياقوت الحموي ١/ ١١٥، وأطلس تاريخ الأنبياء والرسل، سامي الملغوث ص٩٤.
(٤) البداية والنهاية، لابن كثير ١/ ١٢٣.

ذُكرت هذه القصة في سور متعددة تارة بالتفصيل: كما في سور: الأعراف، هود، المؤمنون، الشعراء، الأحقاف، وتارة بالإجمال: كما في سور: فصلت، الذاريات، القمر، الحاقة، الفجر، وقد سميت سورة كاملة بسورة هود، تضمنت قصص عدد من الرسل عليهم السلام، وكان من بينها قصة هود عليه السلام مع قومه.

المطلب الثاني

الصفات الدعوية لهود عليه السلام

من صفات هود عليه السلام الدعوية؛ والتي استفيدت من الآيات التي ذكرت قصته عليه السلام وما دار بينه وبين قومه ما يلي:

أولاً: الإخلاص لله عز وجل وعدم سؤال الأجر في دعوته لقومه:

قال تعالى وهو يحكي مقولته عليه السلام لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [هود: ٥١].

أي: «﴿لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ﴾ على ما أدعوكم إليه من إخلاص العبادة لله وخلع الأوثان والبراءة منها، جزاء وثوابا؛ إنْ ثوابي وجزائي إلا على الذي خلقني، ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ أني لو كنت ابتغي بدعايتكم إلى الله غيرَ النصيحة لكم، وطلبَ الحظ لكم في الدنيا والآخرة؛ لالتمست منكم على ذلك بعضَ أعراض الدنيا، وطلبت منكم الأجر والثواب؟»[1].

وقال في موضع آخر: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٧].

(١) جامع البيان ١٥/ ٣٥٧.

ثانياً: النصح والأمانة:

قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٧ - ٦٨] وهذه هي الصفات التي يتصف بها رسل الله ﷺ، النصح والبلاغ والأمانة[(١)]، وهي سر نجاح دعوة أتباعهم من بعدهم.

والمعنى (أي: لم يزل النصح من صفتي، وليس هو شيءٌ تكسبته بل غريزة فيّ، وقد بلوتموني فيه قبل الرسالة»[(٢)].

ولذا «فإني أمين على وحي الله، وعلى ما ائتمنني الله عليه من الرسالة، لا أكذب فيه ولا أزيد ولا أبدِّل، بل أبلغ ما أمرت كما أمرت»[(٣)].

وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٢٣ - ١٢٥].

ثالثاً: التوكل على الله:

قال تعالى وهو ذكر مقولته عليه السلام لقومه: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٤ - ٥٦].

أي: «﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ الذي هو مالكي ومالككم، والقيِّم على جميع خلقه، توكلت من أن تصيبوني، أنتم وغيركم من الخلق بسوء، فإنه ليس من شيء يدب على

---

(١) تفسير القرآن العظيم ابن كثير ٣/ ٤٣٤.

(٢) نظم الدرر ٣/ ٥٢.

(٣) جامع البيان ١٢/ ٥٠٤.

الأرض، إلا والله مالكه، وهو في قبضته وسلطانه. ذليلٌ له خاضعٌ»(١)، فقوة التوكل على الله سبحانه تغرس الشجاعة في نفس المؤمن.

رابعاً: الحلم:

فقد كان حليما **على قومه رغم أذيتهم له وسخريتهم به** فحينما رموه بالسفاهة والكذب، كما قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ فما رد عليهم ولا سفههم بل اكتفى بقوله: ﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٦ - ٦٨].

«في إجابة الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ من نسبهم إلى الضلال والسفاهة؛ بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والإغضاء، وترك المقابلة بما قالوا لهم، مع علمهم بأن خصومهم أضل الناس وأسفههم - أدب حسن، وخلق عظيم. وحكاية الله عَزَّوَجَلَّ ذلك، تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء، وكيف يغضون عنهم ويسبلون أذيالهم، على ما يكون منهم»(٢).

خامساً: الشفقة على المدعويين:

فقد كان النصح للمدعوين، والشفقة عليهم، والترفق بهم من مظاهر ذلك الاتقان قال تعالى وهو يحكي مقولته عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٣٥] وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٢١].

---

(١) جامع البيان ١٥/ ٣٦٣.

(٢) الكشاف للزمخشري ٢/ ١١٦.

وقد تكرر تقديم دعوته لهم بـ ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ ليشعرهم بأنه منهم، قريب لهم، يهمه ما أهمهم، ويرجو الخير والنصح لهم.

المطلب الثالث

أسس دعوة هود عَلَيْهِ السَّلَامُ

قامت دعوة هود عَلَيْهِ السَّلَامُ على أربعة أسس وهي ظاهرة جلية في كل الآيات التي ذكرت هودا عَلَيْهِ السَّلَامُ ودعوته:

◆ أولاً: الدعوة إلى توحيد الألوهية وتحقيق العبودية لله عَزَّ وَجَلَّ:

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ٦٥]. وفي سورة هود قال: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ﴾ [هود: ٥٠].

فأمرهم عَلَيْهِ السَّلَامُ بعبادة الله وحده، ونهاهم عما هم عليه؛ من عبادة غير الله، وأخبرهم أنهم قد افتروا على الله الكذب في عبادتهم لغيره(١).

وفي سياق تقرير توحيد العبادة لله وحده؛ استدل لهم بربوبية الله تعالى على توحيد ألوهيته فقال لهم: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ ١٣٢ أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ ١٣٣ وَجَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ [الشعراء: ١٢٨ - ١٣٤] «فتذكُرُ الإحسان موجبٌ للإذعان، والإمداد: هو إتباع الشيء بما يقويه على الانتظام، وقوله: ﴿بِمَا تَعۡلَمُونَ﴾ أي ليس فيه نوع خفاء حتى تعذروا في الغفلة عن تقييده بالشكر»(٢).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٣٨٣.

(٢) نظم الدرر ٥/ ٣٧٨.

أي: «أمدكم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بما لا يجهل ولا ينكر من الخيرات؛ ثم فسرها بقوله: ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَـٰمٍ وَبَنِينَ وَجَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ أي: سخر ذلك لكم، وتفضل به عليكم، فهو الذي يجب أن يعبد، ويشكر ولا يكفر»(١).

◆ **ثانياً: الدعوة إلى الإيمان بالنبوة:**

قال تعالى: ﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٧ - ٦٨].

ثم بين لهم أنه لا داعي لعجبهم من إرسال الله لهم بشرا يدعوهم إليه وينذرهم برسالته، قال تعالى عنه: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٦٩]. أي: كيف تعجبون من أمر لا يتعجب منه؛ وهو أن اللّه أرسل إليكم رجلا منكم تعرفون أمره، يذكركم بما فيه مصالحكم، ويحثكم على ما فيه النفع لكم، فتعجبتم من ذلك تعجب المنكرين!!.(٢).

وقال تعالى مبينا دعوته عَلَيْهِ السَّلَامُ قومه للإيمان برسالته؛ ولكنهم كذبوه فحق عليهم أنهم كذبوا المرسلين قاطبة: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٣ - ١٢٧].

◆ **ثالثاً: الدعوة إلى الإيمان بالمعاد:**

قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٢١].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٣/ ١٢٥، تفسير السعدي ص ٥٩٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٢٩٤.

أي: إني أخاف عليكم أيها القوم بعبادتكم غيرَ الله؛ عذابَ الله في يومٍ عظيمٍ؛ وذلك يومٌ يعظُمُ هَوْلُه، وهو يوم القيامة(١).

وقال تعالى مبينا تكذيب قوم هود عليه السلام باليوم الآخر: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلْقَارِعَةِ﴾ [الحاقة: ٤] والقارعة اسم من أسماء القيامة، وسميت بذلك لأنها تقرع الخلق بأهوالها(٢).

◆ رابعاً: علاج مشكلة الكبر والترف:

فقد أنعم الله تعالى على عاد بالقوة فقاموا بصناعة حضارة قال الله عنها: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَـٰدِ﴾ [الفجر: ٦ – ٨].

وقد تكبروا بقوتهم في صناعة هذه الحضارة حتى قال الله عنهم: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت: ١٥].

إن الحق أن يخضع العباد لله، وألا يستكبروا في الأرض، وهم من هم بالقياس إلى عظمة خلق الله. فكل استكبار في الأرض فهو بغير الحق، إنه شعور كاذب يحسه المتكبرون. وينسون: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾

وقد حذرهم هود من الترف والتكبر على الناس به بقوله: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ۝١٢٨ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ۝١٢٩ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ۝١٣٠ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء: ١٢٨ – ١٣١].

---

(١) جامع البيان ٢٢/ ١٢٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٨٨٢.

فقد «رأى من قومه تمحّضاً للشغل بأمور دنياهم، وإعراضاً عن الفكر في الآخرة والعمل لها والنظرِ في العاقبة، وإشراكاً مع الله في إلهيته، وانصرافاً عن عبادة الله وحده الذي خلقهم وأَعْمَرهم في الأرض وزادهم قوة على الأمم، فانصرفت همّاتهم إلى التعاظم والتفاخر واللهو واللعب»[(١)].

فبنوا «منازل وقصورا أي راجين الخلود في الدنيا إشارة إلى أن عملهم ذلك، لقصر نظرهم على الدنيا والإعجاب بالآثار، والتباهي بالمشيدات والغفلة عن أعمال المجدّين البصيرين بالعواقب، الصالحين المصلحين.

فبناؤها لا للحاجة إليها، بل لمجرد اللعب واللهو وإظهار القوة. ولهذا أنكر عليهم ذلك. لأنه تضييع للزمان وإتعاب للأبدان في غير فائدة. واشتغال بما هم في غنى عنه. وبما في الشغف به انصراف عن الجد في العمل، وصرف للأموال في غير ما خلقت له، من النظر للنفس والأهل والدين»[(٢)].

«والعاقل ينبغي له أن يصون أوقاته النفيسة عن العبث الذي لا يكون سبب نجاته، وكيف يليق ذلك بمن الموت من ورائه»[(٣)].

فهو توجيه إلى أن ينفق الجهد، وتنفق البراعة، وينفق المال فيما هو ضروري ونافع، لا في الترف والزينة ومجرد إظهار البراعة والمهارة، «فكل بناء شامخ لا يكون لغاية شريفة محمودة؛ فهو عبث ولهو باطل»[(٤)].

(١) التحرير والتنوير ١٩/ ١٦٥.
(٢) محاسن التأويل ٧/ ٤٦٧ بتصرف يسير.
(٣) نظم الدرر للبقاعي ٥/ ٣٧٨.
(٤) تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ص ٣٣٩.

«ومقام الموعظة أوسع من مقام تغيير المنكر، فموعظة هود عليه السلام متوجهة إلى ما في نفوسهم من الأدواء الروحية، وليس في موعظته أمر بتغيير ما بنَوه من العلامات ولا ما اتخذوه من المصانع»(١).

المطلب الرابع

وسائل وأساليب من دعوة هود عليه السلام

من الوسائل والأساليب المستفادة من دعوة هود عليه السلام ما يلي:

أولاً: الموعظة الحسنة:

ومن الآيات الجامعة لمواعظ هود عليه السلام لقومه؛ قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ١٢٣ - ١٤٠].

وانظر إلى تكرار أمرهم بالتقوى والطاعة ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ أي: أدوا حق الله تعالى؛ وهو التقوى، وأدوا حقي؛ وذلك بطاعتي فيما آمركم به وأنهاكم عنه(٢).

(١) التحرير والتنوير ١٩/ ١٦٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٥٩٥.

ثانياً: الترغيب والترهيب:

قال تعالى وهو يحكي مقولة هود عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢].

فرغبهم في الاستغفار الذي فيه تكفير الذنوب السالفة، ورغبهم أيضا في التوبة عما يستقبلون، ومن اتصف بهذه الصفة يسر الله عليه رزقه، وسهل عليه أمره، وحفظ عليه شأنه وقوته، ولهذا وعدهم بأنهم إن آمنوا بالله وتابوا من كفرهم به، أرسل قطر السماء عليهم يدر لهم الغيث في وقت حاجتهم إليه، وتحيا بلادهم من الجدب والقحط.

ورهَّبهم من أن يدبروا عما يدعوهم إليه من توحيد الله، والبراءة من الأوثان والأصنام فيصيروا كافرين بالله مجرمين(١).

ورهبهم عَلَيْهِ السَّلَامُ من يوم القيامة وشدائده؛ قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ [الأحقاف: ٢١].

ثالثاً: الجدال والمقابلة بالحجة والبرهان:

أخبر تعالى عن هود عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال لقومه: ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ﴾ [الأعراف: ٧١]. ولم يبين الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ هنا هذا الجدال الواقع بين هود عَلَيْهِ السَّلَامُ

(١) جامع البيان ١٥/ ٣٥٨؛ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٣٢٩.

وبين قومه عاد؛ ولكنه أشار إليه في سورة هود حيث قال: ﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٣ – ٥٦].

قال ابن كثير: «وقد تضمن هذا المقام حجة بالغة ودلالة قاطعة على صدق ما جاءهم به، وبطلان ما هم عليه من عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، بل هي جماد لا تسمع ولا تبصر، ولا توالي ولا تعادي، وإنما يستحق إخلاص العبادة اللهُ وحده لا شريك له، الذي بيده الملك، وله التصرف، وما من شيء إلا تحت ملكه وقهره وسلطانه، فلا إله إلا هو، ولا رب سواه»[(١)].

رابعاً: اللين والاستعطاف:

ومن الآيات التي تبين لينه واستعطافه عليه السلام في دعوة قومه؛ قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ «بصيغة العرض تأدباً معهم وتلطفاً بهم ولينا لهم»[(٢)]، فبدأ دعوته بالعرض وليس الأمر.

وكذلك قوله تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٦-٦٨].

خامساً: أسلوب التذكير بنعم الله:

قال تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٣٣٠.
(٢) نظم الدرر للبقاعي ٥/ ٣٧٥.

تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

[الشعراء: ١٢٨ - ١٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٦٩].

فذكرهم عَلَيْهِ السَّلَامُ بما حباهم الله من النعم؛ وذلك أنهم كانوا في غاية من قوة التركيب، والبطش الشديد، والطول المديد، والأرزاق الدارة، والأموال والجنات والعيون، والأبناء والزروع والثمار[١].

سابعاً: المعجزة والتحدي:

«ومن آيات هود الخاصة أنه متفرد وحده في دعوته وتسفيه أحلامهم وتضليلهم والقدح في آلهتهم، وهم أهل البطش والقوة والجبروت، وقد خوَّفوه بآلهتهم إن لم ينته أن تمسه بجنون أو سوء فتحدَّاهم علنا، وقال لهم جهارا: ﴿إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٤ - ٥٦] فلم يصلوا إليه بسوء.

فأي آية أعظم من هذا التحدي لهؤلاء الحريصين على إبطال دعوته بكل طريق؟»[٢].

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/ ١٥٢.

(٢) تيسير اللطيف المنان ص ١٩١.

المطلب الخامس

موقف قوم هود من دعوته

كان منهم فريقان:

الفريق الأول: فريق آمنوا به وصدقوه، وهم قليل، أشار الله إليهم بقوله: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ [الأعراف: ٧٢]، وقوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [هود: ٥٨].

الفريق الثاني: فريق لم يؤمن بل عارضوا دعوته بكل السبل ومن ذلك:

☜ أولاً: استكبروا بقوتهم:

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]. «اغتروا بأجسامهم حين تهددهم بالعذاب، وقالوا: نحن نقدر على دفع العذاب عن أنفسنا بفضل قوتنا؛ وذلك أنهم كانوا ذوي أجسام طوال وخلق عظيم»[١].

إن الحق أن يخضع العباد لله، وألا يستكبروا في الأرض، وهم من هم بالقياس إلى عظمة خلق الله. فكل استكبار في الأرض فهو بغير الحق، وهو الشعور الكاذب الذي يحسه الطغاة، الشعور بأنه لم تعد هناك قوة تقف إلى قوتهم، وينسون: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥].

☜ ثانياً: اتهموه بالكذب والسفه:

وقال تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [الأعراف: ٦٦] وهذه هي سنة المكذبين الاتهامات الباطلة عندما لا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٤٠١.

يستطيعون مواجهة الحق البين الناصع، فيلجؤون للسب والتجريح.

☜ ثالثاً: استنكروا دعوته للتوحيد وطلبوا العذاب:

وقال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الأعراف: ٧٠]. وقال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٢].

واحتجاج المشركين على صحَّة باطلهم بفعل آبائهم وأجدادهم يكاد يكون سنّةً مطّردةً في أهل الباطل، وهو من التقليد المذموم.

«جعلوا الأمر الذي هو أوجب الواجبات وأكمل الأمور، من الأمور التي لا يعارضون بها ما وجدوا عليه آباءهم، فقدموا ما عليه الآباء الضالون من الشرك وعبادة الأصنام على ما دعت إليه الرسل من توحيد الله وحده لا شريك له، وكذبوا نبيهم»[(١)].

إنه مشهد بائس لاستعباد الواقع المألوف للقلوب والعقول. هذا الاستعباد الذي يسلب الإنسان خصائصه الأصيلة من: حرية التدبر والنظر، وحرية التفكير والاعتقاد. ويدعه عبداً للعادة والتقليد، وعبداً للعرف والمألوف، وعبداً لما تفرضه عليه أهواؤه وأهواء العبيد من أمثاله، ويغلق عليه كل باب للمعرفة وكل نافذة للنور.

☜ رابعاً: استنكار بشرية الرسل:

وقال تعالى عنهم كذلك: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُواْ لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ فَإِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [فصلت: ١٣ - ١٤].

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٢٩٤.

«أي: فقالوا لرسلهم لو شاء ربنا أن نوحده، ولا نعبد من دونه شيئا غيره، لأنزل إلينا ملائكة من السماء رسلا بما تدعوننا أنتم إليه، ولم يرسلكم وأنتم بشر مثلنا، ولكنه رضي عبادتنا ما نعبد، فلذلك لم يرسل إلينا بالنهي عن ذلك ملائكة»(١).

«وهذه الشبهة لم تزل متوارثة بين المكذبين من الأمم، وهي من أوهى الشبه؛ فإنه ليس من شرط الإرسال أن يكون المرسل مَلَكاً، وإنما شرط الرسالة أن يأتي الرسول بما يدل على صدقه، فليَقْدَحوا إن استطاعوا بصدقه بقادح عقلي أو شرعي، ولن يستطيعوا إلى ذلك سبيلاً»(٢).

خامساً: عدم الإيمان بالآيات وعصيان الرسل:

ولما جائهم ببينة وقال تعالى: ﴿قَالُواْ يَـٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [هود: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَتِلۡكَ عَادٞۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ﴾ [هود: ٥٩]. وقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ﴾ [هود: ٦٠]. «ومن عصى رسولاً واحداً لزمه عصيان جميعهم؛ فإنهم متفقون على الإيمان بالله، وعلى توحيده»(٣).

سادساً: رفض الموعظة حتى ولو كانت حقاً:

وقال تعالى: ﴿قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ١٣٦ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣٧ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ١٣٨ فَكَذَّبُوهُ فَأَهۡلَكۡنَٰهُمۡ﴾ [الشعراء: ١٣٦ - ١٣٩].

فقد «كانت عاد قد بلغوا مبلغا عظيما من البأس وعظم السلطان والتغلب على

---

(١) جامع البيان ٢١/ ٤٤٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص٧٤٦.

(٣) التسهيل لابن جزي ١/ ٤٠٠.

البلاد فطال عليهم الأمد، وتفننوا في إرضاء الهوى، وأقبلوا على الملذات واشتد الغرور بأنفسهم فأضاعوا الجانب الأهم للإنسان وهو جانب الدين وزكاء النفس... واستخفوا بجانب الله تعالى، واستحمقوا الناصحين»[١].

المطلب السادس
نتيجة دعوة هود عليه السلام

لما أمر هود عليه السلام قومه بعبادة الله عز وجل، ورغبهم في طاعته واستغفاره، ووعدهم على ذلك خيرَ الدنيا والآخرة، وتَوَعَّدهم على مخالفة ذلك عقوبة الدنيا والآخرة؛ كان منهم فريقان؛ فريق آمنوا به وصدقوه فأنجاهم الله من عذاب الدنيا والآخرة[٢].

وأما الفريق الآخر فكذبوه وتمردوا على دعوته، وسخروا منه وآذوه، وتجبروا على عباد الله ﴿وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ﴾ [فصلت: ١٥]؛ فهؤلاء أخذهم العذاب في الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهو لا ينصرون.

وقال تعالى: ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَقَطَعۡنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٧٢].

وقال تعالى أيضا: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ٥٨ وَتِلۡكَ عَادٞۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ٥٩ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ﴾ [هود: ٥٨ - ٦٠].

---

(١) التحرير والتنوير ١٩/ ١٦٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩/ ٥٤.

أي: فأنجى الله هودا ومن آمن معه برحمة منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فإنه هو الذي هداهم للإيمان، وجعل إيمانهم سببا ينالون به رحمته، واستأصل الذين كذبوه بالعذاب الشديد حتى لم يبق منهم أحدا؛ وذلك لجحودهم وعنادهم وتكذيبهم بآيات ربهم وعصيانهم لرسله، فإن من عصى رسولا فقد عصى جميع المرسلين، لأن دعوتهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ واحدة(١).

وقد بين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ صفة إهلاكهم في أماكن أخر من القرآن الكريم؛ وأنه الإهلاك المستأصل بالريح العقيم التي أهلكهم الله بها فقطع دابرهم كقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ [فُصِّلَت: ١٦]، وقال: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٤ - ٢٥].

وقال تعالى أيضا: ﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾ [الذاريات: ٤١ - ٤٢]. وقال: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر: ١٩ - ٢٠]

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦ - ٨].

«فبعدما كانت الدنيا لهم ضاحكة، والعز بليغ، ومطالب الحياة متوفرة، وقد خضع لهم من حولهم من الأقطار والقبائل، إذ أرسل الله إليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات؛ لنذيقهم عذاب الخزي في الدنيا، ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون.. ونجى

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٢٩٤ و ص ٣٨٤.

الله هودا ومن معه من المؤمنين، إن في ذلك لآية على كمال قدرة الله وإكرامه الرسل وأتباعهم، ونصرهم في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، وآية على إبطال الشرك، وأن عواقبه شر العواقب وأشنعها، وآية على البعث والنشور»[(١)].

المطلب السابع

الدروس المستفادة من دعوة هود عَلَيْهِ السَّلَامُ

أولاً: النجاة في الإيمان وليس بالقوة المادية فقط:

العقول والأذهان والذكاء وما يتبع ذلك من القوة المادية، وما ترتب عليها من النتائج والآثار وإن عظمت وبلغت مبلغا هائلا؛ فإنها لا تنفع صاحبها إلا إذا قارنها الإيمان بالله ورسله، وأما الجاحد لآيات الله، المكذِّبُ لرسل الله، فإنه وإن استُدرج في الحياة وأُمهل فإن عاقبته وخيمة، وسمعه وبصره وعقله وقوته لا تغني عنه شيئا إذا جاء أمر الله، كما قال الله جَلَّ جَلَالُهُ عن عاد: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٦][(٢)].

«وهذه الآية وأمثالها تدل على أن السمع والأبصار والأفئدة لا تنفع صاحبها مع جحده بآيات الله، فتبين أن العقل الذي هو مناط التكليف لا يحصل بمجرده الإيمان النافع والمعرفة المنجية من عذاب الله، وهذا العقل شرط في العلم، والتكليف لا موجب له»[(٣)].

(١) تيسير اللطيف المنان ص١٩٢.
(٢) تيسير اللطيف المنان ص١٩٤.
(٣) درء التعارض ٩/ ٢٠.

فالعبرة ألا يغتر ذو قوة بقوته، ولا ذو مال بماله، ولا ذو علم بعلمه، فهذه قوة من قوى الكون تسلط على أصحاب القوة والمال والعلم والمتاع، فتدمر كل شيء بأمر الله حين يأخذهم الله بسنته التي يأخذ بها المجرمين.

فكم من أمة بعد عاد ظلت تفكر على هذا النحو، وتغتر هذا الغرور، وتبعد عن الله كلما تقدمت في الحضارة وتحسب أن الإنسان قد أصبح في غنية عن الله! وهي تنتج من أسباب الدمار لغيرها، والوقاية لنفسها، ما تحسبه واقيا لها من أعدائها.. ثم تصبح وتمسي فإذا العذاب يصب عليها من فوقها ومن تحتها.

ثانيا: وجوب البراءة من الشرك والوضوح التام في ذلك:

على الداعي أن يكون صريحا في ولائه وبرائه، بلا خوف أو مداهنة؛ كما قال هود عليه السلام لقومه: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [هود: ٥٤ - ٥٦].

فهو يشهد الله ربه على براءته من قومه الضالين وانعزاله عنهم وانفصاله منهم. ويشهدهم هم أنفسهم على هذه البراءة منهم في وجوههم كي لا تبقى في أنفسهم شبهة من نفوره وخوفه أن يكون منهم! وذلك كله مع عزة الإيمان واستعلائه. ومع ثقة الإيمان واطمئنانه!

ثالثاً: الربط بين النعمة والمنعم بها:

بَيَّن هود عليه السلام لقومه تلك الرابطة اللازمة بين القيم الإيمانية والسنن الكونية، وهي ذلك الأثر المترتب على الإيمان بالله وطاعته واستغفاره، وترك معاصيه والتوبة إليه؛

في الرخاء المادي، والوفر الاقتصادي، والتمكين الحضاري، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢][1].

رابعا: البعد عن النفعية في الدعوة إلى الله:

جميع رسل الله ومنهم هود عليه السلام قالوا لأقوامهم: ﴿يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [هود: ٥١].

فعلى الداعي ألا يطلب من الناس ما يظنوه أنه بدل لدعوته؛ بل عليه أن يفهمهم أن دعوته لله؛ ويرجو منها ثواب الله والدار الآخرة، والناس إن رأوا منه زهده فيما بأيديهم أقبلوا عليه وسمعوا كلامه، ولذلك قال هود عليه السلام لقومه في آخر الآية: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ أي: أفلا تعقلون أني لو كنت ابتغي بدعايتكم إلى الله غير النصيحة لكم، وطلبَ الحظ لكم في الدنيا والآخرة، لالتمست منكم على ذلك بعضَ أعراض الدنيا، وطلبت منكم الأجر والثواب!![2].

خامساً: الحلم والصبر على الجاهلين:

على الداعي أن يعوِّد نفسه على الصبر والحلم، وألا يستفزه جهل الجاهلين، فإن ذلك أليق بمقامه، وأدعى لتأليف قلوب المدعوين، وانظر إلى سيدنا هود عليه السلام وقد وصفه قومه بالسفاهة والكذب، فما سفّههم ولا رد التهمة عليهم؛ مع أنهم الأجدر

(١) القصص القرآني د. صلاح الخالدي ١/ ٢٤١.

(٢) جامع البيان١٥/ ٣٥٧، وانظر: المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، د. عبد الكريم زيدان ١/ ١٧٩.

بها؛ بل اكتفى بقوله: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٧ - ٦٨][1].

✍ سادساً: تسلية المؤمنين بأن سنة الله هي: أنَّ العاقبة للمتقين والهلاك للجاحدين:

تلك سنة الله في خلقه، فبعد أن يقيم الحجة ويقطع الإعذار يحل أمره بمن خالف شرعه، وينجي رسله وأولياءه والمؤمنين، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ [هود: ٥٨ - ٦٠] وهذا سلوان للدعاة بأن العاقبة لهم وأنه ما عليهم إلا البلاغ ولا يضرهم جحود الكافرين وصدود المجرمين.

✍ سابعاً: الحكمة في التذكير والوعظ:

الله ﷻ بحكمته يقص علينا نبأ الأمم المجاورين لنا في جزيرة العرب وما حولها، ولا ريب أن الأقطار النائية عنا في مشارق الأرض ومغاربها قد بعث الله إليهم رسلا؛ ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

ولكن لما كان نفعُنا بتذكيرنا بما حولنا، وبما نتناقله جيلا بعد جيل، وبمن نشاهد آثارهم ونمر بديارهم ونفهم لغاتهم، وطبائعهم أقرب إلى طبائعنا؛ اكتفى به القرآن؛ إذ هو أولى من تذكيرنا بأمم لم نسمع لهم بذكر ولا خبر، ولا نعرف لغاتهم، فيؤخذ من هذا أن تذكير الناس بما هو أقرب إلى عقولهم، وأنسب لأحوالهم، وأدخل في

(١) المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، د. عبد الكريم زيدان ١/ ١٨٠.

مداركهم؛ أولى من غيره، وقد أشار الله ﷻ إلى هذا في آخر قصة عاد فقال: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٧][1].

✍ ثامناً: خطر الاغترار بالقوة:

فالغرور والبطر والتباهي بالقوة وشدة البطش يؤدي إلى الهلاك ذلك أن قوم هود كانوا يتفاخرون بقوتهم، ويتباهون ببطشهم، ويتطاولون بشدة بأسهم، ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت: ١٥].

✍ تاسعاً: الجمع بين أسلوبي الترغيب والترهيب:

من المهم للدعاة إلى الله أن يجمعوا في أسلوب دعوتهم بين الترغيب والترهيب، ولا يقتصروا على أحدهما؛ إذ في الاقتصار على أحدهما قد لا تحقق الدعوة الغرض المرجو منها، بل قد تأتي بعكس النتائج المرجوة منها.

✍ عاشراً: أهمية إخلاص الداعية وقوة إيمانه بالله وبدعوته:

فالداعي إلى الله عندما يخلص في دعوته، ويعتمد على الله سبحانه في تبليغ رسالته، ويغار عليها كما يغار على عرضه أو أشد.. فإنه في هذه الحالة سيقف في وجه الطغاة المناوئين للحق كالجبل الراسخ، وهكذا الدعاة المخلصين ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩].

فهذا هود عليه السلام يعلنها بكل قوة: ﴿إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾

(١) تيسير اللطيف المنان ١٩٣.

مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [هود: ٥٤ - ٥٧].

وإن الإنسان ليدهش لرجل فرد يواجه قوماً غلاظاً شداداً، يبلغ بهم الجهل أن يعتقدوا أن هذه المعبودات الزائفة تمس رجلاً فيجن أو يتغير عقله، ويروا في الدعوة إلى الله الواحد جنونا من أثر المس!

إنه الإيمان. والثقة. والاطمئنان.. الإيمان بالله، والثقة بوعده، والإطمئنان إلى نصره.. الإيمان الذي يخالط القلب فإذا وعد الله بالنصر حقيقة ملموسة في هذا القلب لا يشك فيها لحظة. لأنها ملء يديه، وملء قلبه الذي بين جنبيه، وليست وعداً للمستقبل في ضمير الغيب، إنما هي حاضر واقع تتملاه العين والقلب.

الحادي عشر: خطورة الترف الزائد الذي لا حاجة له:

«إن اتخاذ المباني الفخمة للفخر والخيلاء والزينة وقهر العباد بالجبروت من الأمور المذمومة الموروثة عن الأمم الطاغية، كما ذكر الله في قصة عاد إنكار هود عليهم، قال: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٨ - ١٢٩] وبالجملة فالبنايات للقصور والحصون والدور وغيرها من الأبنية:

إما أن تتخذ مساكن للحاجة إليها، والحاجات تتنوع وتختلف، فهذا النوع من الأمور المباحة، وقد يتوسل به بالنية الصالحة إلى الخير.

وإما أن تكون البنايات حصونا واقية لشرور الأعداء، وثغورا تحفظ بها البلاد ونحوها مما ينفع المسلمين، ويقيهم الشر، فهذا النوع يدخل في الجهاد في سبيل الله، وهو داخل في الأمر باتخاذ الحذر من الأعداء.

وإما أن يكون للفخر والخيلاء والبطش بعباد الله وتبذير الأموال التي يتعين صرفها في طرق نافعة، فهذا النوع هو المذموم الذي أنكره الله على عاد وغيرهم[١].

(١) تيسير اللطيف المنان ١٩٣.

المبحث الثالث

دعوة صالح عليه السلام

المطلب الأول التعريف بصالح عليه السلام وقومه.

المطلب الثاني الصفات الدعوية لصالح عليه السلام.

المطلب الثالث أسس دعوة صالح عليه السلام.

المطلب الرابع وسائل وأساليب دعوة صالح عليه السلام.

المطلب الخامس موقف قوم صالح من دعوته.

المطلب السادس نتيجة دعوة صالح عليه السلام.

المطلب السابع الدروس المستفادة من دعوة صالح عليه السلام.

المطلب الأول
التعريف بصالح عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه

كثيراً ما يقرن الله في كتابه بين ذكر «عاد» قوم هود عَلَيْهِ السَّلَامُ و«ثمود» قوم صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفي القرآن ما يدل على أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أخبر عنهما، كما قال تعالى في سورة إبراهيم: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝٨ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [إبراهيم: ٨ - ٩].

قال ابن كثير عن أهل الكتاب وسبب إهمالهم تاريخ هاتين الأمتين: «ولكن لما كان هاتان الأمتان من العرب؛ لم يضبطوا خبرهما جيدا، ولا اعتنوا بحفظه، وإن كان خبرهما مشهوراً في زمان موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ»(١).

وهو: صالح بن عبيد بن أسف بن ماسخ بن عبيد بن خادر بن ثمود بن جاثر بن إرم بن سام بن نوح(٢) وهو عَلَيْهِ السَّلَامُ من رسل الله العرب(٣).

وقومه الذين أرسل إليهم، ثمود، وهم قبيلة مشهورة، سميت ثمود لقلة مائها، من الثمد وهو الماء القليل(٤).

---

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ١/ ١٣٢.
(٢) تاريخ الرسل والملوك ١/ ٢٢٦.
(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير ١/ ٨٥.
(٤) الكشاف ٢/ ١٢٠.

«وكانوا عربا من العاربة يسكنون الحِجْر الذي بين الحجاز وتبوك[(١)] وكانوا بعد قوم عاد، وكانوا يعبدون الأصنام»[(٢)].

وكانوا أهل مواش كثيرة وأهل حرث وزروع، وتواصلت عليهم النعم فكانوا يتخذون من السهول قصورا مزخرفة، ومن الجبال بيوتا منحوتة متقنة فكثروا وعُمّروا أعماراً طوالا، حتى أن الرجل كان يبنى المسكن المحكم فينهدم في حياته، فنحتوا البيوت من الجبال، وكانوا في سعة ورخاء من العيش، فعتوا على الله وأفسدوا في الأرض وعبدوا الأوثان، فبعث الله تعالى إليهم صالحا عليه السلام، وكانوا قوما عربا وصالح من أوسطهم نسبا، فدعاهم إلى الله تعالى فلم يتبعه إلا قليل منهم مستضعفون، فحذرهم وأنذرهم[(٣)].

وقصة صالح عليه السلام وردت في سور متعددة: فجاءت مفصلة في سور: الأعراف وهود والحجر والشعراء وفصلت.

وجاءت مجملة في سور: الإسراء والنمل والذاريات والحاقة والفجر والشمس.

وأشير لها في سور: التوبة وإبراهيم والحج والفرقان والعنكبوت وص وغافر وق والنجم والبروج.

---

(١) تعرف الآن بمدائن صالح، وهي موقع أثري يقع في شمال غرب المملكة العربية السعودية وتحديداً في محافظة العُلا التابعة لمنطقة المدينة المنورة.

(٢) قصص الأنبياء لابن كثير ١/ ١٤٥.

(٣) الكشاف للزمخشري ٢/ ١٢٠، وينظر: تيسير اللطيف المنان ص١٩٥.

المطلب الثاني
الصفات الدعوية لصالح عليه السلام

من صفات صالح عليه السلام الدعوية، والتي تستفاد من ذكر قصته عليه السلام وما دار بينه وبين قومه ما يلي:

أولاً: الأمانة:

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٤١ - ١٤٣]. «أي لا غش عندي كما تعلمون ذلك مني على طول خبرتكم بي، ولا خيانة في شيء من الأمانة، فلذلك لا بد لي من إبلاغ جميع الرسالة»[١].

ثانياً: العفة عما في أيدي الناس:

قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء١٤١ - ١٤٥].

قال الطبري: «وما أسألكم على نصحي إياكم، وإنذاركم من جزاء ولا ثواب، إن جزائي وثوابي إلا على ربّ جميع ما في السموات، وما في الأرض، وما بينهما من خلق»[٢].

---

(١) نظم الدرر ٥/ ٣٧٤.

(٢) جامع البيان ١٩/ ٣٨٠.

فالداعية يجب أن يكون حسن السيرة، أمينا، زاهدا، غير ملتفت إلي ما في أيدي الناس من نعيم الدنيا الزائل، وذلك لأن الدعوة إلي الله سبحانه تقتضي التنزه عن متاع الدنيا، فإذا كان الداعي إلي الله يسأل المال ممن يدعوهم فهو متهمٌ في نيته عندهم، غير مصدق، فكان الأنبياء وهم رأس الدعاة إلى الله زهاداً متعففين، أمناء صادقين، فلم تكن دعوتهم إلا خالصة لرب العالمين، لا يسألون الناس أجرا ولا ثوابا، ولا مدحاً ولا إطراءً، إنما أجرهم عند ربهم، تتجه قلوبهم إلى الله رغبة ورهبة، وكان صالحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ أميناً معروفا بأمانته بين قومه، زاهدا متعففاً عن كل أجرٍ وثوابٍ إلا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثالثاً: السيرة الحسنة قبل الدعوة:

قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾ [هود: ٦٢] أي: «قد كنا نرجوك ونؤمل فيك العقل والنفع، وهذا شهادة منهم، لنبيهم صالح، أنه ما زال معروفا بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، وأنه من خيار قومه»[١].

«**أي:** قد كنا قد تخايلنا فيك أن تفضلنا جميعا لكمالك وكمال أخلاقك، وآدابك الطيبة، وهذا اعتراف منهم له بهذه الأمور قبل أن يقول ما قال، فما نزله عن هذه المرتبة عندهم إلا أنه دعاهم إلى عبادة الخالق وترك عبادة العبيد، وإلى السعادة الأبدية»[٢].

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: قالت ثمود لصالح نبيِّهم: ﴿قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾، أي كنا نرجُو أن تكون فينا سيداً قبل هذا القول الذي قلته لنا»[٣].

فقد كان صالح بين قومه شريفا، ذا نسب، ورأي، وسيادة، فرضتها أخلاقه

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٣٨٤.

(٢) تيسير اللطيف المنان ص١٩٥.

(٣) جامع البيان ١٣/ ٣٦٩.

وحكمته وصلاحه بين قومه، فكانوا يحترمونه ويرجون فيه الإصلاح والرئاسة عليهم. فلما جاءهم بدعوة التوحيد أنكروه وحقروه واعتبروا أن هذه الصفات الحميدة التي كانت فيه ذهبت! وأنه الآن مجنون ومسحور.

رابعاً: الصبر على الأذى:

فقد اتهموه بالسحر، قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٣].

واتهموه بالكذب، وكذبوه واحتقروه، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ﴾ [القمر٢٣ – ٢٥].

واحتقروا أتباعه واستكبروا عليهم، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [الأعراف: ٧٦].

فكان جواب صالح عليه السلام على افتراء قومه وادعائهم الباطل الصبر والثبات المتمثل في قوله: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ﴾ [هود: ٦٣].

فاحتمل صالح عليه السلام كل هذا الأذى ولم يجبهم إلا بالحكمة رجاء هدايتهم، فإن الأنبياء لم يكونوا ينتصرون لأنفسهم، فكان همّهم الأكبر هو تبليغ الرسالة وهداية الناس لرب العباد سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

خامساً: العلم:

قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ﴾ [هود: ٦٣].

أي: «إن كنت على برهان وبيان من الله قد علمته وأيقنته ﴿وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ﴾، يقول: وآتاني منه النبوة والحكمة والإسلام»[١].

المطلب الثالث

أسس دعوة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ

قامت دعوة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ على أمور أساسية وهي:

أولاً: تحقيق العبودية الخالصة لله:

ولذلك فقد كان ما دعا إليه قومه؛ أن يوحدوا الله ويفردوه بالعبادة دون سواه، قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۗ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٧٣]. وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ﴾ [هود: ٦١].

فبدأ صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ دعوة قومه وسط ما كانوا عليه من الشرك وعبادة الأصنام، فعرفهم أن الله هو الإله المعبود الواحد، لا شريك له، له الكمال المطلق. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [النمل: ٤٥].

---

(١) جامع البيان ١٥/ ٣٧٠.

ثانياً: الإيمان بالنبوات:

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء: ١٤١ - ١٤٤].

بين صالح عليه السلام، لقومه أنه رسول من رب العالمين وأن ما جاء به ما هو إلا وحي من الله عز وجل وأنه فيه صلاحهم ونجاتهم، وقال تعالى وهو يقص علينا ذاك الجدال الذي دار بين المؤمنين والمكذبين برسالته عليه السلام: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [الأعراف: ٧٥ - ٧٦]

وقال في المكذبين برسالته: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الحجر: ٨٠].

ثالثاً: الإيمان بالمعاد:

من أسس دعوة صالح عليه السلام أيضا دعوته للإيمان باليوم الآخر، وأنهم لن يظلوا في هذه الدنيا أبدا، بل سيموتون ويبعثون ليوم عظيم، قال تعالى: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء: ١٤٦ - ١٥٠]. أي: أتظنون أنكم متروكون لهذا الذي أنتم فيه من دعة ورخاء ومتعة ونعمة.. وسائر ما يتضمنه هذا الإجمال من تفخيم وتضخيم.. أتتركون في هذا كله آمنين لا يروعكم فوت، ولا يزعجكم سلب، ولا يفزعكم تغيير؟.

أي: أيترككم ربكم في هذه الدنيا آمنين، لا تخافون شيئا؟ في بساتين وعيون

ماء وزروع ونخل طلعها هضيم، والطلع الهضيم: هو اليانع النضيج إذا مُس تهشم وتفتت[(١)].

وقال تعالى مبينا تكذيبهم باليوم الآخر: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ﴾ [الحاقة: ٤] والقارعة اسم من أسماء القيامة، وسميت بذلك لأنها تقرع الخلق بأهوالها[(٢)].

رابعاً: دلالتهم على جوامع ما يرضي الله:

فقد دعاهم إلى تقوى الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء١٤٣ - ١٤٤].

ودعاهم عليه السلام إلى الاستغفار والتوبة والإنابة إلى رب العزة جل جلاله، ونهاهم عن عبادة ما سوى الله جل جلاله، قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١].

وقال الله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النمل: ٤٦]. أي: «يا قوم لأي شيء تستعجلون بعذاب الله قبل الرحمة، فهلا تتوبون إلى الله من كفركم وتستغفرونه، فيصفح عليكم ويغفر لكم ويرحمكم ربكم باستغفاركم إياه من كفركم[(٣)].

خامساً: التحذير من الإفساد وأهل الإفساد:

وحذرهم من طاعة المسرفين والمفسدين، ونهاهم عن الإسراف والإفساد، بقوله:

---

(١) جامع البيان ١٩/ ٣٨٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٨٨٢.

(٣) جامع البيان ١٩/ ٤٧٦.

﴿وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٥١ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾ [الشعراء: ١٥١ - ١٥٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٧٤].

فقوله: ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ أي: «لا تخربوا الأرض بالفساد والمعاصي، فإن المعاصي تدع الديار العامرة بلاقع، وقد أخلت ديارهم منهم، وأبقت مساكنهم موحشة بعدهم»(١).

حيث إن الله بين أن هناك عدد بينهم مفسدون بل قادة في الإفساد بقوله: ﴿وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾ [النمل: ٤٨]. «فمع قلة عددهم بالنسبة لسكان مدينتهم، فإن أثر فسادهم أدى إلى هلاك وتدمير تلك المدينة وأهلها. ونفى عنهم الإصلاح؛ لأن هذه دعواهم التي يخدعون بها الدهماء، كما هو ديدن المفسدين في كل زمان ومكان»(٢).

«ولما كان الكفرة كلهم مفسدين بالكفر، وكان بعضهم ربما كان يصلح في بعض أفعاله، بين أن هؤلاء ليسوا كذلك، بل هم شر محض فحقق خلوصهم للفساد بقوله مصرحاً بما أفهمته صيغة المضارع: ﴿وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾»(٣).

واختبرهم في ذلك بالناقة فقال: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص ٢٩٥.
(٢) من تدبرات د. ناصر العمر، سلسلة ليدبروا آياته.
(٣) نظم الدرر ٥/ ٤٣٢.

أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الأعراف: ٧٣]. وقال: ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الشعراء: ١٥٦].

المطلب الرابع

وسائل وأساليب دعوة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ

من الأساليب والوسائل المستفادة من دعوة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ ما يأتي:

✧ أولاً: القول اللين:

قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [النمل: ٤٦]. فانظر إلى قوله «لولا»، وقوله: «لعلكم ترحمون»: ففيها اللين في القول ما يشير إلى شفقته عليهم.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴾ [هود: ٦٣]، أي: فما ظنكم إن كان الأمر كما أقول لكم وأدعوكم إليه! ماذا عذركم عند الله؟ وماذا يخلصكم بين يديه وأنتم تطلبون مني أن أترك دعاءكم إلى طاعته؟ وأنا لا يمكنني هذا لأنه واجب علي، ولو تركته لما قدر أحد منكم ولا من غيركم أن يجيرني منه ولا ينصرني، فأنا لا أزال أدعوكم إلى الله وحده لا شريك له حتى يحكم الله بيني وبينكم.

وهذا تلطف منه لهم في العبارة، ولين الجانب، وحسن تأت في الدعوة لهم إلى الخير(١).

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١/ ١٣٣.

ينبغي على الداعي إلى الله أن يتصف بالحكمة ولين الكلام، وحسن العبارة، كي يستميل قلوب الناس إلى دعوته، فلا يكون قاسياً شديداً في وعظه، صارماً في تعامله مع الناس. ولكن رفيقا رحيما، يدعو إلى الخير ويحذر من الشر بأحسن ما أوتي من بلاغة الكلام، وفصاحة البيان.

✧ ثانياً: التذكير بنعم الله:

ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٧٤].

وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود٦١].

قال السعدي: «خلقكم فيها واستخلفكم فيها، وأنعم عليكم بالنعم الظاهرة والباطنة، ومكنكم في الأرض، تبنون، وتغرسون، وتزرعون، وتحرثون ما شئتم، وتنتفعون بمنافعها، وتستغلون مصالحها، فكما أنه لا شريك له في جميع ذلك، فلا تشركوا به في عبادته. ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ مما صدر منكم، من الكفر، والشرك، والمعاصي، وأقلعوا عنها، ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ أي: ارجعوا إليه بالتوبة النصوح، والإنابة، ﴿إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ أي: قريب ممن دعاه دعاء مسألة، أو دعاء عبادة، يجيبه بإعطائه سؤله، وقبول عبادته، وإثابته عليها، أجل الثواب»(١).

وقال تعالى: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ﴾ [الشعراء: ١٤٩].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٣٨٤.

فتذكير الداعي قومَه لنعم الله عليهم يكون وازعاً ودافعاً لهم على الإذعان له سبحانه والانقياد لأوامره. وصالح عليه السلام استعمل هذا الأسلوب مع قومه رجاء هدايتهم.

فبدأ بتذكيرهم نعم الله عليهم وتعريفهم بفضله سبحانه، وأن الله قد أعطاهم الخير الوفير، رجاء أن يرجعوا إليه سبحانه، فإذا عرفوا أن الله هو صاحب هذه النعم وهو المعطي القادر على كل شيءٍ وأنه قريب منهم مجيب لدعائهم إذا دعوه وآمنوا به وأحبوه، استسلموا إليه.

✧ ثالثاً: الجدال بالحكمة:

استعمل صالح عليه السلام الجدال والمناظرة بالحكمة والعقل، ليثير عقول قومه، ويضعهم أمام اختيارين، إما اتباع العقل والمنطق، او اتباع الهوى بغير علم.

ففي قوله تعالى: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٤٦]. يقول لهم صالح عليه السلام: هل تظنون أن الله تارككم آمنين مطمئنين ههنا في هذا النعيم من الزروع والثمار والجنان والبيوت المشيدة والعيون الجارية! وأنتم تكفرون به سبحانه وتشركون بعبادته! فهل يترككم ربكم وهو الذي رزقكم كل هذا النعيم ثم أمركم بعبادته فلم تأتمروا بأمره! فهو خطاب للعقل أن يفكر بالمنطق، كيف أن الرب الذي رزقهم هذا الرزق ثم أمرهم بعبادته فعصوه! كيف يتركهم يتمتعون بنعيمه!.

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ [هود: ٦٣]. يجادلهم صالح عليه السلام بالحكمة فيخبرهم أنه وهو رسول الله وأعطاه الله الآيات البينات الواضحة فكيف به إذا جحد بهذا وكفر بأنعم الله كي يرضي قومه وهو يعلم أن الله قادر عليه ولا ينصره أحد من دونه سبحانه، فهل من العقل أن يكفر بالخالق القوي المتين لكي يرضي المخلوق

الذي لا يستطيع نصره! فهو سؤال استنكاري يثير عقولهم ويبحث عن المنطق والحكمة بداخلهم كي تكون سببا في وصولهم للحق.

وفي قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ [النمل: ٤٧] قالت ثمود لصالح اننا تشاءمنا بك وبأتباعك ولم نر خيراً من ورائكم بل أنتم سبب انقطاع الخير عنا، فأجابهم صالح أن الضر والنفع بيد الله وهو الذي يملك لهم الخير، لقد قال قوم صالح قولتهم الجاهلة الساذجة، الضالة في تيه الوهم والخرافة، فردهم صالح إلى نور اليقين، بعيدا عن الضباب والظلام: ﴿قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾.

هكذا ترد العقيدة الصحيحة الناس إلى الوضوح والاستقامة في تقدير الأمور. وترد قلوبهم إلى اليقظة والتدبر فيما يقع لهم أو حولهم. وتشعرهم أن يد الله وراء هذا كله، وأن ليس شيء مما يقع عبثا أو مصادفة.

✧ رابعاً: الموعظة الحسنة بالترغيب والترهيب:

فاستعمل صالح عليه السلام أسلوب الترغيب بقوله: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النمل: ٤٦]، أي إذا استغفرتم الله سبحانه وتبتم إليه من شرككم فهو الغفار لعباده. فيغفر لكم ذنوبكم ويرحمكم. فأراد توضيح ما للتائبين منهم من جزاء ورحمة ليكون دافعاً لهم.

واستعمل أسلوب الترهيب بقوله: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٧٣]. وقال: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٥٦].

فأنذر صالح عليه السلام قومه عذاب الله الأليم، وأن يأتي عليهم يوم يندمون فيه على

عصيانهم ويذوقون فيه العذاب العظيم. فأراد أن يردعهم عن غيّهم وعتوّهم وأن يخافوا العاقبة، فينزجروا ويقبلوا علي الله بقلوبٍ تائبةٍ نادمة.

ومن أجمل المواعظ ما جمعته هذه الآيات الكريمة من سورة الشعراء، قال تعالى: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [الشعراء: ١٤٦ - ١٥٢].

فلفت أنظارهم إلى ما غمرهم من النعم العظيمة والآلاء الجسيمة، وحذرهم من تضييع النعيم الذي في أيديهم إذا هم أصروا على كفرهم وعنادهم. قال ابن كثير: «يقول لهم واعظا لهم ومحذرا إياهم نقم الله أن تحل بهم، ومذكرا بأنعم الله عليهم فيما رزقهم من الأرزاق الدارة، وجعلهم في أمن من المحذورات. وأنبت لهم من الجنات، وأنبع لهم من العيون الجاريات، وأخرج لهم من الزروع والثمرات؛ ولهذا قال: ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾. قال العوفي، عن ابن عباس: أينع وبلغ، فهو هضيم. ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾ قال ابن عباس، وغير واحد: يعني: حاذقين. فكانوا متقنين لنحتها ونقشها، كما هو المشاهد من حالهم لمن رأى منازلهم»[(١)].

✧ خامساً: الدعوة بالقدوة:

قال الله تعالى: ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا﴾ [هود: ٦٢]. كان صالح عليه السلام قدوة صالحة يقتدى به، فكان مثالا في الأمانة والتعفف والصدق والصلاح، وسداد الرأي، والحكمة في التعامل، وقد شهد أعداؤه بذلك، فلما دعاهم للتوحيد قالوا له ما كانوا يظنونه فيه من حسن السيرة، وأنهم كانوا يرجون فيه أن يكون سيدهم

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/ ١٥٥ - ١٥٦.

يقودهم للخير، فكان بذلك قدوة وأسوة حسنة، تميل إليه القلوب بالحب والتقدير.

ولا شك أن رؤية قوم صالح له على أنه قدوة حسنة أشد تأثيرا في نفوسهم وسببا قوياً لكي يؤمنوا به ولا يكذبوه. فإذا كان الداعية إلى الله بين قومه قدوة حسنة ومثالاً في الخير، كان تأثيره الإيجابي على المدعوين أكبر وأقوي حتى وإن لم يدعُهم باللسان. فإذا كان قدوة حسنة. مع دعوته إليهم باللسان الحكيم الرفيق اللين كان أكمل.

✧ سادساً: الاستدلال بالمعجزة:

لما تعنت قوم صالح في الاستجابة لدعوة التوحيد طلبوا منه آية لكي يصدقوا أنه رسول من عند الله تعجيزا فأجاب الله طلبهم اختبارا وامتحانا لهم.

قال تعالى عنهم: ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٥٤ - ١٥٦]. قال الزمخشريّ: «عظم اليوم لحلول العذاب فيه، ووصف اليوم به أبلغ من وصف العذاب. لأن الوقت إذا عظم بسببه، كان موقعه من العظم أشد»[(١)]. فإن: «ما كان من عند الله يجب إكرامه ورعايته واحترامه»[(٢)].

وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٧٣].

وقال تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ [هود: ٦٤].

---

(١) محاسن التأويل ٧/ ٤٦٩.

(٢) نظم الدرر للبقاعي ٥/ ٣٨٢.

«أقام لهم بينة عظيمة وبرهانا ونعمة على جميع القبيلة بأسرها، وقال: هذه ناقة الله - التي لا يشبهها شيء من النوق في ذاتها وشرفها ومنافعها لكم - آية على صدقي وعلى سعة رحمة ربكم، فذروها تأكل في أرض الله، على الله رزقها، ولكم نفعها، ترد الماء يوما فترد القبيلة بأسرها على ضرعها، كل يصدر عن ضرعها قد ملأ آنيته، ثم تردون أنتم في اليوم الثاني، فمكثت على هذا ما شاء الله»[١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتۡنَةٗ لَّهُمۡ فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ وَٱصۡطَبِرۡ﴾ [القمر: ٢٧ - ٢٨].

(**أي:** اختباراً، وفي هذا إشارة إلى أن الله تعالى قد يظهر للإنسان من الآيات ما يؤمن على مثله البشر، حتى إذا استكبر كان استكباره عن علم، فكان عقابه أشد وأوجع.

فانتبه لاستدراج الله فإذا يسر الله لك أسباب المعصية، فلا تفعل، فإن الله ربما ييسر أسباب المعصية للإنسان فتنة له»[٢].

قال ابن كثير: «سألوا صالحاً أن يأتيهم بآية، واقترحوا عليه أن يخرج لهم من صخرة صماء عينوها بأنفسهم، وهي صخرة منفردة في ناحية الحجر، فطلبوا منه أن يخرج لهم منها ناقة عشراء تمخض، فأخذ عليهم صالح العهود والمواثيق لئن أجابهم الله إلى سؤالهم وأجابهم إلى طلبهم ليؤمنن به وليتبعنه؟ فلما أعطوه على ذلك عهودهم ومواثيقهم، قام صالح عليه السلام، إلى صلاته ودعا الله عز وجل، فتحركت تلك الصخرة ثم انصدعت عن ناقة جوفاء وبراء يتحرك جنينها بين جنبيها، كما سألوا، فعند ذلك آمن رئيس القوم ومن كان معه على أمره وأراد بقية أشراف ثمود أن يؤمنوا فصدهم «ذؤاب بن عمرو بن لبيد» «والحباب» صاحب أوثانهم، فأقامت الناقة وفصيلها بعد

---

(١) تيسير اللطيف المنان ص١٩٥.

(٢) تفسير ابن عثيمين لجزء الذاريات ص٢٨١.

ما وضعته بين أظهرهم مدة، تشرب ماء بئرها يوما، وتدعه لهم يوما، وكانوا يشربون لبنها يوم شربها، يحتلبونها فيملئون ما شاءوا من أوعيتهم وأوانيهم، وكانت تسرح في بعض تلك الأودية ترد من فج وتصدر من غيره ليسعها؛ لأنها كانت تتضلع عن الماء، وكانت - على ما ذكر - خلقا هائلا ومنظرا رائعا، إذا مرت بأنعامهم نفرت منها»[(١)].

المطلب الخامس

موقف قوم صالح من دعوته

يمكن بيان موقف قوم صالح من دعوته في النقاط التالية:

أولاً: إعلان الشك والريب من دعوته واتهامه بانتكاسة العقل:

قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [هود: ٦٢] «أي كنا نرجو أن تكون فينا سيداً قبل هذا القول الذي قلته لنا، من أنه مالنا من إله غير الله»[(٢)].

وقال ابن سعدي: «أي: قد كنا نرجوك ونؤمل فيك العقل والنفع، أما وقد قلت ما قلت؛ فقد أخلفت ظننا فيك، وصرت بحالة لا يرجى منك خير»[(٣)].

وهكذا يعجب القوم مما لا عجب فيه بل يستنكرون ما هو واجب وحق، ويدهشون لأن يدعوهم أخوهم صالح إلى عبادة الله وحده. لماذا؟ لا لحجة ولا لبرهان ولا لتفكير. ولكن لأن آباءهم يعبدون هذه الآلهة! وهكذا يبلغ التحجر بالناس

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٤٤٠ - ٤٤١.

(٢) جامع البيان ١٥/ ٣٧٠.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص٣٨٤.

أن يعجبوا من الحق البين. وأن يعللوا العقائد بفعل الآباء! وهكذا يتبين مرة وثانية وثالثة أن عقيدة التوحيد هي في صميمها دعوة للتحرر الشامل الكامل الصحيح.

➢ ثانياً: اتهامه بالسحر والكذب، والتكبر على أن يكون هو نبي الله لهم:

قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٣]. وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ﴾ [القمر: ٢٢ – ٢٥].

«فكذبوه واستكبروا عليه، وقالوا كبرا وتيها: ﴿أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾ أي: كيف نتبع بشرا، لا ملكا منا، لا من غيرنا، ممن هو أكبر عند الناس منا، ومع ذلك فهو شخص واحد ﴿إِنَّآ إِذٗا﴾ أي: إن اتبعناه وهو بهذه الحال ﴿لَّفِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ﴾ أي: إنا لضالون أشقياء، وهذا الكلام من ضلالهم وشقائهم، فإنهم أنفوا أن يتبعوا رسولا من البشر، ولم يأنفوا أن يكونوا عابدين للشجر والحجر والصور.

﴿أَءُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ﴾ أي: كيف يخصه الله من بيننا وينزل عليه الذكر؟ فأي مزية خصه من بيننا؟ وهذا اعتراض من المكذبين على الله، لم يزالوا يدلون به، ويصولون ويجولون ويردون به دعوة الرسل، وقد أجاب الله عن هذه الشبهة بقول الرسل لأممهم: ﴿قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾ [إبراهيم: ١١]، فالرسل من الله عليهم بصفات وأخلاق وكمالات، بها صلحوا لرسالات ربهم والاختصاص بوحيه.

وحكموا عليه بهذا الحكم الجائر، فقالوا: ﴿بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ﴾ أي: كثير الكذب

والشر، فقبحهم الله ما أسفه أحلامهم وأظلمهم، وأشدهم مقابلة للصادقين الناصحين بالخطاب الشنيع، لا جرم عاقبهم الله حين اشتد طغيانهم»[١].

➢ ثالثاً: استضعاف المؤمنين وإعلان الكفر برسالة صالح عليه السلام:

قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [الأعراف: ٧٥ - ٧٦].

«عدل الملأ الذين استكبروا عن مجادلة صالح عليه السلام إلى اختبار تصلب الذين آمنوا به في إيمانهم، ومحاولة إلقاء الشك في نفوسهم. ولما كان خطابهم للمؤمنين مقصودا به إفساد دعوة صالح عليه السلام كان خطابهم بمنزلة المحاورة مع صالح عليه السلام... ووصفهم بالذين استكبروا هنا لتفظيع كبرهم، وتعاظمهم على عامة قومهم، واستذلالهم إياهم، وللتنبيه على أن الذين آمنوا بما جاءهم به صالح عليه السلام هم ضعفاء قومه»[٢].

«والإشارة إلى أن أتباع الحق هم الضعفاء وأنه لم يؤمن إلا لبعضهم، ففيه إيماء إلى أن الضعف من أجلّ النعم لملازمته لطرح النفس المؤدي إلى الإذعان للحق.. كأنهم قالوه ليعلموا حالهم فيبنوا عليه ما يفعلونه، لأن المستكبرين لا يتم لهم كبرهم إلا بطاعة المستضعفين»[٣].

وواضح أنه سؤال للتهديد والتخويف، ولكن الضعاف لم يعودوا ضعافاً! لقد سكب الإيمان بالله القوة في قلوبهم، والثقة في نفوسهم، والاطمئنان في

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٨٢٦ باختصار.
(٢) التحرير والتنوير ٨/ ٢٢٢.
(٣) نظم الدرر ٣/ ٥٨ باختصار يسير.

منطقهم.. إنهم على يقين من أمرهم، فماذا يجدي التهديد والتخويف؟ وماذا تجدي السخرية والاستنكار..

رابعاً: طلب الآيات تعجيزا:

فلما ألح عليهم بالدعاء، والتحذير، والتخويف قالوا له: إن كنت صادقا فأتنا بآية، واقترحوا عليه أن يخرج لهم من صخرة صماء عينوها بأنفسهم ناقة عشراء تمخض[1] فأجابهم لما طلبوا، كل ذلك حرصا منه على هدايتهم ورشدهم، فقال لهم: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٧٣] فقد جاءتكم حجة من الله على صدق ما جئتكم به[2].

خامساً: تطيروا بصالح ومن معه من المؤمنين:

قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ [النمل: ٤٧]. «أي: تشاءمنا بك وبمن معك من أتباعنا، وزجرنا الطير بأنا سيصيبنا بك وبهم المكاره والمصائب»[3].

«ولا شئ أضر بالرأي، ولا أفسد للتدبير من اعتقاد الطيرة، ومن ظن أن خوار بقرة أو نعيق غراب يرد قضاء، أو يدفع مقدورا فقد جهل»[4].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٤٤٠.

(٢) قال الرازي في تفسيره: (وأعلم أن تلك الناقة كانت معجزة من وجوه: الأول: أنه تعالى خلقها من الصخرة، الثاني: أنه تعالى خلقها في جوف الجبل ثم شق عنها الجبل، الثالث: أنه تعالى خلقها حاملا من غير ذكر، الرابع: خلقها دفعة واحدة من غير ولادة، الخامس: ما روى أنه كان لها شرب يوم ولكل القوم شرب يوم آخر، السادس: يحصل منها لبن كثير يكفي لخلق عظيم). مفاتيح الغيب ١٨/ ١٦.

(٣) جامع البيان ١٩/ ٤٧٦.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٨١.

ولذلك رد عليهم صالح بقوله: ﴿قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ﴾ أي: حظكم ومستقبلكم ومصيركم عند الله. فمن اتبع سنة الله، وسار على هداه، فهناك الخير، بدون حاجة إلى زجر الطير. ومن انحرف عن السنة، وحاد عن السواء، فهناك الشر، بدون حاجة إلى التشاؤم والتطير.. هكذا ترد العقيدة الصحيحة الناس إلى الوضوح والاستقامة في تقدير الأمور. وترد قلوبهم إلى اليقظة والتدبر فيما يقع لهم أو حولهم. وتشعرهم أن يد الله وراء هذا كله، وأن ليس شيء مما يقع عبثا أو مصادفة.

➤ سادساً: نقضوا العهد وعقروا الناقة:

فقد أقامت الناقة وفصيلها بعد ما وضعته بين أظهرهم مدة، ترد الماء يوما، وتدعه لهم يوما، وكانوا يحتلبونها يوم شربها، فلما طال عليهم عزموا على قتلها، ليستأثروا بالماء كل يوم، وتحدوا صالح أن يأتيهم بالعذاب، قال تعالى: ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٧٧].

ولما عقروا الناقة حق عليهم العذاب الذي توعدهم به، قال تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ﴾ [هود: ٦٥].

«ونسب العقر إلى جميعهم لأنهم رضوا به، وإن لم يفعله إلا واحد منهم»[(١)].

➤ سابعاً: هموا بقتل صالح عليه السلام أيضا:

فقالوا زعم صالح أنه يفرغ منا بعد ثلاثة أيام، فنحن نفرغ منه وأهله قبل ثلاث، فاجتمع تسعة رهط منهم وصمموا على قتله، قال تعالى: ﴿وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ٤٨ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [النمل: ٤٨ - ٤٩].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١/ ٣٦٠.

قال ابن كثير: «عزموا على قتل صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ وقالوا: إن كان صادقا عجلناه قبلنا، وإن كان كاذبا ألحقناه بناقته!»[(١)].

«فمع قلة عددهم بالنسبة لسكان مدينتهم، فإن أثر فسادهم أدى إلى هلاك وتدمير تلك المدينة وأهلها. ونفى عنهم الإصلاح؛ لأن هذه دعواهم التي يخدعون بها الدهماء، كما هو ديدن المفسدين في كل زمان ومكان»[(٢)].

المطلب السادس
نتيجة دعوة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ

○ أولاً: انقسام قومه إلى مؤمن وكافر:

لم يزل صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ يدعو قومه ويرشدهم إلى طريق نجاتهم؛ فلم يتبعه منهم إلا قليل مستضعفون، وأكثر قومه كافرون، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [فصلت: ١٧] ، أبوا إلا الكفر والإفساد.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ [النمل: ٤٥]، فالفريقان هم المؤمنون، والكافرون وهم معظمهم[(٣)].

وقد بين هذه الخصومة التي أشار لها هنا؛ في سورة الأعراف، حين قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٤٤٢.
(٢) من تدبرات د. ناصر العمر سلسلة ليدبروا آياته – تدبرات سورة النمل.
(٣) تيسير الكريم الرحمن ص ٦٠٦.

أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٧٥ - ٧٦].

ثانياً: نزول العذاب بالكافرين:

وعندما عقروا الناقة وأخلفوا العهد وهموا بقتل صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ نزول العذاب عليه، قال تعالى: ﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ [النمل: ٥٠ - ٥٣].

ففي اليوم الموعود أتاهم أمر الله، فأخذتهم الصيحة، والصيحة الصوت المزعج المهلك، ولشدة هولها رجفت بهم الأرض من تحتهم، أي تحركت حركة قوية، وحل بهم الدمار[(١)]، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ٣١ - ٣٢][(٢)].

«فأرسل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وله العزة ولرسوله، عليهم حجارة فرضختهم لـمَّا أشرقت الشمس، جاءتهم صيحة من السماء ورجفة شديدة من أسفل منهم، ففاضت الأرواح وزهقت النفوس في ساعة واحدة ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ

(١) عبر الله جَلَّ جَلَالُهُ عن الهلاك الذي أهلك به ثمود بعبارات مختلفة، فذكره باسم الصاعقة كما في سورة الذاريات، وعبر عنه بالصيحة كما في سورة القمر، وعبر عنه بالرجفة كما في سورة الأعراف، وعبر عنه بالتدمير كما في سورة النمل، وعبر عنه بالطاغية كما في سورة الحاقة، وعبر عنه بالدمدمة كما في سورة الشمس، وعبر عنه بالعذاب كما في سورة الشعراء، ومعنى هذه العبارات كلها راجع إلى شيء واحد، انظر: أضواء البيان ٧/ ٢١ - ٢٢.

(٢) انظر: تاريخ الرسل والملوك ١/ ٢٢٧؛ الكامل في التاريخ ١/ ٨٢.

جَٰثِمِينَ﴾ [الأعراف: ٧٨]. أي: صرعى لا أرواح فيهم، ولم يفلت منهم أحد، لا صغير ولا كبير، لا ذكر ولا أنثى»[1].

وقال تعالى في وصف عذابهم كذلك: ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ﴾ [الذاريات٤٣ - ٤٥].

ثالثاً: نجاة المؤمنين الموحدين:

أنجى الله نبيه صالحا والذين آمنوا معه، قال الله: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [هود: ٦٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [النمل: ٥٣].

قال الطبري: «وأنجينا من نقمتنا وعذابنا الذي أحللناه بثمود رسولنا صالحا والمؤمنين به. وكانوا يتقون بإيمانهم، وبتصديقهم صالحا الذي حل بقومهم من ثمود ما حلّ بهم من عذاب الله، وذُكر أن صالحا لما أحلّ الله بقومه ما أحلّ، خرج هو والمؤمنون به إلى الشام، فنزل رملة - فلسطين»[2].

فكما هي سنة الله في خلقه، فالنجاة للمؤمنين والهلاك للكافرين، فمهما طال الزمان في ظلم الكافرين، وابتلاء المؤمنين، حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ فإن العاقبة حتماً للمؤمنين، يؤيدهم الله بالنصر المبين، ويهلك عدوه وعدوهم بالعذاب الأليم، ليكونوا عبرة للمعتبرين، وجزاءً للطائعين الموحدين.

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من حزبه المنصورين آمين.

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٤٤٢.

(٢) جامع البيان ١٩/ ٤٨١.

المطلب السابع

الدروس المستفادة من دعوة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ

المتدبر في الآيات التي وردة في دعوة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ يجدها ثرية بالفوائد التربوية والمنهجية للدعاة إلى الله ومن ذلك:

✧ أولاً: الهداية بنوعيها بيد الله وليس للرسول إلا هداية الإرشاد:

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [فُصِّلَت: ١٧]، المراد بالهدى هنا: هدى الدلالة والبيان والإرشاد، لا هدى التوفيق والاصطفاء، والدليل على ذلك قوله تعالى بعده: «فاستحبوا العمى على الهدى»؛ أي اختاروا الكفر على الإيمان وآثروه عليه، فلو كانت هداية توفيق لما انتقل صاحبها عن الهدى إلى العمى[(١)].

✧ ثانياً: السيرة الحسنة أكبر معين على قبول الدعوة:

فقد قالت ثمود لصالح: ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾ [هود: ٦٢] وهذا شهادة منهم، لنبيهم صالح، أنه ما زال معروفا بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، وأنه من خيار قومه[(٢)].

فعلى الداعية أن يجعل سيرته وشمائله تسبقه في دعوته؛ فإن الناس أشد ما يكونون اتباعا لمن كان حسنَ السيرة والسلوك قبل أن يدعوهم، ولمن دعاهم بفعله قبل أن

(١) أضواء البيان ٧/ ١٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٣٨٤.

يدعوهم بقوله، والناس أيضا أشد ما يكونون حكما على الداعية في سيرته وفعاله، فلئن حدثهم عن العبادة بحثوا أول ما بحثوا عنها فيه، ولئن حدثهم عن الخلق طالعوا سيرته أول ما يسمعون منه ذلك؛ وبدأوا بتقييم أخلاقه وتعداد تجلياتها فيه أولا...، لذا كان على الداعية أن يحمل نفسه دائما على موافقة أفعاله لأقواله، فإن ذلك أدعى للإقبال عليه وقبول قوله.

✧ ثالثاً: انقسام الناس حيال الدعوة إلى مستجيبين ومعرضين:

قال تعالى في قوم صالح عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [النمل: ٤٥] فتلك هي النتيجة الطبيعية للدعوة، وعلى الداعية أن يوطن نفسه على ذلك، وأن يعلم أن الله كلفه بدعوة الناس ولم يكلفه باستجابتهم، فإن ذلك مما لا يطيقه، ولا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها.

✧ رابعاً: الداعي لا ينتصر إلا للدين ولا ينتصر لنفسه:

فكما ذكرنا في تكذيب ثمود لصالح، وأنهم اتهموه بأنه مسحور ومجنون وكذاب فلم يجبهم علي كل هذا انتصاراً لنفسه، وإنما حآجّهم بحجة عقلية تكون سببا في هدايتهم. ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ [هود: ٦٣]، فهو عليه السلام غايته أن يهتدي قومه لطريق الله المستقيم وليس حفاظا علي مكانته بينهم وسيادته عليهم، وهكذا الدعاة الصادقين إذا اتهمهم أهل الباطل فإنهم لا ينتصرون لأنفسهم وإنما يوضحون الحق لطالبه ويفوضون أمرهم إلي الله في أعدائهم.

✧ خامساً: المخلصون يستعملون في دعوتهم الأساليب المنطقية الحكيمة:

وهذا نراه واضحاً في جدال صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ مع قومه، كما تجلى ذلك في قوله سبحانه: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [النمل: ٤٦]. وأن صالحاً سلك في دعوته لقومه أحكم الأساليب وأقومها وأقواها، فكان يخبرهم بالأمر الذي يستثير عقولهم كذكره لبيوتهم وقصورهم المشيدة.

✧ سادساً: إذا أنعم الله علي قومٍ فلم يشكروا وكفروا انقلبت عليهم نقمة ووبالاً:

فالله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ قد ذكر جملة من الآيات فيها وصف ما أنعم على ثمود من النعم، مثل الاستخلاف في الأرض وتعميرها وتشييد القصور ونحت الجبال بيوتا، وعيون الماء الجارية، والجنان الخضراء وصنوف الزروع والثمار والنخيل، فلمّا لم يشكروا المنعم سبحانه وكفروا به وجحدوا نعمته، ثم أرسل إليهم رسولا يبشرهم وينذرهم فلم يؤمنوا به، ثم أعطاهم معجزة لهم كي يهتدوا بسببها، فقتلوها ظلما وعتواً، أحل الله عليهم عذابه الأليم، ودمرهم تدميرا، فتلك بيوتهم وقصورهم خاوية علي عروشها، فنعمة الله لا يحفظها الله إلا اذا شكرناها وأدّينا حقها.

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [فصلت: ١٧]، وقال تعالى: ﴿فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [النمل: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]. قال الطبري: «يقول: لئن شكرتم ربّكم، بطاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم، لأزيدنكم في أياديه عندكم ونعمهِ عليكم»[١].

✧ **سابعاً: التحذير من سؤال الله العذاب:**

قال تعالى: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٧٧].

وروي أحمد في مسنده من حديث جَابِرٍ، قَالَ: لَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللهِ بِالْحِجْرِ، قَالَ: **(لَا تَسْأَلُوا الْآيَاتِ، وَقَدْ سَأَلَهَا قَوْمُ صَالِحٍ فَكَانَتْ تَرِدُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ، وَتَصْدُرُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ، فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَعَقَرُوهَا، وكَانَتْ تَشْرَبُ مَاءَهُمْ يَوْماً، وَيَشْرَبُونَ لَبَنَهَا يَوْماً، فَعَقَرُوهَا، فَأَخَذَتْهُمْ صَيْحَةٌ أَهْمَدَ اللهُ مَنْ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ مِنْهُمْ، إِلَّا رَجُلاً وَاحِداً كَانَ فِي حَرَمِ اللهِ)**، قِيلَ: مَن هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **(هُوَ أَبُو رِغَالٍ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنَ الْحَرَمِ، أَصَابَهُ مَا أَصَابَ قَوْمَهُ)**[٢].

✧ **ثامناً: أن أثر المعصية والتكذيب يصل إلى الأرض والماء التي حصل عندها:**

فشنيع فعل قوم ثمود بقي أثره على أرضهم ومائهم، ففي الحديث الصحيح عن عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ، أَنَّ النَّاسَ نَزَلُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى الْحِجْرِ - أَرْضِ ثَمُودَ - فَاسْتَقَوْا مِنْ آبَارِهَا، وَعَجَنُوا بِهِ الْعَجِينَ «**فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُهَرِيقُوا مَا اسْتَقَوْا،**

---

(١) جامع البيان ١٦/ ٥٢٧.

(٢) مسند أحمد ٢٢/ ٦٦ (١٤١٦٠) وقال شعيب الأرناؤوط: حديث قوي، وهذا إسناد على شرط مسلم، المستدرك للحاكم ٢/ ٣٥١ (٣٢٤٨) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وَيَعْلِفُوا الْإِبِلَ الْعَجِينَ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنَ الْبِئْرِ الَّتِي كَانَتْ تَرِدُهَا النَّاقَةُ»[(١)].

وعن سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا مَرَّ بِالْحِجْرِ «قرية ثمود»، قَالَ: (لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ ثُمَّ تَقَنَّعَ بِرِدَائِهِ وَهُوَ عَلَى الرَّحْلِ)[(٢)].

✧ تاسعاً: تناهي الإجرام موجب للهلاك:

«إن عقوبات الله للأمم الطاغية عند تناهي طغيانها وتفاقم جرائمها، فكُفرهم وتكذيبهم موجب للهلاك، ولكن تحتم الإهلاك عند تناهي إجرامهم؛ لأن الله تعالى بالمرصاد فيمهل ثم يمهل حتى إذا أخذهم، أخذهم أخذ عزيز مقتدر»[(٣)].

✧ عاشراً: خطر العقائد الباطلة الموروثة في قبول الحق:

«أن العقائد الباطلة الراسخة المأخوذة عمن يحسن بهم الظن من آباء أو غيرهم من أكبر الموانع لقبول الحق، والحال أنها ليست في العير ولا في النفير، ولا لها مقام في الحجج الصحيحة الدالَّة على الحقائق، فلهذا أكبر ما رد به قوم صالح لدعوته أن قالوا: أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا، وقالت جميع الأمم المكذبة رادِّين لدعوة الرسل: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

وهذا سبيل لا يزال معمورا بالسالكين من أهل الباطل، نهجته الشياطين ليصدوا به العباد عن سبيل الله، ومن المعلوم أن طريق الرسل هي طريق الهدى والحق، فماذا بعد الحق إلا الضلال»[(٤)].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا (٢٩٨١).

(٢) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ [الأعراف: ٧٣] (٣٣٨٠).

(٣) تيسير اللطيف المنان ص١٩٧.

(٤) تيسير اللطيف المنان ص١٩٧.

المبحث الرابع

دعوة لوط عليه السلام

المطلب الأول التعريف بلوط عليه السلام وقومه.

المطلب الثاني الصفات الدعوية للوط عليه السلام.

المطلب الثالث أسس دعوة لوط عليه السلام.

المطلب الرابع وسائل وأساليب دعوة لوط عليه السلام.

المطلب الخامس موقف قوم لوط من دعوته.

المطلب السادس نتيجة دعوة لوط عليه السلام.

المطلب الأول
التعريف بلوط عليه السلام وقومه

لوط مشتق من قولهم هذا أليط بقلبي أي ألصق [١].

وهو: لوط بن هاران بن آزر، آزر هو تارح، ابن أخي إبراهيم عليه السلام، وكان لوط عليه السلام ممن آمن بعمه إبراهيم، وهاجر معه، واستقر بالشام.

أما قومه: فقد أرسل الله تعالى لوطاً إلى أهل سدوم من غور فلسطين، وما حولها من القرى - وهي اليوم من أراضي فلسطين المحتلة - وكانوا أهل كفر وفاحشة [٢].

فقد أرسله الله إلى قومه يدعوهم إلى الله عز وجل، ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عما كانوا يرتكبونه من المآثم، وما يقترفونه من الفواحش، التي لم يسبقهم بها أحد من بني آدم، ولا غيرهم، وهو إتيان الذكور.

«فقصة لوط عليه السلام تبع لقصة إبراهيم، لأنه تلميذه وقد تعلم من إبراهيم، وكان له بمنزلة الابن، فنبأه الله بحياة الخليل، ولما أراد الله هلاك قوم لوط أرسل الملائكة لذلك، فمروا بطريقهم على إبراهيم وأخبروه بذلك، فجعل إبراهيم يجادل في إهلاكهم - وكان رحيما حليما - وقال: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٢] فقيل: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۖ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ [هود: ٧٦]» [٣].

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب محمد صديق خان ٤/ ٤٠٢.

(٢) المختصر في أخبار البشر ١/ ١٥.

(٣) تيسير اللطيف المنان ص٢١٥.

وقد ورد ذكر قصة لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ مع قومه في سور: الأعراف، هود، الحِجر، الأنبياء، الشعراء، النمل، العنكبوت، الصافات، القمر، وجاءت هذه القصة تارة بصورة مفصلة، وتارة بشيء من الاختصار، وأشير لها في سورتي: الحج وص.

المطلب الثاني
الصفات الدعوية للوط عَلَيْهِ السَّلَامُ

❑ أولاً: فضَّلَه اللهُ على من في زمانه:

قال تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٦]، أي: بيَّنا لهم الحق ووفقناهم له، وفضلنا جميعهم ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، يعني: على عالم أزمانهم[(١)].

❑ ثانياً: أنه من المتطهّرين:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٢]، فكان تطهّره عَلَيْهِ السَّلَامُ من رذائل قومه، ومما كانوا عليه من فاحشة، الصفة الفارقة بينه وبين قومه، والتي استنكرها قومه لشدة غيِّهم وضلالهم، فهم قالوها سخرية بلوط عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقولهم: ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ «سخرية بهم، وبتطهرهم من الفواحش، وافتخار بما كانوا فيه من القذارة؛ كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء إذا وعظهم: أبعدوا عنا هذا المتقشف، وأريحونا من هذا المتزهد»[(٢)].

---

(١) جامع البيان ١١/ ٥١٢.

(٢) محاسن التأويل ٥/ ١٣٩.

❑ ثالثاً: الأمانة والعفة عما في أيدي المدعوين من حطام الدنيا:

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٠ – ١٦٤].

❑ رابعاً: شفقته وحزنه من فعل قومه:

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [هود: ٧٧]، أي إنه حزن بسبب خوفه عليهم أن يجرى عليهم من قومه ما لا يجوز في دين الله، فذلك الحزن كان لحقّ الله لا لنصيب له أو حظّ لنفسه، ولذلك حُمد عليه لأنّ مقاساة الحزن لحقّ الله محمودة[١].

❑ خامساً: آتاه الله حكماً وعلماً:

قال تعالى: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٤]، أي: وآتيناه أو واذكر لوطا، ثم استأنف قوله: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ﴾ أي بعظمتنا، ﴿حُكْمًا﴾ أي نبوة وعملا محكما بالعلم، ﴿وَعِلْمًا﴾ مزينا بالعمل[٢].

«وآتينا لوطا حكما، وهو فصل القضاء بين الخصوم، وعلما: يقول: وآتيناه أيضا علما بأمر دينه، وما يجب عليه لله من فرائضه»[٣].

❑ سادساً: إدخال الله له في رحمته:

قال تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ﴾ [الأنبياء: ٧٥]، أي: في الأحوال السنية، والأقوال

(١) لطائف الإشارات ٢/ ١٤٨.
(٢) نظم الدرر ١٢/ ٤٥٠.
(٣) جامع البيان ١٨/ ٤٧٢.

العلية، والأفعال الزكية، التي هي سبب الرحمة العظمى ومسببة عنها [(١)]، «من دخلها، كان من الآمنين، من جميع المخاوف، النائلين كل خير وسعادة، وبر، وسرور، وثناء، وذلك لأنه من الصالحين» [(٢)].

❑ سابعاً: أنه من الصالحين:

قال تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَـٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٥] «من الصالحين، الذين صلحت أعمالهم وزكت أحوالهم، وأصلح الله فاسدهم، والصلاح هو السبب لدخول العبد برحمة الله، كما أن الفساد، سبب لحرمانه الرحمة والخير» [(٣)].

❑ ثامناً: أنه رسولٌ أمين:

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٦١ - ١٦٢] ، فكان عَلَيْهِ السَّلَامُ محلاً للثقة، وأجدر عليها، وأحق بها، فهو الرسول المرسل من عند الله تبارك وتعالى، الأمين المستأمن على خبر السماء، فكان حقه الطاعة والاتباع ، وليس الإعراض وعدم الانصياع.

❑ تاسعاً: الإخلاص واحتسابه الأجر من الله تبارك وتعالى:

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٤] ، فلم يكن عَلَيْهِ السَّلَامُ ينتظر منهم أجر ما يدعوهم إليه من عبادة الله تعالى، وترك كل ما هو خبيث ومستقبح ، بل كان محتسباً راجياً الأجر من الله تبارك وتعالى الذي لا يضيع عنده شيء، وعلى هذه السُّنة يجب أن يكون الدعاة إلى الله تعالى.

(١) نظم الدرر ١٢/ ٤٥١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص٥٢٧.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص٥٢٧.

عاشراً: دعاؤه الله تعالى:

قال تعالى عن لوط عليه السلام: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٩].

«فاستغاث لوط حين توعده قومه بالإخراج من بلدهم إن هو لم ينته عن نهيهم عن ركوب الفاحشة» (١).

فدعا لوط ربه أن ينجيه: «من شؤم عملهم أو الذي يعملونه وعذابه الدنيوي وقيل: يحتمل أن يكون دعاء بالنجاة من التلبس بمثل عملهم، وقيل: قد يدعو المعصوم بالحفظ عن الوقوع فيما عصم عنه كما يدل عليه قوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام: واجنبني وبني أن نعبد الأصنام، وهو مسلم» (٢).

وكذلك دعا ربه أنه ينصره على قومه بقوله: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٠].

المطلب الثالث

أسس دعوة لوط عليه السلام

أولاً: أمرهم بتقوى الله تبارك وتعالى:

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء: ١٦٠ - ١٦٣]، فكان حثهم على تقوى الله وخشيته في جميع أعمالهم، لتكون مانعاً لهم من مقارفة الفواحش والمنكرات.

(١) جامع البيان ١٩/ ٣٨٩.
(٢) روح المعاني١٩/ ١١٦ باختصار.

ثانياً: إيمان بالرسالة والنبوة:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٣٣]، وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٦١ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٦١ - ١٦٢]، فإيمانهم برسالته عليه السلام من أهم وأولى الأولويات، وذلك لأنها هي أساس اتباعهم له، وانقيادهم لأوامره.

ثالثاً: النهي عن فاحشة اللواط ومساوئ الأخلاق:

قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٠ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨٠ - ٨١] وقال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٥٤ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۝٥٥﴾ [النمل: ٥٤ - ٥٥].

وقال تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٥ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٥ - ١٦٦].

وقال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٨ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت: ٢٨ - ٢٩].

فقد بلغ من شناعتهم أنهم يقطعون الطريق ويفعلون هذه الفاحشة الشاذة في المسافرين الغرباء، كما قال تعالى: ﴿وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ أي: «وتقطعون المسافرين عليكم بفعلكم الخبيث، وذلك أنهم فيما ذُكر عَنْهم كانوا يفعلون ذلك بمن مرّ عليهم من المسافرين، من ورد بلادهم من الغرباء»[1].

(١) جامع البيان ٢٠/ ٢٨.

وكذلك من إجرامهم ما أنكر عليهم لوط بقوله: ﴿وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَ﴾، قال ابن جرير: «اختلف أهل التأويل في المنكر الذي عناه الله، الذي كان هؤلاء القوم يأتونه في ناديهم، فقال بعضهم: كان ذلك أنهم كانوا يتضارطُون في مجالسهم.. وقيل: بل كان ذلك أنهم كانوا يحذفون من مر بهم. وقال بعضهم: بل كان ذلك إتيانهم الفاحشة في مجالسهم»[1].

ولذا استحقوا أن يصفهم الله بثلاث صفات الجهل والاعتداء والإسراف، ووصفوا كذلك بالظلم والإفساد والفسق، والإجرام كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٠]، وكما وصفتهم الملائكة بقولهم: ﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ [العنكبوت: ٣١]. وكما في قوله تعالى تعقيبا على عذابهم: ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾ [العنكبوت: ٣٤]. وقوله: ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٤].

فهم كانوا مصابين بفساد العقل، وانحراف الفِطَر، وتجاوز الحدود التي ترتضيها النفوس، فالنفوس البشرية عندما تنتكس وترتكس، تصل في مجاهرتها بإتيان الفواحش إلى ما لم تصل إليه بعض الحيوانات.

فلما كانت معصية قوم لوط الكبرى والتي لم يسبق أن فعلها أحد من الأمم، كان تأكيد نبي الله لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ على الابتعاد عنها والتنبيه على مدى فحشها وقبحها مراراً وتكراراً.

(١) جامع البيان ٢٠/ ٢٩- ٣٠ باختصار.

المطلب الرابع
وسائل وأساليب دعوة لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ

أولاً: التوبيخ وتعظيم الذَّنب وبيان خطره على مرتكبه:

قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨٠ - ٨١]، أي: أتأتون هذه الخصلة الفاحشة الخسيسة المتمادية في الفحش والقبح وهي أدبار الرجال، قاله ابن عباس، قال ذلك إنكاراً عليهم وتوبيخاً لهم ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي لم يفعلها أحد من قبلكم، فإن اللواط لم يكن في أمة من الأمم قبل هذه الأمة (١).

ثانياً: الترغيب والترهيب:

قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [هود: ٧٨]، فهو ترغيب لهم في الرشد لما رآهم مقدمون على أضيافهم، فذكرهم أن امتناعهم عن هذا المنكر فيه الرشد والصلاح في الدنيا والآخرة، ولكنه عَلَيْهِ السَّلَامُ لما رأى إصرارهم وتماديهم في باطلهم وغيهم، خوَّفهم بأنه لو يستطيع أن يعاقبهم بعذاب شديد لفعل، من شدة إعراضهم وانغماسهم في شهواتهم العفنة، قال تعالى: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠].

---

(١) فتحُ البيان في مقاصد القرآن ٤/ ٢٠٤.

ثالثاً: إيجاد البدائل الشرعية:

وهذا أسلوب يغفل عنه كثير من الدعاة إلى الله تعالى، فتجد بعضهم ليس عنده إلا إنذار الناس عن ما حرم الله وفقط -وهذا بلا شك مطلوب، بل وواجب- ولكن لابد من إظهار أن الله ما حرم حراماً إلا وجعل له بديلاً شرعياً طيباً.

فقد اتخذ لوط عليه السلام مع قومه هذا الأسلوب ليحببهم فيما أباحه الله لهم، وليلفت أنظارهم أن هذا المباح سهلٌ الحصول عليه، بل وهو الأطهر والأوفق لفطرهم التي فُطروا عليها، وليصرفهم كذلك عن ما هم فيه من شهوات مهلكات بهذا الحلال الطيب، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ ٦٨ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ ٦٩ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٠ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾ [الحجر: ٦٨ - ٧١] ، وقال: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ﴾ [هود: ٧٨].

رابعاً: الحكمة والموعظة الحسنة:

وهذا يظهر جلياً في جميع حوارات لوط عليه السلام مع قومه كما مرت معنا في الآيات، حيث كان يتعامل بحكمة بالغة ، لكل موقف مقاله ومناسبته ، فتجده في وقت اللِّين يلين معهم ، وفي موقف الشدة يشتد معهم في الخطاب ، وفي موقف الإنذار والتحذير يعطيه ما يناسبه، مع موعظته لهم بالحسنى عند إيجاد الفرص السانحة لذلك، وهذا بلا شك من حكمة الداعي إلى الله، بأن يعطي لكل موقف ومقال مقاله اللازم له بحكمة وحسن تدبير.

خامساً: الحوار والمناقشة:

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٧٧-٨٠]، فهذا الحوار الدائر بين لوط عليه السلام وقومه، يبيِّن لنا كيف كان عليه السلام دائم الحديث والمناقشة مع قومه، وكيف أنه كان يحاورهم ويناقشهم رجاء أن يقتنعوا بكلامه ويؤمنوا بما أُنزل إليه من عند الله تبارك وتعالى، ورجاءاً منه عليه السلام كذلك أن يمتنعوا عن رغباتهم الشهوانية الحيوانية المحرمة، من خلال حواره الهادئ المقنع، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

سادساً: أسلوب الاستفهام الاستنكاري:

قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [النمل: ٥٤]، فهذه الأسئلة من لوط عليه السلام لقومه، هي استنكارٌ لفعلهم، ولشنيع صنيعهم، وفيه كذلك احتقارٌ لهم وهم على هذه الفواحش، في قوله ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ فليس هناك إنسان سَويّ يستطيع أن يفعل فعلكم هذا.

سابعاً: إعلان البراءة من عملهم:

قال تعالى عن لوط عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٨].

«**يقول لهم لوط**: إني لعملكم الذي تعملونه من إتيان الذكران في أدبارهم من القالين، يعني من المبغضين، المنكرين فعله» [١].

أي: «فأنا أرغب في الخروج عن دياركم، والراحة من مجاورتكم، لبغضي لعملكم، الآيل بكم إلى الدمار وخراب الديار. ولذا أتبعه بقوله رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ أي من شؤمه وغائلته» [٢]. فالقلى: الكره البالغ. يقذف به لوط في وجوههم في اشمئزاز.

ثامناً: الخطب والمواعظ في الميادين العامة:

فقد كان عَلَيْهِ السَّلَامُ يخرج لقومه في مجالسهم وميادينهم ، فيعظهم ويذكرهم بالله تعالى ، رغم ما كان يلاقيه من أذى وعناد منهم ، قال تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٩].

تاسعاً: الهجرة:

لما علم لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ بأن العذاب نازلٌ لا محالة على قومه، لتكذيبهم به وأعراضهم عنه، أمره الله تبارك وتعالى بترك أرض قومه والهجرة إلى مكان نقي، يخلو من هؤلاء الفساق، لينجو بمن معه ممن ءامن به واتبعه، من عذاب الله الذي سيقع بقومه، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ

(١) جامع البيان ١٩/ ٣٨٩.

(٢) محاسن التأويل ٧/ ٤٧١.

ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ﴾ [هود: ٨١] ، وقال تعالى: ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَٱتَّبِعۡ أَدۡبَٰرَهُمۡ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٞ وَٱمۡضُواْ حَيۡثُ تُؤۡمَرُونَ ٦٥ وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقۡطُوعٞ مُّصۡبِحِينَ﴾ [الحجر: ٦٥ - ٦٦].

المطلب الخامس

موقف قوم لوط من دعوته

كان موقف قوم لوط عليه السلام متمثل في الصد والاستهزاء والاستخفاف والوعيد والتهديد، كما قال تعالى عنهم: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوهُم مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٢]. وقال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: ٥٦]. وقال تعالى: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٧].

فالظالمون إذا أعيتهم الحجج والبراهين يفزعون إلى القوة، قال ابن القيم: «وقول اللوطية: ﴿أَخۡرِجُوهُم مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٢] من جنس قوله سبحانه في أصحاب الأخدود: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨]، وهكذا المشرك؛ إنما ينقم على الموحد تجريده للتوحيد وأنه لا يشوبه بالإشراك، وهكذا المبتدع إنما ينقم على السنيّ تجريده متابعة الرسول، وأنه لم يَشُبها بآراء الرجال، ولا بشيء مما خالفها. فصبر الموحد المتبع للرسول على ما ينقمه عليه أهل الشرك والبدعة خير له وأنفع، وأسهل عليه من صبره على ما ينقمه الله ورسوله من موافقة أهل الشرك والبدعة»[(١)].

(١) إغاثة اللهفان ١/ ٦٧.

بل طلبوا العذاب تحديا: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٩] فهم لم يفعلوا ما فعلوه على استحياء وغفلة من الناس، بل أعلنوا في فاحشتهم، وظاهروا في باطلهم؛ استخفافاً بما جاءهم به لوط عليه السلام، واستهزاء بالقيم والفضائل والأخلاق.

المطلب السادس

نتيجة دعوة لوط عليه السلام

١- أرسل الله سبحانه عدداً من الملائكة لطمأنة لوط عليه السلام، وتثبيته على موقفه، وإخباره بهلاك قومه ونجاته استجابة لدعائه، ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود: ٨١].

٢- هلاك منتكسي الفطرة المعرضين عن هدي الله، والمستخفين برسالة الأنبياء، كما أخبر سبحانه: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٣ - ٧٤]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ [هود: ٨٢].

٣- كما هي سنة الله الجارية في صراع الحق والباطل، والخير والشر، والفضيلة والرذيلة، فقد نجَّا الله سبحانه لوطاً عليه السلام والذين آمنوا معه، قال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ

وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ [الأعراف: ٨٣]، وقال: ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الشعراء: ١٧٠ - ١٧٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾ [الصافات: ١٣٣ - ١٣٦].

فتخلصت البشرية من أناس منتكسةٌ فطرهم، مريضةٌ قلوبهم، عاميةٌ أبصارهم عن الحق، ودين الله تعالى ليس فيه محاباة لأحد؛ فإن امرأة لوط لما عصت جعلها الله من المعذبين.

إنها النجاة لمن تهددهم العصاة، كما أنها هي الفصل بين القوم على أساس العقيدة والمنهج. فامرأته - وهي ألصق الناس به - لم تنج من الهلاك. لأن صلتها كانت بالغابرين المهلكين من قومه في المنهج والاعتقاد.

المطلب السابع

الدروس المستفادة من دعوة لوط عليه السلام

١- «وفي هذه القصة أكبر دليل على أن فاحشة اللواط من أشنع القبائح، وأنها توجب العقاب الشديد، وأن من ابتلي بهذه الفاحشة فمع ذهاب دينه قد انقلب عليه الحسن بالقبيح، فاستحسن ما كان قبيحا، ونفر من الطيب، وذلك دليل على انحراف الأخلاق.

٢- وفيها وفي قصة إبراهيم، جواز التعريض، أما قصة إبراهيم ففي قوله: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٨ - ٨٩]، وأما لوط ففي قوله: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ

﴿بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود: ٧٨] والتعريض يكون في الأقوال، ويكون في الأفعال، وهو أن يقصد المتكلم أو العامل لعمل أمرا من الأمور التي لا بأس بها، ويوهم السامع والرائي أمرا آخر؛ ليستجلب منفعة، أو يدفع مضرة.

٣- أن من علامة الرجل الرشيد أنه هو المسدد في أقواله وأفعاله، ومن ذلك أنه ينصر المظلومين، ويفرج الكرب عن المكروبين، ويأمر بالخير، وينهى عن الشر، هذا هو الرشيد حقيقة، فلهذا قال لوط: ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [هود: ٧٨]؟ أي: فيأمر بمعروف، وينهى عن منكر، ويدفع أهل الشر والبغي.

٤- **ومنها**: الحث على السعي في الإعانة على أمور الخير ودفع الشر، ولو كان المعاون على ذلك من أهل الشر، فإن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم عند الله، ولهذا قال لوط: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠] وأكثر الأنبياء يبعثهم الله في أشراف قومهم، ويحصل بذلك من تأييد الحق وقمع الباطل، والتمكن من الدعوة ما لا يحصل لو لم يكن كذلك، واعتبر هذا بحال شعيب وقول قومه له: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود: ٩١] وكذلك نبينا محمد بعث في أشرف بيت في قريش وأعزه، وقد رماه قومه بالعداوة البليغة، وعقدوا المجالس المتعددة في إبطال قوله ودينه، بل وفي كيفية الفتك به، ومن الأسباب التي أوقفتهم عند حدهم خوفهم من قبيلته، وانظر إلى حالته في تضييقهم عليه بالشعب، وانحياز قبيلته معهم - مسلمهم وكافرهم - ولم يخطر ببالهم أنهم يصلون إلى الفتك بشخصه الكريم حتى مكروا ذلك المكر العظيم، إذ اتفق رأيهم على أن ينتدب لقتله من

كل قبيلة رجل ليتفرق دمه في القبائل، فيعجز قومه عن الأخذ بثأره، ولكنهم يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين»[(١)].

٥- الداعية إلى الله تعالى يجب عليه أن يبذل قصارى جهده مع من يدعوهم، مهما كان فعلهم شنيعاً أو بغيضاً أو حتى منافياً للفطر السلمة القويمة، فالهداية بيد الله تعالى، فلعل الله أن يهديهم إلى الحق والرشاد.

٦- أصحاب الإيمان العميق، والخلق القويم، والغيورين على طهارة النفوس وأعراض الناس، يستميتون في الذب عن دينهم، وعن كل ما أمر الله تعالى بالدفاع عنه، وهذا ما رأيناه في قصة لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٧- أن العاقبة دائماً تكون للمتقين، ولمن هم على طاعة الله تعالى، فهم مآلهم إلى الفلاح في الدنيا، وإن طال بهم البلاء ، والنجاة في الآخرة بإذن الله تعالى من العذاب.

٨- العوذ والالتجاء إلى الله تعالى في طريق الدعوة، من أفضل ما يعين الداعية ويقوِّيه على ما يلاقيه من محن ومصاعب وعقبات تواجهه في دعوته.

٩- لابد للداعية من أن تكون له قوة ومنعة، يستعين بها على حفظ دعوته والذود عنها، أو أن يستعين بغيره ممن له القوة والمنعة للقيام بهذه المهمة، مهمة الدفاع عن الدعوة وردع كل فاجر عنيد، كما قال لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٖ شَدِيدٖ﴾ [هود: ٨٠]. فلوط عَلَيْهِ السَّلَامُ على الرغم من قوة إيمانه، وعلو همته، وعظيم غيرته، تمنى أن تكون له قوة باطشة، تردع قومه عن منكرهم، وتردهم عن باطلهم.

١٠- مهمة الداعية الأولى هي الدعوة إلى تقوى الله، والأخذ بالأساليب الحكيمة لإخراج الناس مما هم فيه من فساد وضلال، وأن يكون عمل الداعية ليس تحصيلاً

---

(١) تيسير اللطيف المنان ص٢١٧- ٢١٨.

لأجر دنيوي أو كسباً لسمعة، بل الالتزام بأمر الله في الدعوة إلى دينه الحق، وإخراج الناس من حمأة الظلمات.

١١- اقتضت حكمة الله سبحانه أن تكون عقوبته العادلة للمجرمين متناسبة مع جرائمهم وقبائحهم،، يؤكد ذلك، أن قوم لوط عليه السلام حين قلبوا الأوضاع، وتركوا ما أحله الله لهم، وانغمسوا فيما حرمه سبحانه، كانت العقوبة متسقة مع قبائحهم، حيث عاقبهم بأن جعل ما هو الأعلى من قريتهم هو الأسفل.

١٢- تمحيص الصفوف وتخليصها ممن ليس منها، فها هي زوجة لوط عليه السلام لم تستجب لدعوة زوجها ، بل أقرت بما كان يفعله قومه من فواحش ومنكرات، فهي وإن لم ترتكب شيء من هذه المنكرات، إلا أنها كانت تعينهم عليها وتقرهم بها، فكان حكمها كحكمهم، وعاقبتها كعاقبتهم.

١٣- خُتمت قصة لوط عليه السلام بالدعوة إلى التفكر والتدبر في عاقبة المعرضين عن الله وشرعه، والمخالفين لسنن الفطرة التي فطر الله الناس عليها، الذين تمر عليهم العبر والعظات، فلا يعتبرون ولا يتعظون، ولا يتفكرون فيها، لاستيلاء الأهواء والشهوات على نفوسهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٤]. وقال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٧٤ - ٧٧]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٣٥].

المبحث الخامس

دعوة شعيب عليه السلام

المطلب الأول التعريف بشعيب عليه السلام وقومه.

المطلب الثاني الصفات الدعوية لشعيب عليه السلام.

المطلب الثالث أسس دعوة شعيب عليه السلام.

المطلب الرابع وسائل وأساليب دعوة شعيب عليه السلام.

المطلب الخامس موقف قوم شعيب من دعوته.

المطلب السادس نتيجة دعوة شعيب عليه السلام.

المطلب السابع الدروس المستفادة من دعوة شعيب عليه السلام.

المطلب الأول
التعريف بشعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه

شعيب هو رجل نبّأه الله تعالى برسالته إلى أهل مدين وهم أصحاب الأيكة أو لَيْكة(١).

وقومه هم مَدْيَن لأنهم من صلب مدين بن إبراهيم فنسبوا إليه؛ وقيل: هو اسم مدينتهم فنسبوا إليها وكانوا يسكنونها، وهي تقع في أرض معان من أطراف الشام قريبا من بحيرة قوم لوط(٢).

فقد أرسل الله تعالى نبيه شعيباً عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى مدين أصحاب الأيكة، قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٧٦ - ١٧٧].

قال ابن كثير: «هؤلاء - يعني أصحاب الأيكة - هم أهل مدين على الصحيح، وكان نبي الله شعيب من أنفسهم، وإنما لم يقل هاهنا - في الآية الثانية - أخوهم شعيب لأنهم نسبوا إلى عبادة الأيكة، وهي: شجر ملتف كالغيضة كانوا يعبدونها، فلهذا لما قال كذب أصحاب الأيكة المرسلين لم يقل إذ قال لهم أخوهم شعيب إنما قال: إذ قال لهم شعيب.

فقطع نسب الأخوة بينهم للمعنى الذي نسبوا إليه. وإن كان أخاهم نسباً، ومن الناس من لم يفطن لهذه النكتة فظن أن أصحاب الأيكة غير أهل مدين، فزعم أن شعيباً عَلَيْهِ السَّلَامُ بعثه الله إلى أمتين، ومنهم من قال ثلاث أمم.. والصحيح أنهم أمة واحدة وصفوا في كل مقام بشيء، ولهذا وعظ هؤلاء وأمرهم بوفاء المكيال والميزان، كما في قصة

(١) قراءتان متواترتان.

(٢) معجم البلدان لياقوت الحموي ٥/ ٧٧، وتقع مدينة مديَن قرب مدينة البدع التابعة لتبوك، وتحديداً في الجهة الشمالية الغربيّة من المملكة العربيّة السعوديّة، وتبعد المدينة عن منطقة تبوك ما يقارب ١٧٠كم.

مدين سواء بسواء، فدل ذلك على أنهم أمة واحدة»[(١)].

وذكرت قصة شعيب عليه السلام في القرآن خمس مرات في سور: الأعراف وهود والحجر والشعراء والعنكبوت، بينما ذكر اسم نبي الله شعيب عليه السلام ١١ مره.

المطلب الثاني

الصفات الدعوية لشعيب عليه السلام

إن نبي الله شعيب عليه السلام اتسم بصفات دعوية - وحق له ذلك - إذ الله أرسله برسالته ليبلغها لقومه، فهذا يترتب عليه أن يكون هو هاديا في نفسه متصفا بصفات حميدة صالحة لدعوة غيره من البشر كما قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد٧].

ومن تلك الصفات:

◆ **أولاً: كثير الصلاة:**

ولكثرته للصلاة، سفَّهه قومُه بقولهم: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود٨٧].

قال الزمخشري: «كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات، وكان قومه إذا رأوه يصلى تغامزوا وتضاحكوا، فقصدوا بقولهم أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ السخرية والهزء»[(٢)].

وقال القاسمي: «كان شعيب كثير الصلاة، فلذلك جمعوا وخصوا الصلاة بالذكر»[(٣)].

وقال ابن عاشور: «فلما كانت الصلاة أخص أعماله المخالفة لمعتادهم جعلوها

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٦/ ١٥٨.

(٢) الكشاف ٣/ ٤١٩.

(٣) محاسن التأويل ٦/ ١٢٥.

المشيرة عليه بما بلّغه إليهم من أمور مخالفة لمعتادهم»[١].

◆ **ثانياً: الحلم والرشد:**

وذلك أن قومه سجلوا له هذا التقرير على وجه السخرية مقرّين حتما تمكن هذه الصفة فيه فقالوا: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ [هود٨٧]. «أي الموصوف بالحلم والرشد في قومك يعنون أن ما تأمر به لا يطابق حالك، وما شهرت به»[٢].

أي: «أئنك أنت الذي، الحلم والوقار، لك خلق، والرشد لك سجية، فلا يصدر عنك إلا رشد، ولا تأمر إلا برشد، ولا تنهى إلا عن غي»[٣].

ومما يشهد لذلك أن قومه لما هاجموه وشتموه لم يكن عائقا لوعظه ونصحه إياهم بل صبر وثبت، استمع إلى حدّة قولهم وحسن إجابته لهم: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًاۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [هود٩١ – ٩٢].

◆ **ثالثاً: العلم:**

قال الله تعالى حاكيا قول شعيب: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ [هود: ٨٨].

«**قال شعيب لقومه:** يا قوم أرأيتم إن كنت على بيان وبرهان من ربي فيما أدعوكم إليه من عبادة الله، والبراءة من عبادة الأوثان والأصنام، وفيما أنهاكم عنه من إفساد المال»[٤].

---

(١) التحرير والتنوير ١٢/ ١٤١.
(٢) محاسن التأويل ٦/ ١٢٥.
(٣) تيسير الكريم الرحمن ٣٨٧.
(٤) جامع البيان ١٥/ ٤٥٣.

«أي: أخبروني إن كنت على برهان يقيني مما أتاني ربي من العمل والنبوة وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً أي مالا حلالا مكتسبا بلا بخس وتطفيف، أو حكمة ونبوّة، وكمالا وتكميلا، بالاستقامة على التوحيد»(١).

◆ **رابعاً: التواضع:**

قال تعالى حاكيا قول شعيب: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [هود٨٨]. «يقول ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾، يقول: ما قدرت على إصلاحه»(٢).

فلم يَدَّعِ أنه قادر على الإصلاح الشامل الكامل، وإنما قيده بالاستطاعة، وهذا أمر يغفل عنه الدعاة عندما يعلنون عن برامجهم.

◆ **خامساً: موافقة قوله فعله من أمر أو نهي:**

قال تعالى حاكيا قول شعيب: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [هود٨٨]. «يقول: وما أريد أن أنهاكم عن أمر ثم أفعلُ خلافه، بل لا أفعل إلا ما آمركم به، ولا أنتهي إلا عما أنهاكم عنه»(٣).

«فلست أريد أن أنهاكم عن البخس، في المكيال، والميزان، وأفعله أنا، وحتى تتطرق إليّ التهمة في ذلك. بل ما أنهاكم عن أمر إلا وأنا أول مبتدر لتركه»(٤).

◆ **سادساً: التوكل والإنابة:**

قال الله تعالى عن شعيب: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود٨٨].

«ولما كان هذا فيه نوع تزكية للنفس، دفع هذا بقوله:: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ أي:

(١) محاسن التأويل ٦/ ١٢٥.
(٢) جامع البيان ١٥/ ٤٥٤.
(٣) جامع البيان ١٥/ ٤٥٣.
(٤) تيسير الكريم الرحمن ٣٨٧.

وما يحصل لي من التوفيق لفعل الخير والانفكاك عن الشر إلا بالله تعالى؛ لا بحولي ولا بقوتي»[(١)].

فقوله: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ أي: «وما إصابتي الحق في محاولتي إصلاحكم وإصلاح أمركم إلا بالله، فإنه هو المعين على ذلك، إلا يعنّي عليه لم أصب الحق فيه.

﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ أي: إلى الله أفوض أمري، فإنه ثقتي، وعليه اعتمادي في أموري.

﴿وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ أي: وإليه أقبل بالطاعة، وأرجع بالتوبة»[(٢)]، «وبهذين الأمرين تستقيم أحوال العبد، وهما الاستعانة بربه، والإنابة إليه، كما قال تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِ﴾ [هود: ١٢٣]، وقال: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]»[(٣)].

فشعيب: «استوفق ربه في إمضاء الأمر على سننه، وطلب منه التأييد والإظهار على عدوّه»[(٤)] و«العبد ينبغي له أن لا يتكل على نفسه طرفة عين بل لا يزال مستعينا بربه متوكلا عليه سائلا له التوفيق وإذا حصل له شيء من التوفيق فلينسبه لموليه ومسديه ولا يعجب بنفسه»[(٥)].

وفي آخر القصة نجد شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ يواجه عناد قومه بقوله: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩].

«**يقول:** على الله نعتمد في أمورنا وإليه نستند فيما تعِدوننا به من شرِّكم، أيها القوم، فإنه الكافي من توكَّل عليه..»[(٦)]، إنه يعرف مصدر القوة، وملجأ الأمان. ويعلم أن ربه هو

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٣٨٧.

(٢) جامع البيان ١٥/ ٤٥٤.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ٣٨٧.

(٤) الكشاف٢/ ٤٢١.

(٥) تيسير الكريم الرحمن ص٣٨٨.

(٦) جامع البيان ١٢/ ٥٦٣.

الذي يفصل بالحق بين الإيمان والطغيان. ويتوكل على ربه وحده في خوض المعركة المفروضة عليه وعلى المؤمنين معه، والتي ليس منها مفر، إلا بفتح من ربه ونصر.

وكذلك في هذا الدعاء «إشارة إلى ميله إلى الدعاء بهدايتهم، وأدب بعدم التصريح بما لم يؤذن له فيه»[(١)].

◆ سابعاً: الثبات على الحق:

قال تعالى عن شعيب: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩].

ما يملك صاحب دعوة أن يتراجع خطوة واحدة وراء، تحت أي ضغط أو أي تهديد من الطواغيت.. وإلا تنازل كلية عن الحق الذي يمثله وخانه.

ولكن هذا الثبات من شعيب كان بأدب حيث رتب ذلك الثبات على المشيئة بقوله: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ «زيادة في حث أمته على الالتجاء والتبري من الحول والقوة، أي لا علم لنا بخواتم العمال والعلم لله فهو التام العلم الكامل القدرة»[(٢)].

فبقدر ما يرفع رأسه وصوته، في مواجهة الظالمين من البشر من الملأ الذين استكبروا.. بقدر ما يخفض هامته، ويسلم وجهه في مواجهة ربه الجليل، الذي وسع كل شيء علماً. فهو في مواجهة ربه، لا يتألى عليه ولا يجزم بشيء أمام قدره، ويدع له قياده وزمامه، ويعلن خضوعه واستسلامه.

«لم تزل الأنبياء والأكابر يخافون العاقبة، وانقلاب الأمر، ألا ترى إلى قول

(١) نظم الدرر ٣/ ٧٠.
(٢) نظم الدرر٣/ ٦٩.

الخليل عليه السلام: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]؟ وكان نبيّنا محمد ﷺ كثيراً ما يقول: (يا مقلّب القلوب! ثبّت قلبي على دينك)[١]»[٢].

◆ **ثامناً: العدل:**

عندما دعا شعيب على قومه كان عادلا طالبا للحق والعدل، قال تعالى: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩]. «بالحق: أي بالأمر الفيصل من معاملة كل من المحقّ والمبطل بما يستحقه شرعاً وعرفاً بحيث يكون لكل فريق باب يصل به إلى غاية أمره وهذا مقام الإنصاف، فقد علم من إشارة قوله العناية بقومه، ومن عبارته الإنصاف من نفسه، ولو أراد ترجيح نفسه ومتبعيه لدعا لهم أن يعاملوا بالفضل وأن يعامل ضدهم بالعدل»[٣].

المطلب الثالث

أسس دعوة شعيب عليه السلام

إن الأسس التي بنى عليها شعيب عليه السلام دعوته ترتكز على الآتي:

✧ **أولاً: الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك:**

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾ [هود٨٤]، وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾ [العنكبوت٣٦].

---

(١) سنن ابن ماجه كتاب الدعاء، باب دعاء رسول الله ﷺ (٣٨٣٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٠٩١).

(٢) محاسن التأويل ٥/ ١٥٢.

(٣) نظم الدرر ٣/ ٧٠.

إنها نفس الدعوة التي يدعوها كل نبي.. لا تختلف من نبي إلى آخر.. لا تتبدل ولا تتردد. هي أساس العقيدة.. وبغير هذه الأساس يستحيل أن ينهض بناء.. يبدأ شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ في دعوتهم من هذه العقيدة التي يعلم أنَّه تنبثق منها كل مناهج الحياة وكل أوضاعها؛ كما أنَّ منها تنبثق قواعد السلوك والخلق والتعامل، ولا تستقيم كلها إلاَّ إذا استقامت هذه القاعدة.

✧ ثانياً: الإيمان باليوم الآخر:

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ﴾ [العنكبوت٣٦].

«فأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له، والإيمان بالبعث ورجائه، والعمل له»(١).

«**يقول تعالى ذكره:** وأرسلت إلى مَدْين أخاهم شعيبا، فقال لهم: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وحده، وذِلُّوا له بالطاعة، واخضعوا له بالعبادة ﴿وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ﴾ يقول: وارجوا بعبادتكم إياي جزاءَ اليوم الآخر، وذلك يوم القيامة»(٢).

فقوله: ﴿وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ﴾ «أي توقعوه وما سيقع فيه من فنون الأهوال وافعلوا اليوم من الاعمال ما تأمنون بها غائلته»(٣).

وعبادة الله الواحد هي قاعدة العقيدة. ورجاء اليوم الآخر كفيل بتحويلهم عما كانوا يرجونه في هذه الحياة الدنيا من الكسب المادي الحرام بالتطفيف في الكيل والميزان، وغصب المارين بطريقهم للتجارة، وبخس الناس أشياءهم، والإفساد في الأرض، والاستطالة على الخلق.

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٦٣٠.
(٢) جامع البيان ٣٠/ ٣٤.
(٣) روح المعاني ٢٠/ ١٥٧.

✧ ثالثاً: الإيمان بالرسل والرسالات:

قال تعالى عن شعيب عليه السلام: ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٧].

ولكي يثبت لهم نبوته ذكرهم بما حصل لأقوام الأنبياء السابقين، فقال: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٩].

✧ رابعاً: رعاية حقوق العباد جميعا والمالية خصوصا:

قال تعالى: ﴿فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ [الأعراف٨٥]، وقال تعالى: ﴿أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ [الشعراء١٨٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ [هود: ٨٤ - ٨٥].

«**البخس**: النقص، وهو يكون في السلعة بالتعييب، والتزهيد فيها، أو المخادعة عن القيمة، والاحتيال في التزيد في الكيل، والنقصان منه، وكل ذلك من أكل المال بالباطل، وذلك منهي عنه في الأمم المتقدمة والسالفة على ألسنة الرسل صلوات الله وسلامه على جميعهم»[(١)]، فقوله تعالى: ﴿ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ يدل على أن «الشرائع إنما جاءت بتقوية الضعيف على حقه»[(٢)].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠/ ٣٣٣.

(٢) نظم الدرر٣/ ٦٦.

قال الزمخشريّ: «وهو عام في كل حق ثبت لأحد، أن لا يهضم. وفي كل ملك أن لا يغصب عليه مالكه، ولا يتحيف منه، ولا يتصرف فيه، إلا بإذنه تصرفا شرعيًا»[(١)].

✧ خامساً: النهي عن الإفساد في الأرض عموما:

قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٨٥]، أي: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: بالكفر والظلم، ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ أي: بعد ما أصلح أمرها وأهلها الأنبياء وأتباعهم الصالحون العاملون بشرائعهم من: وضع الكيل والوزن، والحدود والأحكام[(٢)].

و «الإفساد في الأرض يكون بالقتل والغارة وقطع الطريق والجور والظلم وأكل أموال الناس بالباطل»[(٣)].

وقال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [هود: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٦]، أي: «لا تكفروا فإنه أصل كل فساد، والعثو والعثي: أشد الفساد»[(٤)].

✧ سادساً: النهي عن قطع الطريق عن الحق والخير:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [الأعراف: ٨٦].

«أي لا تفعلوا فعل المترصد المقبل بكليته بكل طريق من طرق الدنيا والدين»[(٥)].

---

(١) الكشاف٣/ ٣٣٢.

(٢) محاسن التأويل ٥/ ١٤٧.

(٣) محاسن التأويل ٧/ ٤٧٣.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٣٦١.

(٥) نظم الدرر ٣/ ٦٧.

فـ «ينهاهم شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ عن قطع الطريق الحسي، والمعنوي بقوله: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ﴾ أي: تتوعدون الناس بالقتل إن لم يعطوكم أموالهم... ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أي: وتودون أن تكون سبيل الله عوجا مائلة»[1].

وعن ابن عباس قوله: «والصراط: الطريق؛ يخوِّفون الناس أن يأتوا شعيباً... قال: كانوا يجلسون في الطريق، فيخبرون مَن أتى عليهم: أن شعيباً عَلَيْهِ السَّلَامُ كذاب، فلا يفتنكم عن دينكم»[2].

«والإفساد بالصد عن سبيل الله هو المقصود بالذات لأنه ينهي عن كل فساد، لذا خصه بالذكر إشارة إلى أنه زبدة المراد بعد التعميم»[3].

(**نهي عن قطع الطريق الحسي. أي:** لا تجلسوا على كل طريق فيه ممر الناس الغرباء، تضربونهم وتخوفونهم، وتأخذون ثيابهم، وتتوعدونهم بالقتل، إن لم يعطوكم أموالهم»[4].

المطلب الرابع

وسائل وأساليب دعوة شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ

من أهم وسائل وأساليب دعوة شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ:

○ أولاً: تذكيره إياهم بنعم الله:

وهذا يتضح عند قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ

(١) تفسير القرآن العظيم ٢/ ٢٢٢.

(٢) جامع البيان ١٢/ ٥٥٧.

(٣) نظم الدرر ٣/ ٦٧.

(٤) محاسن التأويل ٥/ ١٤٨.

﴿وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [الأعراف٨٦].

(أي: نَمَّاكم بما أنعم عليكم من الزوجات والنسل، والصحة، وأنه ما ابتلاكم بوباء من أمراض من الأمراض الْمُقَلِّلَة لكم، ولا سَلَّط عليكم عدواً يجتاحكم، ولا فَرَّقكم في الأرض، بل أنعم عليكم باجتماعكم، وإدرار الأرزاق وكثرة النسل»[١].

«لا تقابلوا النعمة بضدها، فإن ذكر النعمة مرغب في الشكر، ولذا رغبهم بالتذكير بالنعمة»[٢].

وفي قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلۡجِبِلَّةَ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٤]، استجاش شعيب مشاعر التقوى في نفوسهم، وهو يذكرهم بخالقهم الواحد. خالق الأجيال كلها والسابقين جميعا.

ثانياً: التذكير بالأقوام السابقين لأخذ العبرة:

وقوله: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ﴾ [هود٨٩].

(يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل شعيب لقومه: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ﴾، يقول: لا يحملنكم عداوتي وبغضي، وفراق الدين الذي أنا عليه، على الإصرار على ما أنتم عليه من الكفر بالله، وعبادة الأوثان، وبخس الناس في المكيال والميزان، وترك الإنابة والتوبة، فيصيبكم ﴿مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ﴾، من الغرق ﴿أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ﴾ من العذاب ﴿أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖ﴾ من الرّجفة ﴿وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ﴾ الذين ائتفكت بهم الأرض ﴿مِّنكُم بِبَعِيدٖ﴾ هلاكهم، أفلا تتعظون به، وتعتبرون؟ يقول: فاعتبروا بهؤلاء، واحذروا أن يصيبكم بشقاقي مثلُ الذي أصابهم»[٣].

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٢٩٦.
(٢) نظم الدرر ٣/ ٦٧.
(٣) جامع البيان ١٥/ ٤٥٥.

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[الأعراف٨٦].

ففي الآية: «الترهيب بأخذ الأمم وما جرى عليهم، وأنه ينبغي أن تذكر القصص التي فيها إيقاع العقوبات بالمجرمين في سياق الوعظ والزجر»(١).

أي: «وانظروا ما نزل بمن كان قبلكم من الأمم حين عتوا على ربهم وعصوا رسله، من المـَثُلات والنقمات، وكيف وجدوا عقبى عصيانهم إياه؟ ألم يُهلك بعضهم غرقاً بالطوفان، وبعضهم رجماً بالحجارة، وبعضهم بالصيحة؟»(٢).

❍ ثالثاً: الرفق واللين:

وهذا يتضح عند مناداته لهم مشعرا بالتلطف في النداء، ومن ذلك قوله: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [هود٨٤]، وقوله: ﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ﴾ [هود٨٥]. وقوله: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ [هود٨٨].

❍ رابعاً: الترغيب والترهيب:

وهما أسلوبان من أساليب التأثير في المشاعر والقلوب فقال: ﴿وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ [هود٨٤].

وقال: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾[هود: ٨٦]، «أي: ما يبقيه الله لكم بعد إيفاء الحقوق بالقسط أكثر بركة، وأحمد عاقبة مما تبقونه لأنفسكم من فضل التطفيف بالتجبر والظلم»(٣).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٣٨٩.

(٢) جامع البيان ١٢/ ٥٦٠.

(٣) جامع البيان ١١/ ١٩٢.

وقال: ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾ [هود: ٩٣].

وقال: ﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ [هود: ٩٠].

وقال: ﴿يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [هود٩١ - ٩٢]. والإحاطة لها ما بعدها.

○ خامساً: الحوار:

وهذا يتضح بجلاء في حواره في سورة الأعراف كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٨ - ٨٩].

كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾ [هود: ٨٧ - ٩٣].

سادساً: إتيانهم بالأدلة والبراهين:

وهذا ظاهر في قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف٨٥]. «أي: قد جاءتكم علامة وحجة من الله بحقيقة ما أقول، وصدق ما أدعوكم إليه»[(١)].

«البينة أعم من المعجزة بعرفهم، فكل من أبطلت شبهة ضلاله، وأظهرت له حجة الحق الذي يدعى إليه فقد جاءته البينة. لأن حقيقة البينة كل ما يبين الحق. فاحفظه»[(٢)].

ولا يذكر الله في القرآن نوع هذه البينة - كما ذكرها في قصة صالح - ولا نعرف لها تحديداً من مواضع القصة في السور الأخرى. ولكن النص يشير إلى أنه كانت هناك بينة جاءهم بها، تثبت دعواه أنه مرسل من عند الله.

سابعاً: إخلاص النصح:

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف٩٢ - ٩٣].

فقوله: ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ أي: «فأمرتكم بكل خير، ونهيتكم عن كل شر»[(٣)]، إنه الإشهاد على أمانة التبليغ والنصح والبراءة من المصير الذي جلبوه لأنفسهم بالعتو والتكذيب.

ثامناً: الإصلاح:

قال تعالى حاكيا قول شعيب: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾ [هود٨٨]. أي:

(١) جامع البيان ١٢/ ٥٥٥.
(٢) محاسن التأويل٥/ ١٤٦.
(٣) محاسن التأويل ٥/ ١٢٩.

«أي: ما أريد إلا فعل الصلاح؛ أي: أن تصلحوا دنياكم بالعدل، وآخرتكم بالعبادة»[(١)].

«يقول: ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ﴾ ما أريد فيما آمركم به وأنهاكم عنه، إلا إصلاحكم وإصلاح أمركم ﴿مَا ٱسۡتَطَعۡتُ﴾، يقول: ما قدرت على إصلاحه، لئلا ينالكم من الله عقوبة منكِّلة، بخلافكم أمره، ومعصيتكم رسوله»[(٢)].

«أي: ما نهيتكم عن المعاملات الخبيثة وظلم الناس فيها، إلا وأنا أول تارك لها، مع أن الله أعطاني ووسَّع عليَّ وأنا محتاج إلى المعاملة، ولكني متقيد بطاعة ربي، إن أريد في فعلي وأمري لكم إلا الإصلاح، أي: أن تصلح أحوالكم الدينية والدنيوية ﴿مَا ٱسۡتَطَعۡتُ﴾»[(٣)].

«وظيفة الرسل وسنتهم وملتهم إرادة الإصلاح بحسب القدرة والإمكان فيأتون بتحصيل المصالح وتكميلها أو بتحصيل ما يقدر عليه منها وبدفع المفاسد وتقليلها ويراعون المصالح العامة على المصالح الخاصة

وحقيقة المصلحة هي التي تصلح بها أحوال العباد وتستقيم بها أمورهم الدينية والدنيوية

ومنها أن من قام بما يقدر عليه من الإصلاح لم يكن ملوما ولا مذموما في عدم فعله ما لا يقدر عليه فعلى العبد أن يقيم من الإصلاح في نفسه وفي غيره ما يقدر عليه»[(٤)].

---

(١) جامع البيان ١١/ ١٩٨.

(٢) جامع البيان ١٥/ ٤٥٤.

(٣) تيسير اللطيف المنان ص٢١٩.

(٤) تيسير الكريم الرحمن ص٣٨٨.

المطلب الخامس

موقف قوم شعيب من دعوته

➢ أولاً: الاستكبار واستضعاف المؤمنين ومحاولة صدهم عن دينهم:

قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ [الأعراف: ٨٨].

فالباطل لا يطيق مجرد وجود الحق.. وحتى حين يريد الحق أن يعيش في عزلة عن الباطل - تاركاً مصيرهما لفتح الله وقضائه - فإن الباطل لا يقبل منه هذا الموقف. بل يتابع الحق وينازله ويطارده.

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٠]، «هذا ما سولت لهم أنفسهم أن الخسارة والشقاء في اتباع الرشد والهدى، ولم يدروا أن الخسارة كل الخسارة في لزوم ما هم عليه من الضلال والإضلال، وقد علموا ذلك حين وقع بهم النكال»(١).

حتى إن شعيب قال لهم: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٨٦].

«ينهاهم شعيب عليه السلام عن قطع الطريق الحسي، والمعنوي بقوله: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ﴾ أي: تتوعدون الناس بالقتل إن لم يعطوكم أموالهم... ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أي: وتودون أن تكون سبيل الله عوجا مائلة»(٢).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٢٩٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٢٢٢.

ثانياً: إتهام شعيب بالسحر والكذب واستنكار أن يكون بشراً رسولاً:

قال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ [الشعراء: ١٨٥ - ١٨٦].

فقد «قالوا له، مكذبين له، رادين لقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴾ فأنت تهذي وتتكلم كلام المسحور، الذي غايته أن لا يؤاخذ به.

﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾ فليس فيك فضيلة، اختصصت بها علينا، حتى تدعونا إلى اتباعك، وهذا مثل قول من قبلهم ومن بعدهم، ممن عارضوا الرسل بهذه الشبهة، التي لم يزالوا، يدلون بها ويصولون، ويتفقون عليها، لاتفاقهم على الكفر، وتشابه قلوبهم.

وقولهم: ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ وهذا جراءة منهم وظلم، وقول زور، قد انطووا على خلافه، فإنه ما من رسول من الرسل، واجه قومه ودعاهم، وجادلهم وجادلوه، إلا وقد أظهر الله على يديه من الآيات، ما به يتيقنون صدقه وأمانته، خصوصا شعيبا عليه السلام، الذي يسمى خطيب الأنبياء، لحسن مراجعته قومه، ومجادلتهم بالتي هي أحسن، فإن قومه قد تيقنوا صدقه، وأن ما جاء به حق، ولكن إخبارهم عن ظن كذبه، كذب منهم»[(١)].

ثالثاً: طلبهم العذاب تحدياً لشعيب عليه السلام:

قال تعالى: ﴿ فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الشعراء: ١٨٧ - ١٨٨].

فمن استكبارهم وعنادهم طلبوا العذاب بقولهم: ﴿ فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي: قطع عذاب تستأصلنا، ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ كقول إخوانهم: ﴿ وَإِذۡ

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٥٩٧ باختصار يسير.

﴿قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢].

فقال لهم شعيب عليه السلام: ﴿رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: نزول العذاب، ووقوع آيات الاقتراح، لست أنا الذي آتي بها وأنزلها بكم، وليس علي إلا تبليغكم ونصحكم وقد فعلت، وإنما الذي يأتي بها ربي، العالم بأعمالكم وأحوالكم، الذي يجازيكم ويحاسبكم»[١].

رابعاً: التهكم والاستهزاء:

وقال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧].

«**أي:** قالوا ذلك على وجه التهكم بنبيهم، والاستبعاد لإجابتهم له.

ومعنى كلامهم: أنه لا موجب لنهيك لنا، إلا أنك تصلي لله، وتتعبد له، أفإن كنت كذلك، أفيوجب لنا أن نترك ما يعبد آباؤنا، لقول ليس عليه دليل إلا أنه موافق لك، فكيف نتبعك، ونترك آباءنا الأقدمين أولي العقول والألباب؟!

وكذلك لا يوجب قولك لنا: ﴿أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟﴾ ما قلت لنا، من وفاء الكيل، والميزان، وأداء الحقوق الواجبة فيها، بل لا نزال نفعل فيها ما شئنا، لأنها أموالنا، فليس لك فيها تصرف، ولهذا قالوا في تهكمهم: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ أي: أئنك أنت الذي، الحلم والوقار، لك خلق، والرشد لك سجية، فلا يصدر عنك إلا رشد، ولا تأمر إلا برشد، ولا تنهى إلا عن غي، أي: ليس الأمر كذلك.

وقصدهم أنه موصوف بعكس هذين الوصفين: بالسفه والغواية، أي: أن المعنى: كيف تكون أنت الحليم الرشيد، وآباؤنا هم السفهاء الغاوون؟!!»[٢].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٥٩٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص٣٨٧.

وفي موضع آخر بين الله قولهم: ﴿قَالُواْ يَـٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ [هود: ٩١].

«يعنون أنهم لا يقبلونه، أو قالوا ذلك استهانة به، كما يقول الرجل لمن لا يعبأ بحديثه: ما أدري ما تقول! أو جعلوا كلامه هذيانا وتخليطا لا ينفعهم كثير منه و «الكثير» مراد به الكل، أو قالوه فرارا من المكابرة»[١]، فهم: «تضجروا من نصائحه ومواعظه لهم، فقالوا: ﴿مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ وذلك لبغضهم لما يقول، ونفرتهم عنه»[٢].

➤ خامساً: تهديدهم لشعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ:

فقد بين الله تعالى أنهم قالوا لشعب: ﴿قَالُواْ يَـٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ۝٩١ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [هود: ٩١ - ٩٢].

ففي حسابهم عصبية العشيرة، لا عصبية الاعتقاد، وصلة الدم لا صلة القلب. ثم هم يغفلون عن غيرة الله على أوليائه فلا يضعونها في الحساب.

فقولهم: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ يشير إلى أن النفوس حين تفرغ من العقيدة القويمة والقيم الرفيعة والمثل العالية فإنها تقبع على الأرض ومصالحها القريبة وقيمها الدنيا فلا ترى حرمة يومئذ لدعوة كريمة، ولا لحقيقة كبيرة ولا تتحرج عن البطش بالداعية إلا أن تكون له عصبة تؤويه وإلا أن تكون معه قوة مادية تحميه. أما حرمة العقيدة والحق والدعوة فلا وزن لها ولا ظل في تلك النفوس الفارغة الخاوية.

---

(١) محاسن التأويل ٤/ ١٩٢٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص٣٨٨.

المطلب السادس
نتيجة دعوة شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ

أولاً: تهديد شعيب لهم بالعذاب:

حيث إنه لما عاند قوم شعيب الدعوة وشوهوها ورفضوها وعادوها، هددهم شعيب بعذاب بقوله: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ﴾ [هود: ٨٩]، وبقوله: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ﴾ [هود: ٩٣].

أي: «لما أعيوه وعجز عنهم قال: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾ أي: على حالتكم ودينكم، ﴿إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ﴾ ويحل عليه عذاب مقيم أنا أم أنتم، وقد علموا ذلك حين وقع عليهم العذاب، ﴿وَٱرۡتَقِبُوٓاْ﴾ ما يحل بي ﴿إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ﴾ ما يحل بكم»[١].

ثانياً: هلاك قوم شعيب:

طلب قوم شعيب من شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يأتيهم بالعذاب، بقولهم: ﴿فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٧].

فاستجاب الله طلبهم، قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٨٧ - ١٨٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ۝٩٤ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ﴾ [هود: ٩٤ - ٩٥]. «أي: كأنهم لما أصابتهم النقمة لم يقيموا بديارهم التي أرادوا

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٣٨٨.

إجلاء الرسول وصحبه منها»[١].

وقال تعالى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٩١- ٩٢].

«أخبر تعالى أنهم أخذتهم الرجفة؛ وذلك كما أرجفوا شعيباً وأصحابه، وتوعدوهم بالجلاء»[٢]. و«في هود أتتهم صيحة، وفي الأعراف: رجفة، وفي الشعراء: عذاب يوم الظلة؛ وهم أمة واحدة اجتمع عليهم - يوم عذابهم - هذه النقم كلها، وإنما ذكر في كل سياق ما يناسبه»[٣].

قال ابن كثير: "فاعلم أن الله تعالى جمع على قوم شعيب كل ما ذكرت من أنواع العذاب، ولا يوجد تعارض بين الآيات، وقد ذكر ذلك ابن كثير في البداية والنهاية، فقال: وقد جمع الله عليهم أنواعاً من العقوبات، وصنوفاً من المَثُلات وأشكالاً من البليات، وذلك لما اتصفوا به من قبيح الصفات، سلط الله عليهم رجفة شديدة أسكنت الحركات، وصيحة عظيمة أخمدت الأصوات، وظُلة أرسل عليهم منها شرر النار من سائر أرجائها والجهات، ولكنه تعالى أخبر عنهم في كل سورة بما يناسب سياقها ويوافق طباقها»[٤].

ثالثاً: إيمان طائفة من قومه:

بين الله تعالى أن فريقا من الناس آمنوا مع شعيب كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ ﴾ [الأعراف: ٨٧].

بل بين الله تعالى أن الطائفة المؤمنة ثبتت على دينها كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٢٢٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٢٢٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٤٣٩.

(٤) البداية والنهاية ١/ ٢١٨.

لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٨ - ٨٩].

واستجاب الله دعاء الفئة المؤمنة ونجاهم من مكر المعاندين والمكذبين، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ [هود: ٩٤].

المطلب السابع

الدروس المستفادة من دعوة شعيب عليه السلام

- التوحيد أصل بين الأصول في دعوة الرسل، فلا يمكن ولو بحال من الأحوال فقدانه.

- عناية الإسلام بإصلاح الدين والدنيا، فالدين يصلح بتحقيق التوحيد، والدنيا تصلح بتحقيق تشريعات الله تعالى التي أنزلها لعبادة والتي هي من مقتضيات التوحيد.

- عناية الداعية بمقاومة المنكرات الغالبة على المجتمع، كما قاوم شعيب ظاهرة البخس في حقوق الناس بالتطفيف.

- **ضرورة التقارب بين الداعية والمدعوين كما يظهر الحوار بينه وبينهم.**

- **معاندة المكذبين للرسل سنة قديمة.**

- **الاستعانة بالله والتواضع له والتوكل والإنابة له من أهم صفات الداعية.**

- **لا حزن على هلاك الكفرة والظّلمة. لقوله تعالى:** ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾.

- لا يغتر الإنسان بإيمانه وصلاحه؛ فإن الأنبياء والصالحين علموا أن ثباتهم على

الدين إنما هو بمشيئة الله، لا من عند أنفسهم.

- «يدافع الله عن المؤمنين بأسباب كثيرة؛ قد يعلمون بعضها وقد لا يعلمون شيئاً منها، وربما دفع عنهم بسبب قبيلتهم، أو أهل وطنهم الكفار؛ كما دفع الله عن شعيب رجم قومه بسبب رهطه، وأن هذه الروابط التي يحصل بها الدفع عن الإسلام والمسلمين لا بأس بالسعي فيها، بل ربما تعين ذلك؛ لأن الإصلاح مطلوب على حسب القدرة والإمكان»[١].

- «أن بخس المكاييل والموازين خصوصا، وبخس الناس أشياءهم عموما من أعظم الجرائم الموجبة لعقوبات الدنيا والآخرة.

- المعصية الواقعة لمن عدم منه الداعي والحاجة إليها أعظم، ولهذا كان الزنا من الشيخ أقبح من الشباب، والكبر من الفقير أقبح من الغني، والسرقة ممن ليس بمحتاج أعظم من وقوعها من المحتاج؛ لهذا قال شعيب لقومه: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ﴾ [هود: ٨٤] أي: بنعم كثيرة، فأي أمر أحوجكم إلى الهلع إلى ما بأيدي الناس بطرق محرمة.

- في قوله: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [هود: ٨٦] الحث على الرضا بما أعطى الله، والاكتفاء بحلاله عن حرامه، وقصر النظر على الموجود عندك من غير تطلع إلى ما عند الناس.

- الصلاة سبب لفعل الخيرات، وترك المنكرات، وللنصيحة لعباد الله، وقد علم ذلك الكفار بما قالوا لشعيب: ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] ومن هنا تعرف حكمة الله ورحمته في أنه فرض علينا الصلوات، تتكرر في اليوم والليلة لعظم وقعها،

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٣٨٩.

وشدة نفعها، وجميل آثارها، فللَّه على ذلك أتم الحمد.

- أن العبد في حركات بدنه وتصرفاته، وفي معاملاته المالية، داخل تحت حجر الشريعة، فما أبيح له منها فعله، وما منعه الشرع تعين عليه تركه، ومن يزعم أنه في ماله حر له أن يفعل ما يشاء من معاملات طيبة وخبيثة، فهو بمنزلة من يرى أن عمل بدنه كذلك، وأنه لا فرق عنده بين الكفر والإيمان، والصدق والكذب، وفعل الخير والشر، الكل مباح، ومن المعلوم أن هذا هو مذهب الإباحيين الذين هم شر الخليقة، ومذهب قوم شعيب يشبه هذا؛ لأنهم أنكروا على شعيب لما نهاهم عن المعاملات الظالمة، وأباح لهم سواها، فردوا عليه أنهم أحرار في أموالهم، لهم أن يفعلوا فيها ما يريدون، ونظير هذا قول من قال: إنما البيع مثل الربا، فمن سوَّى بين ما أباحه وبين ما حرمه الله فقد انحرف في فطرته وعقله بعدما انحرف في دينه.

- **الناصح للخلق الذي يأمرهم وينهاهم من تمام قبول الناس له:** أنه إذا أمرهم بشيء أن يكون أول الفاعلين له، وإذا نهاهم عن شيء كان أول التاركين؛ لقول شعيب: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُ﴾ [هود: ٨٨].

- أن الأنبياء جميعهم بُعثوا بالإصلاح والصلاح، ونهوا عن الشرور والفساد، فكل صلاح وإصلاح ديني ودنيوي فهو من دين الأنبياء، وخصوصا إمامهم وخاتمهم محمد ﷺ، فإنه أبدا وأعاد في هذا الأصل، ووضع للخلق الأصول النافعة التي يجرون عليها في الأمور العادية والدنيوية، كما وضع لهم الأصول في الأمور الدينية، وأنه كما أن على العبد السعي والاجتهاد في فعل الصلاح والإصلاح، فعليه أن يستمد العون من ربه على ذلك، وأن يعلم أنه لا يقدر على ذلك، ولا على تكميله إلا بالله؛ لقول شعيب: ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

- الداعي إلى الله يحتاج إلى الحلم وحسن الخلق ومقابلة المسيئين بأقوالهم

وأفعالهم بضد ذلك، وأن لا يُحبطه أذى الخلق ولا يصده عن شيء من دعوته، وهذا الخلق كماله للرسل صلوات الله عليهم وسلم، فانظر إلى شعيب عليه السلام، وحسن خلقه مع قومه، ودعوته لهم بكل طريق وهم يسمعونه الأقوال السيئة، ويقابلونه المقابلة الفعلية، وهو ﷺ يحلم عليهم ويصفح، ويتكلم معهم كلام من لم يصدر منهم له وفي حقه إلا الإحسان، ويهون هذا الأمر أن هذا خُلُقٌ من ظفر به وحازه فقد فاز بالحظ العظيم، وأن لصاحبه عند الله المقامات العالية والنعيم المقيم، ويهونه أنه يعالج أمما قد طبعوا على أخلاق إزالتها وقلعها أصعب من قلع الجبال الرواسي، ومرنوا على عقائد ومذاهب بذلوا فيها الأموال والأرواح، وقدموها على جميع المهمات عندهم، أفتظن مع هذا أن أمثال هؤلاء يقتنعون بمجرد القول بأن هذه مذاهب باطلة وأقوال فاسدة، أم تحسبهم يغتفرون لمن نالها بسوء؟.. كلا والله، إن هؤلاء يحتاجون إلى معالجات متنوعة بالطرق التي دعت إليها الرسل، يذكرون بنعم الله، وأن الذي تفرد بالنعم يتعين أن يفرد بالعبادة، ويذكر لهم من تفاصيل النعم ما لا يعد ولا يحصى، ويذكرون بما في مذاهبهم من الزيغ والفساد والاضطراب، والتناقض المزلزل للعقائد، الداعي إلى تركها، ويذكرون بما بين أيديهم وما خلفهم من أيام الله ووقائعه بالأمم المكذبة للرسل، المنكرة للتوحيد، ويذكرون بما في الإيمان بالله وتوحيده ودينه من المحاسن والمصالح والمنافع الدينية والدنيوية، الجاذبة للقلوب، المسهلة لكل مطلوب، ومع هذا كله فيحتاج الخلق إلى الإحسان إليهم، وبذل المعروف، وأقل ذلك الصبر على أذاهم، وتحمل ما يصدر منهم، ولين الكلام معهم، وسلوك كل سبيل حكمة معهم، والتنقل معهم في الأمور بالاكتفاء ببعض ما تسمح به أنفسهم ليستدرج بهم إلى تكميله، والبداءة بالأهم فالأهم، وأعظمهم قياما بهذه الأمور وغيرها سيدهم وخاتمهم وإمام الخلق على الإطلاق: محمد ﷺ»[١].

---

(١) تيسير اللطيف المنان ص٢٢١ – ٢٢٣.

فهرس الموضوعات

المقدمة ٥
منهجية البحث ٦

تمهيد

مقدمات حول تاريخ دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام

المبحث الأول: التعريف بالأنبياء والرسل عليهم السلام والفرق بينهما ٢١
أولا: تعريف النبي لغة ٢١
ثانيا: تعريف الرسول لغة ٢١
ثالثا: التعريف الاصطلاحي للنبي والرسول والفرق بينهما ٢٢
المبحث الثاني: عدد الأنبياء والرسل عليهم السلام في القرآن وتفاضلهم ٢٥
أولاً: عدد الأنبياء والرسل في القرآن.................................. ٢٥
ثانياً: أولو العزم من الرسل.. ٢٦
ثالثاً: تفاضل الأنبياء ٢٧
المبحث الثالث: مفهوم وأهمية ومنهجية: دراسة تاريخ دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام ٢٩
المطلب الأول: مفهوم تاريخ الدعوة.. ٣١
المطلب الثاني: أهمية دراسة تاريخ الدعوة ٣٢
أولاً: دراسة التاريخ الدعوي مجال واسع لتحقيق عبودية الله تعالى........ ٣٢
ثانياً: التعرف على السنن الربانية في الكون ٣٣
ثالثاً: التعرف على منهج الأنبياء ومن بعدهم ممن سار على هديهم في الدعوة ٣٤
رابعاً: ومن الأهمية ما يتميز به منهج الأنبياء من العصمة.................. ٣٥
خامساً: الأنبياء هم أمة النجاح والإنجاز البشري ٣٥
المطلب الثالث: كلام الإمام ابن سعدي في أهمية دراسة: قصص الأنبياء والرسل عليهم السلام..٣٦

المطلب الرابع: منهجيات دراسة تاريخ دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام ٣٨
أولاً: أخذ تاريخ دعوة الأنبياء كاملا ٣٨
ثانياً: التجرد من الأهواء عند الاستدلال بدعوة الأنبياء ٣٨
ثالثاً: اعتماد القرآن والسنة مصدراً لتاريخ دعوة الأنبياء ٣٩
رابعاً: أهمية دراسة صفات وأخلاق الرسل ٣٩
خامساً: الإيمان بصدق خبر الله وخبر رسوله عن الأنبياء السابقين ٤٠
سادساً: عدم زيادة أوتخيل أحداث لم تقع في القصة ٤٠

الفصل الأول

منهج الأنبياء والرسل عليهم السلام في الدعوة إلى الله إجمالا

المبحث الأول: الخصائص الدعوية للأنبياء والرسل عليهم السلام ٤٥
أولاً: الاصطفاء والاختيار من الله تعالى ٤٥
ثانياً: الوحي ٤٧
ثالثاً: الكتب المنزلة ٤٨
رابعاً: المعجزات ٤٩
خامساً: جمع الله لهم بين النبوة والبشرية ٥٣
سادساً: العصمة ٥٥
سابعاً: القدوة ٥٩
المبحث الثاني: الصفات الدعوية للأنبياء والرسل عليهم السلام ٦١
أولاً: الأمانة ٦١
ثانياً: العفة عما في أيدي الناس ٦٢
ثالثاً: الكسب من عمل اليد ٦٢
رابعاً: الصبر ٦٦
خامساً: العبودية الحقيقية لله ٦٧
سادساً: دعاء الله والاستعانة به واللجوء له ٦٨

سابعاً: الأخلاق الحسنة ٧٢
المبحث الثالث: أسس دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام ٧٥
المطلب الأول: الإسلام هو دين كل الأنبياء والرسل عليهم السلام.......................... ٧٧
المطلب الثاني: تقرير التوحيد.. ٧٩
المطلب الثالث: تقرير النبوة والرسالة ٨١
المطلب الرابع: تقرير البعث والجزاء ٨٣
المطلب الخامس: علاج المنكرات المتفشية في المجتمع ٨٥
المطلب السادس: الوحدة وجمع الكلمة ٨٩
المطلب السابع: إقامة العدل.. ٩١
المبحث الرابع: معالم منهجية في دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام ٩٣
المعلم الأول: بلسان قومه ٩٣
المعلم الثاني: الوضوح وعدم تمييع الدين.. ٩٤
المعلم الثالث: الولاء على أساس الحق ٩٥
المعلم الرابع: سنة العداء للدعوة والدعاة والمدعوين ٩٥
المعلم الخامس: حقيقة التمكين في دعوة الأنبياء.. ٩٦
المعلم السادس: تنوع إهلاك الأقوام كل بحسب ذنبه ٩٧
المعلم السابع: الاستمرار في الدعوة وتنويع طرق مباشرتها حسب الحال .. ٩٨

الفصل الثاني

دعوة أولي العزم من الرسل

المبحث الأول: نوح عليه السلام ودعوته.. ١٠٥
المطلب الأول: التعريف بنوح عليه السلام وقومه.. ١٠٧
المطلب الثاني: خصائص نوح عليه السلام ١٠٨
أولاً: أنه أول الرسل ١٠٨

ثانياً: من أولي العزم من الرسل ١٠٩
ثالثاً: أنه أبو البشر الثاني بعد آدم عليه السلام ١٠٩
المطلب الثالث: الصفات الدعوية لنوح عليه السلام ١٠٩
أولاً: الأمانة ١١٠
ثانياً: العفة عما في أيدي الناس ١١٠
ثالثاً: الصبر ١١٠
رابعاً: الحلم ١١٠
خامساً: النصح للمدعوين ١١١
سادساً: الشفقة على المدعوين ١١١
سابعاً: الترفق بالمدعوين ١١٢
ثامناً: التعلق بالله وصدق اللجوء إليه في كل حين ١١٢
تاسعاً: العبودية الحقيقية لله ١١٣
عاشراً: شكر الله تعالى ١١٣
الحادي عشر: الثقة بالله وعدم اليأس ١١٤
الثاني عشر: نصرة الضعفاء ١١٤
الثالث عشر: العلم ١١٥
المطلب الرابع: أسس دعوة نوح عليه السلام ١١٥
أولا: الدعوة إلى توحيد الله تعالى ١١٥
ثانيا: تقرير النبوة ١١٧
ثالثا: إثبات المعاد ١١٧
المطلب الخامس: وسائل وأساليب من دعوة نوح عليه السلام ١١٨
أولا: الاستمرار في الدعوة وتنويع طرق مباشرتها ١١٨
ثانيا: لفت الأنظار إلى مظاهر الكون الفسيح ١١٨

ثالثا: أسلوب اللين والاستعطاف ١١٩
رابعا: الترغيب والترهيب ١١٩
خامسا: الجدال والمقابلة بالحجة والبرهان ١٢٠
سادسا: أسلوب الخطاب والنداء ١٢٢
سابعا: أسلوب الترحم مع المدعوين ومعاملتهم بالمساواة ١٢٢
ثامنا: أسلوب التأنيب والتوبيخ ١٢٢
المطلب السادس: موقف قوم نوح من دعوته ١٢٣
المطلب السابع: نتيجة دعوة نوح عليه السلام ١٢٧
المطلب الثامن: الدروس المستفادة من دعوة نوح عليه السلام ١٢٩
المبحث الثاني: دعوة إبراهيم عليه السلام ١٣٧
المطلب الأول: التعريف بإبراهيم عليه السلام وقومه ١٣٩
اسمه ونسبه ١٣٩
قومه ١٣٩
الكتاب الذي أنزل عليه ١٣٩
المطلب الثاني: الخصائص الدعوية لإبراهيم عليه السلام ١٤٠
أولاً: أنه أبو الأنبياء عليه السلام ١٤٠
ثانياً: أنه خير الناس ١٤١
ثالثاً: أنه خليل الله ١٤١
رابعاً: وصفه الله تعالى بأنه أمة ١٤٢
خامساً: أنه هو الذي بنى البيت العتيق ١٤٤
سادساً: كان قوي الحجة ١٤٥
المطلب الثالث: الصفات الدعوية لإبراهيم عليه الصلاة والسلام ١٤٦
أولاً: القنوت ١٤٦
ثانياً: الحنيفية ١٤٦

ثالثاً: الشكر ١٤٦
رابعاً: الحلم ١٤٧
خامساً: التأوه ١٤٧
سادساً: الربانية والدعاء والتوكل على الله ١٤٨
سابعاً: السخاء ١٤٩
ثامناً: الصبر ١٤٩
تاسعاً: رعايته لأهله ١٥٠
عاشراً: الشجاعة ١٥١
الحادي عشر: سلامة القلب ١٥٢
الثاني عشر: الرشد ١٥٢
الثالث عشر: تواضع إبراهيم عليه السلام لربه ١٥٣
الرابع عشر: أدب إبراهيم عليه السلام مع ربه ١٥٤
الخامس عشر: السمع والطاعة المطلقة لله ١٥٤
السادس عشر: باراً بأبيه مؤدباً في الحديث معه ١٥٥
السابع عشر: (أن الله رفعه بالعلم واليقين وقوة الحجج ١٥٦
المطلب الرابع: أسس دعوة إبراهيم عليه الصلاة السلام ١٥٦
أولاً: الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك ١٥٦
ثانياً: الدعوة إلى الايمان بالبعث والنشور ١٥٧
ثالثاً: الدعوة إلى الإيمان بالرسل ١٥٧
رابعاً: الدعوة إلى الاقرار بالنبوة واتباعها ١٥٨
خامسا: التحقيق لعقيدة الولاء والبراء ١٥٩
المطلب الخامس: وسائل وأساليب دعوة إبراهيم عليه السلام ١٥٩
أولاً: الرِّفق واللِّين ١٥٩
ثانياً: المناظرة والمجادلة ١٦٠

ثالثاً: الخلطة أو العزلة ١٦٢
رابعاً: التدرج ١٦٣
خامساً: تغيير المنكر باليد ١٦٤
سادساً: الوصية ١٦٥
سابعاً: التطبيق بالمثال العملي ١٦٥
المطلب السادس: نتيجة دعوة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ١٦٦
أولاً: جعل الله النبوة في ذريته عَلَيْهِ السَّلَامُ ١٦٦
ثانياً: إيمان لوط عليه للسلام له ١٦٧
ثالثاً: تشريع حج بيت الله الحرام ١٦٧
رابعاً: بعثة النَّبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ذرية ١٦٧
خامساً: الأمر باتباع ملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ١٦٨
المطلب السابع: الدروس المستفادة من دعوة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ١٦٨
المبحث الثالث: دعوة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ١٧٥
المطلب الأول: التعريف بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ١٧٧
المطلب الثاني: الخصائص الدعوية لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ١٧٨
أولاً: كلّم الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وخصه بهذا الأمر ١٧٨
ثانياً: اصطفاه الله وجعله له خالصاً ١٧٩
ثالثاً: كان مقرباً من الله ١٧٩
رابعاً: كانت له الوجاهة عند الله تعالى ١٧٩
خامساً: أيد الله تعالى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بمعجزات باهرات ١٧٩
سادساً: طلب العلم ١٨٠
سابعاً: تأييد الله له ببعثة أخاه هارون معه مؤيداً وناصراً ١٨٠
ثامناً: عناية الله تعالى به عناية خاصة ١٨١
تاسعاً: إزالة ما في صدر موسى من الخوف ١٨١

عاشراً: أمْرُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لموسى أن يأخذ ما يوحى إليه بقوة ١٨٢
الحادي عشر: تعليم الله لموسى وأخيه هارون أسلوب الدعوة وحفظ الله لهما ١٨٢
الثاني عشر: تربيته سبحانه وتعليمه لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالموقف ١٨٣
المطلب الثالث: الصفات الدعوية لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ١٨٣
أولاً: حيياً ستيراً ١٨٣
ثانياً: الصبر ١٨٣
ثالثاً: التواضع لأهل الفضل ١٨٤
رابعاً: الافتقار إلى الله ١٨٤
خامساً: دعاء الله تعالى ١٨٥
سادساً: حسن التوكل على الله ١٨٥
سابعاً: الاعتراف بالخطأ والرجوع للحق ١٨٥
ثامناً: نخوة الرجولة والفطرة السليمة تجاه النساء والضعفاء ١٨٦
تاسعاً: الغيرة على النساء وعلى زوجته خاصة ١٨٦
المطلب الرابع: أسس دعوة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ١٨٧
أولاً: توحيد الله والتعريف بالله سبحانه ١٨٧
ثانياً: التعريف بالطريق الموصلة لرضى الله سبحانه ١٨٨
ثالثاً: الترهيب من مخالفة أمر الله والافتراء عليه ١٨٩
رابعاً: رفع الظلم عن المظلومين ومحاربة الطغيان المالي ١٨٩
المطلب الخامس: وسائل وأساليب دعوة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ١٩٠
أولاً: الاستعانة بالله تعالى وبعبادته ١٩٠
ثانياً: القوة في الحق ١٩٠
ثالثاً: اللين في الدعوة ١٩١
رابعاً: المناظرة ١٩٢
خامساً: السياحة في الأرض ١٩٢

سادساً: الفصاحة ١٩٢
سابعاً: الترغيب والترهيب ١٩٣
المطلب السادس: نتيجة دعوة موسى عليه السلام ١٩٣
أولاً: نجاة موسى وقومه وهلاك فرعون وجنوده ١٩٣
ثانياً: ضعف صبر بني إسرائيل وظهور ذلك في كلامهم ١٩٤
ثالثاً: ظهور آثار تمرد بني إسرائيل ومعاقبة الله لهم على ذلك ١٩٤
المطلب السابع: الدروس المستفادة من دعوة موسى عليه السلام ١٩٥
المبحث الرابع: دعوة عيسى عليه السلام ٢٠٧
المطلب الأول: التعريف بعيسى عليه السلام، وقومه ٢٠٩
المطلب الثاني: الخصائص الدعوية لعيسى عليه السلام ٢١٠
أولاً: أيده الله تعالى بالمعجزات ٢١٠
ثانياً: تأييده بروح القدس جبريل عليه السلام ٢١١
ثالثاً: تعلّمُهُ التوراة والإنجيل ٢١١
رابعاً: منع اليهود من قتله ثم رفع للسماء ٢١١
خامساً: نزول المسيح عليه السلام آخر الزمان ٢١٢
سادساً: الوجاهة في الدنيا والآخرة ٢١٣
المطلب الثالث: الصفات الدعوية لعيسى عليه السلام ٢١٣
أولاً: عبوديته لله تعالى ٢١٣
ثانياً: دعائه لربه ٢١٣
ثالثاً: البر بوالدته وحسن الخلق ٢١٤
رابعاً: حسن التخاطب مع الله ٢١٤
خامساً: الاعتراف بالفضل لله ٢١٥
سادساً: مباركاً ٢١٥
سابعاً: أنه من الصالحين ٢١٦

ثامناً: (شدة تعظيم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في قلبه ٢١٦
المطلب الرابع: أسس دعوة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ٢١٧
أولاً: الإيمان وتوحيد الله عَزَّوَجَلَّ ٢١٧
ثانياً: الحكم بالشريعة ٢١٨
ثالثاً: تصديق النبوات ٢١٩
رابعاً: الإيمان بالبعث والجنة والنار ٢٢٠
خامساً: الأمر بالصلاة والصيام والصدقة والذكر ٢٢٠
سادساً: حسن الآداب والأخلاق ٢٢١
المطلب الخامس: وسائل وأساليب دعوة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ٢٢٣
أولاً: ضرب الأمثال ٢٢٣
ثانياً: الحكمة في القول ٢٢٣
ثالثاً: الترغيب والترهيب ٢٢٤
رابعاً: الدعوة بالقدوة ٢٢٦
خامساً: الدعوة بالدليل والبرهان ٢٢٧
سادساً: تأييد الدعوة بأنصارها ٢٢٨
سابعاً: السياحة في الأرض ٢٢٩
المطلب السادس: نتيجة دعوة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ٢٣٠
أولاً: آمن به قوم فصاروا أنصاراً له وكفر به آخرون ٢٣٠
ثانياً: ضل في عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ طائفتان ٢٣٠
ثالثاً: رفع عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى السماء وبطلان عقيدة الصلب ٢٣١
رابعاً: اختلاف أصحاب المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد رفعه إلى السماء ٢٣٢
خامساً: الانحراف في العقيدة المسيحية ٢٣٣
المطلب السابع: الدروس المستفادة من دعوة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ٢٣٥
المبحث الخامس: دعوة نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٢٣٩
المطلب الأول: التعريف بنبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقومه ٢٤١

المطلب الثاني: الخصائص الدعوية لنبينا محمد ﷺ ودعوته................. ٢٤٢
أولاً: خاتم النبين ٢٤٢
ثانياً: امتازت دعوته بخصائص كثيرة يجمعها ٢٤٢
ثالثاً: القرآن الكريم معجزته الخالدة ٢٤٣
رابعاً: هو أفضل الرسل، وأمته خير الأمم ٢٤٤
خامساً: شق صدر النبي ﷺ.................................. ٢٤٥
سادساً: أنه نبيٌّ أميٌّ..................................... ٢٤٦
المطلب الثالث: الصفات الدعوية للنبي محمد ﷺ.......................... ٢٤٧
أولاً: وصف أم المؤمنين خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا للنبي ﷺ ٢٤٧
ثانياً: اشتهاره ﷺ بالصدق والأمانة قبل البعثة......................... ٢٤٨
ثالثاً: الرحمة ٢٤٩
رابعاً: الجود والكرم...................................... ٢٤٩
خامساً: العزة.. ٢٥٠
سادساً: الإتقان... ٢٥٠
سابعاً: ترفعه عن الأخلاق والتصرفات الخاطئة........................ ٢٥٠
ثامناً: حكمته ورجاحة عقله.................................. ٢٥٢
تاسعاً: إعمال عقله بالتفكر ٢٥٢
عاشراً: صفة العبودية لله وحده................................. ٢٥٣
الحادي عشر: آيات جامعات لصفات النبي ﷺ......................... ٢٥٤
المطلب الرابع: عناية الله بنبيه في الجانب الإيماني........................... ٢٥٤
المطلب الخامس: بشارة الله لنبيه وتثبيته................................. ٢٥٦
المطلب السادس: توجيهات دعوية من الله لنبيه مباشرة........................ ٢٥٧
أولاً: توجيهه إلى أخلاقيات الدعوة والدعاة ٢٥٧
ثانياً: عرض التجارب الدعوية السابقة للنبي ﷺ ٢٥٨

ثالثاً: التنبيه أن وظيفته البلاغ وليس عليه الهداية.......................... ٢٥٨
رابعاً: إرشاد النبي لبعض وسائل وأساليب الدعوة ٢٥٨
خامساً: تنبيه النبي ﷺ عند الخطأ....................................... ٢٥٩
سادساً: تعليم النبي ﷺ التخاطب مع أصناف المدعويين ٢٦٠
المطلب السابع: أسس دعوة نبينا محمد ﷺ.................................. ٢٦١
أولاً: توحيد الله تعالى ونبذ الشرك وأهله.. ٢٦١
ثانياً: الإيمان بنبوة النبي ﷺ والأنبياء من قبله ٢٦٢
ثالثاً: الإيمان بالمعاد ٢٦٣
رابعاً: حُسْنُ الأخلاق والمعاملات ٢٦٤
خامساً: الدعوة لشمولية الإسلام ٢٦٥
المطلب الثامن: وسائل وأساليب دعوة نبينا محمد ﷺ........................ ٢٦٧
أولاً: القدوة العملية ٢٦٧
ثانياً: الترغيب في المسارعة والمسابقة في الخير................................ ٢٦٧
ثالثاً: الاصطفاء والاختيار في الدعوة والتوجيه.................................. ٢٦٨
رابعاً: مراعاة الأولويات في الدعوة.. ٢٦٩
خامساً: التدرج في البلاغ.. ٢٦٩
سادساً: إقامة الحجة... ٢٧٠
سابعاً: الحوار والسؤال.. ٢٧١
ثامناً: القسم والتكرار.. ٢٧١
تاسعاً: القياس... ٢٧٢
عاشراً: المزاح والمداعبة ٢٧٢
الحادي عشر: استعمال لغة الإشارة مع القول.................................... ٢٧٢
الثاني عشر: كتابة الرسائل إلى الأمراء والملوك.................................. ٢٧٣

الثالث عشر: ذكر القصص النافعة والمؤثرة ٢٧٣
الرابع عشر: الإجابة عن الأسئلة والاهتمام بها ٢٧٤
الخامس عشر: إعادة المعلومة أكثر من مرة ٢٧٤
السادس عشر: حث الصحابة على تعليم بعضهم لبعض ليعاونوه في الدعوة. ٢٧٥
السابع عشر: الغضب عند ما تنتهك حرمة الله ٢٧٥
الثامن عشر: الضحك والابتسامة ٢٧٦
التاسع عشر: إرسال الدعاة ٢٧٦
العشرون: التغافل، والعفو المباشر عن الجاهل ٢٧٦
الحادي والعشرون: تأليف القلوب ٢٧٧
الثاني والعشرون: الزيارات ٢٧٧
الثالث والعشرون: التأديب ٢٧٧
الرابع والعشرون: الخطب ٢٧٧
الخامس والعشرون: طلاقة الوجه ولين الكلام ٢٧٨
السادس والعشرون: بذل الهدايا والجوائز ٢٧٨
السابع والعشرون: التبشير والتيسير في الدعوة ٢٧٩
المطلب التاسع: نتيجة دعوة نبينا محمد ﷺ ٢٨٠
المطلب العاشر: الدروس المستفادة من دعوة نبينا محمد ﷺ ٢٨٢
أولاً: الرحمة للعالمين ٢٨٢
ثانياً: حسن الخلق ٢٨٣
ثالثاً: الوعي والبصيرة ٢٨٥

الفصل الثالث

دعوة الرسل الذين تكرر ذكرهم في القرآن

المبحث الأول: دعوة آدم عليه السلام ٢٩١
المطلب الأول: التعريف بآدم عليه السلام وقومه ٢٩٣
المطلب الثاني: الخصائص الدعوية لآدم عليه السلام ٢٩٤
أولاً: أن الله اصطفاه ٢٩٤
ثانياً: أن الله خلقه من تراب ٢٩٥
ثالثاً: تعليم الله له ٢٩٥
رابعاً: إسجاد الله ملائكته لآدم ٢٩٧
المطلب الثالث: الصفات الدعوية لآدم عليه السلام ٢٩٧
أولاً: المبادرة إلى التوبة لله عند الخطأ ٢٩٧
ثانياً: احترامه للقسم ٢٩٨
ثالثاً: الحياء والخجل ٢٩٨
المطلب الرابع: أسس دعوة آدم عليه السلام ٢٩٩
أولاً: التوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له ٢٩٩
ثانياً: تنظيم أمور الحياة في الأرض ٢٩٩
المطلب الخامس: الدروس المستفادة من دعوة آدم عليه السلام ٣٠٠
المبحث الثاني: دعوة هود عليه الصلاة السلام ٣٠٧
المطلب الأول: التعريف بهود عليه السلام وقومه ٣٠٩
المطلب الثاني: الصفات الدعوية لهود عليه السلام ٣١٠
من صفات هود عليه السلام الدعوية؛ والتي استفيدت من الآيات التي ذكرت قصته عليه السلام وما دار بينه وبين قومه ما يلي ٣١٠
أولاً: الإخلاص لله عز وجل وعدم سؤال الأجر في دعوته لقومه ٣١٠
ثانياً: النصح والأمانة ٣١١

ثالثاً: التوكل على الله ٣١١
رابعاً: الحلم ٣١٢
خامساً: الشفقة على المدعويين ٣١٢
المطلب الثالث: أسس دعوة هود عليه السلام ٣١٣
أولاً: الدعوة إلى توحيد الألوهية وتحقيق العبودية لله عز وجل ٣١٣
ثانياً: الدعوة إلى الإيمان بالنبوة ٣١٤
ثالثاً: الدعوة إلى الإيمان بالمعاد ٣١٤
رابعاً: علاج مشكلة الكبر والترف ٣١٥
المطلب الرابع: وسائل وأساليب من دعوة هود عليه السلام ٣١٧
أولاً: الموعظة الحسنة ٣١٧
ثانياً: الترغيب والترهيب ٣١٨
ثالثاً: الجدال والمقابلة بالحجة والبرهان ٣١٨
رابعاً: اللين والاستعطاف ٣١٩
خامساً: أسلوب التذكير بنعم الله ٣١٩
سابعاً: المعجزة والتحدي ٣٢٠
المطلب الخامس: موقف قوم هود من دعوته ٣٢١
أولاً: استكبروا بقوتهم ٣٢١
ثانياً: اتهموه بالكذب والسفه ٣٢١
ثالثاً: استنكروا دعوته للتوحيد وطلبوا العذاب ٣٢٢
رابعاً: استنكار بشرية الرسل ٣٢٢
خامساً: عدم الإيمان بالآيات وعصيان الرسل ٣٢٣
سادساً: رفض الموعظة حتى ولو كانت حقاً ٣٢٣
المطلب السادس: نتيجة دعوة هود عليه السلام ٣٢٤
المطلب السابع: الدروس المستفادة من دعوة هود عليه السلام ٣٢٦
أولاً: النجاة في الإيمان وليس بالقوة المادية فقط ٣٢٦

ثانيا: وجوب البراءة من الشرك والوضوح التام في ذلك ٣٢٧
ثالثاً: الربط بين النعمة والمنعم بها ٣٢٧
رابعا: البعد عن النفعية في الدعوة إلى الله ٣٢٨
خامساً: الحلم والصبر على الجاهلين ٣٢٨
سادساً: تسلية المؤمنين بأن سنة الله هي: أنَّ العاقبة للمتقين والهلاك للجاحدين ٣٢٩
سابعاً: الحكمة في التذكير والوعظ ٣٢٩
ثامناً: خطر الاغترار بالقوة ٣٣٠
تاسعاً: الجمع بين أسلوبي الترغيب والترهيب ٣٣٠
عاشراً: أهمية إخلاص الداعية وقوة إيمانه بالله وبدعوته ٣٣٠
الحادي عشر: خطورة الترف الزائد الذي لا حاجة له ٣٣١
المبحث الثالث: دعوة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ ٣٣٣
المطلب الأول: التعريف بصالح عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه ٣٣٥
المطلب الثاني: الصفات الدعوية لصالح عَلَيْهِ السَّلَامُ ٣٣٧
أولاً: الأمانة ٣٣٧
ثانياً: العفة عما في أيدي الناس ٣٣٧
ثالثاً: السيرة الحسنة قبل الدعوة ٣٣٨
رابعاً: الصبر على الأذى ٣٣٩
خامساً: العلم ٣٤٠
المطلب الثالث: أسس دعوة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ ٣٤٠
أولاً: تحقيق العبودية الخالصة لله ٣٤٠
ثانياً: الإيمان بالنبوات ٣٤١
ثالثاً: الإيمان بالمعاد ٣٤١
رابعاً: دلالتهم على جوامع ما يرضي الله ٣٤٢
خامساً: التحذير من الإفساد وأهل الإفساد ٣٤٢
المطلب الرابع: وسائل وأساليب دعوة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ ٣٤٤

أولاً: القول اللين ٣٤٤
ثانياً: التذكير بنعم الله ٣٤٥
ثالثاً: الجدال بالحكمة ٣٤٦
رابعاً: الموعظة الحسنة بالترغيب والترهيب ٣٤٧
خامساً: الدعوة بالقدوة ٣٤٨
سادساً: الاستدلال بالمعجزة ٣٤٩
المطلب الخامس: موقف قوم صالح من دعوته ٣٥١
أولاً: إعلان الشك والريب من دعوته واتهامه بانتكاسة العقل ٣٥١
ثانياً: اتهامه بالسحر والكذب، والتكبر على أن يكون هو نبي الله لهم ٣٥٢
ثالثاً: استضعاف المؤمنين وإعلان الكفر برسالة صالح عليه السلام ٣٥٣
رابعاً: طلب الآيات تعجيزا ٣٥٤
خامساً: تطيروا بصالح ومن معه من المؤمنين ٣٥٤
سادساً: نقضوا العهد وعقروا الناقة ٣٥٥
سابعاً: هموا بقتل صالح عليه السلام أيضا ٣٥٥
المطلب السادس: نتيجة دعوة صالح عليه السلام ٣٥٦
أولاً: انقسام قومه إلى مؤمن وكافر ٣٥٦
ثانياً: نزول العذاب بالكافرين ٣٥٧
ثالثاً: نجاة المؤمنين الموحدين ٣٥٨
المطلب السابع: الدروس المستفادة من دعوة صالح عليه السلام ٣٥٩
أولاً: الهداية بنوعيها بيد الله وليس للرسول إلا هداية الإرشاد ٣٥٩
ثانياً: السيرة الحسنة أكبر معين على قبول الدعوة ٣٥٩
ثالثاً: انقسام الناس حيال الدعوة إلى مستجيبين ومعرضين ٣٦٠
رابعاً: الداعي لا ينتصر إلا للدين ولا ينتصر لنفسه ٣٦٠
خامساً: المخلصون يستعملون في دعوتهم الأساليب المنطقية الحكيمة .. ٣٦١

سادساً: إذا أنعم الله علي قوم فلم يشكروا وكفروا انقلبت عليهم نقمة ووبالاً ٣٦١
سابعاً: التحذير من سؤال الله العذاب ٣٦٢
ثامناً: أن أثر المعصية والتكذيب يصل إلى الأرض والماء التي حصل عندها ٣٦٢
تاسعاً: تناهي الإجرام موجب للهلاك ٣٦٣
عاشراً: خطر العقائد الباطلة الموروثة في قبول الحق ٣٦٣
المبحث الرابع: دعوة لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ ٣٦٥
المطلب الأول: التعريف بلوط عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه........ ٣٦٧
المطلب الثاني: الصفات الدعوية للوط عَلَيْهِ السَّلَامُ ٣٦٨
أولاً: فضَّلَه اللهُ على من في زمانه ٣٦٨
ثانياً: أنه من المتطهّرين ٣٦٨
ثالثاً: الأمانة والعفة عما في أيدي المدعوين من حطام الدنيا ٣٦٩
رابعاً: شفقته وحزنه من فعل قومه........ ٣٦٩
خامساً: آتاه الله حكماً وعلماً........ ٣٦٩
سادساً: إدخال الله له في رحمته........ ٣٦٩
سابعاً: أنه من الصالحين........ ٣٧٠
ثامناً: أنه رسولٌ أمين........ ٣٧٠
تاسعاً: الإخلاص واحتسابه الأجر من الله تبارك وتعالى ٣٧٠
عاشراً: دعاؤه الله تعالى........ ٣٧١
المطلب الثالث: أسس دعوة لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ ٣٧١
أولاً: أمرهم بتقوى الله تبارك وتعالى........ ٣٧١
ثانياً: الإيمان بالرسالة والنبوة ٣٧٢
ثالثاً: النهي عن فاحشة اللواط ومساوئ الأخلاق ٣٧٢
المطلب الرابع: وسائل وأساليب دعوة لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ........ ٣٧٤
أولاً: التوبيخ وتعظيم الذَّنب وبيان خطره على مرتكبه........ ٣٧٤

ثانياً: الترغيب والترهيب ٣٧٤
ثالثاً: إيجاد البدائل الشرعية ٣٧٥
رابعاً: الحكمة والموعظة الحسنة ٣٧٥
خامساً: الحوار والمناقشة ٣٧٦
سادساً: أسلوب الاستفهام الاستنكاري ٣٧٦
سابعاً: إعلان البراءة من عملهم ٣٧٦
ثامناً: الخطب والمواعظ في الميادين العامة ٣٧٧
تاسعاً: الهجرة ٣٧٧
المطلب الخامس: موقف قوم لوط من دعوته ٣٧٨
المطلب السادس: نتيجة دعوة لوط عليه السلام ٣٧٩
المطلب السابع: الدروس المستفادة من دعوة لوط عليه السلام ٣٨٠
المبحث الخامس: دعوة شعيب عليه السلام ٣٨٥
المطلب الأول: التعريف بشعيب عليه السلام وقومه ٣٨٧
المطلب الثاني: الصفات الدعوية لشعيب عليه السلام ٣٨٨
أولاً: كثير الصلاة ٣٨٨
ثانياً: الحلم والرشد ٣٨٩
ثالثاً: العلم ٣٨٩
رابعاً: التواضع ٣٩٠
خامساً: موافقة قوله فعله من أمر أو نهي ٣٩٠
سادساً: التوكل والإنابة ٣٩٠
سابعاً: الثبات على الحق ٣٩٢
ثامناً: العدل ٣٩٣
المطلب الثالث: أسس دعوة شعيب عليه السلام ٣٩٣
أولاً: الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك ٣٩٣
ثانياً: الإيمان باليوم الآخر ٣٩٤
ثالثاً: الإيمان بالرسل والرسالات ٣٩٥

رابعاً: رعاية حقوق العباد جميعاً والمالية خصوصاً ٣٩٥
خامساً: النهي عن الإفساد في الأرض عموما ٣٩٦
سادساً: النهي عن قطع الطريق عن الحق والخير ٣٩٦
المطلب الرابع: وسائل وأساليب دعوة شعيب عليه السلام ٣٩٧
أولاً: تذكيره إياهم بنعم الله ٣٩٧
ثانياً: التذكير بالأقوام السابقين لأخذ العبرة ٣٩٨
ثالثاً: الرفق واللين ٣٩٩
رابعاً: الترغيب والترهيب ٣٩٩
خامساً: الحوار ٤٠٠
سادساً: إتيانهم بالأدلة والبراهين ٤٠١
سابعاً: إخلاص النصح ٤٠١
ثامناً: الإصلاح ٤٠١
المطلب الخامس: موقف قوم شعيب من دعوته ٤٠٣
أولاً: الاستكبار واستضعاف المؤمنين ومحاولة صدهم عن دينهم ٤٠٣
ثانياً: إتهام شعيب بالسحر والكذب واستنكار أن يكون بشراً رسولاً ٤٠٤
ثالثاً: طلبهم العذاب تحدياً لشعيب عليه السلام ٤٠٤
رابعاً: التهكم والاستهزاء ٤٠٥
خامساً: تهديدهم لشعيب عليه السلام ٤٠٦
المطلب السادس: نتيجة دعوة شعيب عليه السلام ٤٠٧
أولاً: تهديد شعيب لهم بالعذاب ٤٠٧
ثانياً: هلاك قوم شعيب ٤٠٧
ثالثاً: إيمان طائفة من قومه ٤٠٨
المطلب السابع: الدروس المستفادة من دعوة شعيب عليه السلام ٤٠٩
فهرس المحتويات ٤١٣